

٢٤
٥٢٠

الجامعة الأردنية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

٢٨٢٦٦٦

نجاتي صدقي
(١٩٠٥ - ١٩٧٩)
حياته وأدبه

إعداد الطالب
ابراهيم محمد أحمد أبو هشيش

إشراف
الأستاذ الدكتور عبدالرحمن ياغي

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة
العربية وآدابها بكلية الآداب في الجامعة الأردنية

١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م

شكر وتقدير

يسعدني في هذا المقام أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأستاذي الدكتور عبدالرحمن ياغي الذي أشرف على هذه الدراسة ، وتصددني بالعناية والتوجيه وقدم لي من وقته وجهده وفكره الكثير .

كما أتقدم بجزيل الشكر للسيدة هند صدقي الزبيدق والدكتور سعيد نجاتي صدقي في جامعة البرازيل لتعاونهما ومساعدتهما في تيسير أمور الحصول على ما احتجت اليه من مكتبة والدهما المرحوم نجاتي صدقي ، وأتقدم بالشكر أيضا للأستاذ الدكتور هاشم ياغي ، والدكتور عبدالرحيم أبو حسين من الجامعة الأمريكية في بيروت والآنسة سمر الصوران والآنسة احسان الريماوى لمساعدتهم في جلب بعض مواد هذه الدراسة من بيروت وأثينا .

كما أتقدم بالشكر للسيد عبداللطيف الطيطي والسيد فتحي عبيد اللطيف والسيد وجيه الحسين لمساعدتهم القيمة ، والسيد عمر القاضي لتفzله بطباعة هذا البحث وإلى كل من قدم لي عوناً وساعد في اخراج هذا البحث بالصورة التي وصل اليها .

قائمة المحتويات

- ١ - المقدمة
- ٢ - الفصل الأول : مسيرة نجاتي صدقي الحياتية :
 - ١٩٠٥-١٩٢٤) - مرحلة الطفولة والنشأة (
 - ١٩٢٤-١٩٣٩) - مرحلة العمل السياسي (
 - ١٩٣٩-١٩٧٩) - مرحلة الانتاج الأدبي (
- ٥٤ - الفصل الثاني : نجاتي صدقي مفكرا ومترجما وناقدا
١٧٧ -
 - ١ - أولا : نجاتي صدقي مفكرا :
 - أبرز دراساته الفكرية
 - التقويم :
 - نجاتي صدقي من " الحركة الوطنية العربية "
 - الى " التقاليد الاسلامية والبعادى " النازية "
 - ٢ - ثانيا : نجاتي صدقي مترجما :
 - ترجماته السياسية
 - ترجماته الأدبية
 - قيمة ترجماته
 - ٣ - ثالثا : نجاتي صدقي ناقدا
 - مدخل
 - الأسس النظرية
 - دراساته الأدبية
 - التقويم :
 - اهتمام بالضمون
 - مصادر أحكامه النقدية

٢٥١ - ١٧٨

— الفصل الثالث : نجاحاتي مدقي قاصدا

— ودخل

— قضايا قصصه :

— الموضوع الفلسطيني

— الترجمة الذاتية

— قضايا حياتية متنوعة

— القيمة الحياتية في قصصه

— القيمة الفنية في قصصه :

— نماذج متفوقة

— نماذج أقل نجحا

— لغة القصص والحوار

٢٥٥ - ٢٥٢

— الخاتمة

٣٠٥ - ٢٥٦

— الملاحق

٣١٢ - ٣٠٦

— ثبت المصادر والمراجع

مقدمة

نجاتي صدقي علم من أعلام الثقافة الادبية في فلسطين والبلاد العربية في النصف الاول من هذا القرن على وجه الخصوص ، فقد أنتج وعيه على المضمون الاجتماعي في الفكر والادب آثارا غزيرة نشرقسما منها في عشرين كتابا في مجالات متنوعة ولا سيّما القصة القصيرة ، والدراسة الادبية والترجمة ، والدراسة الفكرية ، كما ترك عشرات المقالات في هذه المجالات وسواها منشورة في الصحف الادبية العربية منذ منتصف ثلاثينات هذا القرن حتى أوائل السبعينات .

ولقد كان نجاتي صدقي في وعيه على المضامين الاجتماعية في النشاط الادبي عامة ، من أوائل الذين رسخوا جذور مدرسة واقعية تستند الى التحليل المادي في الكتابة الادبية في فلسطين وفي البلاد العربية ، بل لعله أبرز من حمل راية الاتجاه الواقعي المادي في الادب في فلسطين منذ منتصف الثلاثينات ، وكان الى جانبه - كما يشير الدكتور عبدالرحمن ياغي أدباء منهم : عبدالله مخلص ، وعبدالله البندك ، ومحمود سيف الدين الايراني وعارف الحزوني ، وغيرهم . (١)

وقد أشاد الاديب الراحل غسان كنفاني بأهمية نظرة نجاتي الواقعية في تحليله المادي لجوانب من تاريخ الحرب الحديث ، وفي نظرته الى فلسفة

(١) د . عبدالرحمن ياغي ، حياة الادب الفلسطيني الحديث ، (بيروت :

المكتب التجاري ١٩٦٨) ، ص ٥٦١ ، ص ٥٧٣ .

ابن خلدون الاجتماعية ، واعتبره صوتا مبكرا في الاتجاه الادبي المادي في فلسطين (١) ، كما اعتبره الدكتور هاشم ياغي - في معرض تأريخه لحركة النقد الادبي الحديث في فلسطين - ناقد الاتجاه الواقعي الاول في فلسطين في النصف الاول من هذا القرن ، وقال انه صاحب فلسفة في نقده تتسع حتى تشمل مختلف ألوان نشاط الانسان عامة ، والنقد الادبي ، والادب منه خاصة (٢).

وفي مجال القصة القصيرة - وهو المجال الابرز الذي اشتهر به نجاتي بين الدارسين - يعد نجاتي من كبار الذين كتبوا في هذا الفن في فلسطين في النصف الاول من هذا القرن ، فقد وضعه الدكتور عبدالرحمن ياغي الى جانب محمود سيف الدين الايراني على رأس المدرسة القصصية الثانية في حياة فلسطين الادبية ، وأطلق على هذه المدرسة الواقعية في القصة اسم { مدرسة الايراني - صدقي } (٣) ، علما ان نجاتي لم يكتب قبل النكبة الا عددا قليلا من القصص قياسا الى الاستاذ الايراني . ومع ذلك قال عنه الدكتور ياغي انه من أرسخ الذين كتبوا في هذا الفن قدما ، وأكثرهم نضجا في الحياة الادبية في فلسطين قبل النكبة ، فهو لم يبدأ الا بعد ان اكتملت لديه ملكة القصة ، ولم يطلع علينا بتجاربه قبل نضوجها ، وانما انتظر على نفسه ريثما نضج الفن بين يديه فوافانا بصور من هذا النضوج (٤). وقال عنه الدكتور هاشم ياغي انه من أبرز كتاب القصة القصيرة في

(١) غسان كنفاني : ثورة ٣٦ - ٣٩ في فلسطين ، خلفيات ، تفاصيل ،

تحليل (القدس : منشورات صلاح الدين ١٩٧٦) ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢) د . هاشم ياغي : النقد الادبي الحديث في فلسطين (القاهرة : معهد

البحوث والدراسات العربية ١٩٦٣) ص ١٥٣ .

(٣، ٤) حياة الادب الفلسطيني الحديث ، مرجع سابق ، ص ٥٠٥ ، ص ٤٩٦ .

فلسطين وفي البلاد العربية ، في زمانه . (١)

وفي مجال الترجمة حرص نجاتي على فتح نوافذ للأدب الفلسطيني لتتسرب
منها سمات من الادب العالمي الغني بمضامينه الانسانية الباقية ، لا سيما في
مجال القصة القصيرة ، وقد أشاد الاديب ميخائيل نحيم والدكتور عبدالرحمن
ياغي ، والدكتور ناصر الدين الاسد (٢) ، بهذا الجانب من فـيـض نجاتي
صدقي الثقافي .

ومع ان نجاتي حظي بنوع من الاهتمام من دارسي الادب الفلسطيني
الحديث ، الا ان هذا الاهتمام لم يكن واقياً فقد اقتصر على جوانب من آثار نجاتي
الادبية ، أو اكتفى بنماذج فقط من هذه الجوانب ، فلم تبرز شخصية الرجل
الثقافية بالقدر الذي يليق بمكانته الادبية ، ودوره الهام في بناء ثقافة أدبية
واقعية في فلسطين .

فالدكتور عبدالرحمن ياغي في كتابه " حياة الادب الفلسطيني الحديث "
توقف عند نجاتي مرات عدة عند حديثه عن حركة النقد ، والترجمة ، والقصة القصيرة
ولكن وقفاته كانت سريعة ، ولعل هذه السرعة قد أنته من المساحة الزمنية
الواسعة التي أرخ فيها الدكتور ياغي للحياة الادبية في فلسطين من أول النهضة
حتى النكبة ، فهو مثلاً لم يتناول بالدراسة الا خمس قصص لنجاتي فـي مجموعته

(١) د . هاشم ياغي : القصة القصيرة في فلسطين والاردن (بيروت : المؤسسة

العربية للدراسات والنشر ، ط ٢ ، ١٩٨١) ص ٢٦٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١١٦ ، وانظر د . ناصر الدين الاسد : الاتجاهات

الادبية الحديثة في فلسطين والاردن (القاهرة : معهد البحوث

والدراسات العربية ، ١٩٥٢) ص ٩٥ .

"الأخوات الحزبنات" لأنها مكتوبة قبل النكبة ، وهو التاريخ الذي يتوقف عنده كتاب الدكتور ياغي (١) ، وفي مجال الترجمة اكتفى بالاشارة الى اهمية نجاتي في الترجمة عن الادب الروسي خاصة ، واقتبس لذلك نصا من رسالة بحث بها ميخائيل نعيمة الى نجاتي مشيدا بدوره في هذا المضمار .

أما الدكتور ناصر الدين الاسد في كتابه "الاتجاهات الحديثة في فلسطين والاردن" فقد توقف سريعا عند فهم نجاتي للأدب كما يستشف من قصته "الجثة الحية — من مجموعة الاخوات الحزبنات" . ثم أشار اشارة سريعة الى هذه المجموعة وبعض قضاياها الحياتية والفنية . (٢)

ولعل الدكتور هاشم ياغي أن يكون من أكثر الباحثين اهتماما بجهود نجاتي صدقي الادبية ، ففي كتابه "النقد الادبي الحديث في فلسطين" استعرض بعض مقالات نجاتي ودراساته في محاولة للتدليل على منهجه ، غير أنه توسع كثيرا في مفهوم النقد الادبي ، فأدرج مقالات لنجاتي ودراسات له تقع في مجال جهوده الفكرية ، مثل مقالته عن ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية ، ودراسته عن حالة العلم والحلماء ابان انحلال الدولة العباسية — ضمن جهود نجاتي في النقد الادبي ، ثم ان عرض الدكتور هاشم ياغي لهذه الاعمال كان في طابعه الحسام عرضا خارجيا لم يحتمل كثيرا من التحوى والتدقيق واصدار الاحكام النقدية ، كما انه لم يتوقف عند كل آثار نجاتي في هذا المجال بل اكتفى بنماذج اقتبس منها نصوصا طويلة للتدليل على موقع نجاتي من حوكمة النقد الادبي الحديث في فلسطين (٣) ، ولعل ذلك أثار أيضا من اهتمامه بدراسة الحركة النقدية الحديثة عامة في فلسطين ، وهذا يشمل مساحة زمنية واسعة فيها كثير من الاعلام .

(١) حياة الادب الفلسطيني الحديث ، مرجع سابق ، ص ٥٥٥ .

(٢) الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والاردن ، مرجع سابق ، ص ٩٧ .

(٣) النقد الادبي الحديث في فلسطين ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ وما بعدها .

الذين شاركوا في هذه الحركة وأثروا في تحولاتها ونموها .

أما في كتابه " القصة القصيرة في فلسطين والاردن " فقد تناول الدكتور هاشم مجموعتي نجاتي القصصيتين ، مدلا على موقع نجاتي في مسيرة القصة الفلسطينية ، ومعرفا ببعض سمات الكتابة القصصية عنده ، ولكنه أولى أكبر اهتمامه لمعرفــــة المدارس الادبية التي تتسلك فيها قصص نجاتي صدقي .

ومع ان هذا البحث لا يتناظر في منهجه العام مع منهج الدكتور ياغي الذي نظريه الى قصص نجاتي ، الا ان هناك بعض الاختلاف في الشكل والطريقة ، فالدكتور ياغي كان يأخذ كل قصة على حدة فيصدر حكمه على انتمائها الى المدرسة الواقعية الجديدة ، أو المدرسة الرومانسية أو أخذها بسمات ممتزجة من المدرستين ، معتمدا في كثير من الحالات على مواقف جزئية في الحوار أو في حركة شخص القصة ، بينما يحاول هذا البحث التعرف على ملامح الكتابة القصصية عند نجاتي من خلال الرؤية الكلية في القصة الواحدة وفي القصص جميعا وذلك عبر التعرف لقضاياها الحياتية أولا ، ثم لرؤية القاص الكلية في هذه القصص ، كما ان هذا البحث نظر في احدى عشرة قصة قصيرة لنجاتي لم تتضمنها مجموعته ، في حين ان الدكتور ياغي لم يأخذ جميع قصص المجموعة الثانية بالدراسة والتحصيل ، واكتفى بنماذج منها ، يقول :

" وأحسب أننا لسنا في حاجة الى تتبع هذه الاقاصيص

في مجموعة الشيعي المليونير لنطبق عليها مواقف المدرستين ،

وبخاصة وقد فعلنا ذلك في المجموعة الاولى . . " (١)

(١) القصة القصيرة في فلسطين والاردن ، مرجع سابق ، ص ٢٦٤ ، وانظر

ص ٢٤٧ وما بعدها ، ثم ص ٢٦٠ وما بعدها من هذا الكتاب .

أما محمود سيف الدين الإيراني في مقاله عن القصة في فلسطين والاردن المنشور ضمن كتاب " ثقافتنا في خمسين عاما " فانه لم يأت بجديد في مجال جهود نجاتي القصصية ، واكتفى باقتباس بعض الآراء التي سبق الى قولها الدارسون المشار اليهم سابقا . ولكنه قال عن نجاتي انه يعد من الرعيل الاول في كتابة القصة ، وهو يلي بيدس والايراني مباشرة . (١)

وكذلك فقد كانت الكتابات التي تحدثت عن حياة نجاتي أو حاولت التعريف به وبأعماله - قليلة أو متوترة ، اذ لم نعتز سوى على مقالين في هذا السبيل ، الاول للبدوي الملم سنة ١٩٦٨ (٢) ، والثاني للدكتور هاشم ياغي نشره بعد وفاة نجاتي (٣) ، ونجد كذلك بعض الاشارات المتفرقة القصيرة لحياة نجاتي السياسية ، ولكنها في مجموعها لا ترسم صورة واضحة لشخصية الرجل الثقافية السياسية . أما اعماله فقد حاول محمود الاخرس حصرها في كتابيه " البيليوغرافيا الفلسطينية الاردنية ١٩٠٠ - ١٩٧٠ " (٤) و " الجدول المفهرس للكتب التي ترجمها الفلسطينيون والاردنيون ١٩٥٠ - ١٩٧٠ " (٥) ، الا انه وقع في بعض الاخطاء ، ومن ذلك انصراف ذهنه الى ان بعض مقالات نجاتي ودراساته قد استخرقت كتبا كاملة ، أو جمعت ونشرت في كتب مستقلة ، ومثال ذلك قصيدة " الشراب " لادغار ألن بوالتي ترجمها نجاتي ، ومقالة " النظامي الكنجوى ومجنون ليلي " التي استخرقت صفحتين فقط ، والامر نفسه يجري على دراسة نجاتي " الحركة الوطنية الصربية " التي لم تجمع وتنشر في

-
- (١) ثقافتنا في خمسين عاما (عمان : دائرة الثقافة والفنون ١٩٧٢) انظر ص ١٢٦
 - (٢) مجلة (الاديب) ، عدد نيسان / ابريل ١٩٦٨ . ص ٣٦ .
 - (٣) مجلة (قافلة الزيت) شوال ١٤٠٠ هـ ، أغسطس ١٩٨٠ م ، ص ١٦ .
 - (٤) صدر عن جمعية المكتبات الاردنية في عمان ، ١٩٧٢ ، انظر ٢٥٢ وما بعدها
 - (٥) صدر في عمان عن منشورات اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر ، ١٩٧٣ . انظر ص ٢٥٣ وما بعدها .

كتاب مستقل ، في حدود علمنا •

أما مصادر هذه الدراسة ومراجعتها فتتنوع تبعاً لمسار مباحث الرسالة وفصولها ، والمصادر هي بالدرجة الأولى آثار نجاتي صدقي المنشورة في الكتب والمجلات المختلفة ، إلى جانب عدد من المراجع التي تتنوع في طبيعتها ولكنها بشكل عام تتمثل في عدد من المراجع التاريخية والسياسية ، وتاريخ الأدب ، والنقد الأدبي ، وبعض المراسلات والمصادر الشفوية •

وقد سارت هذه الدراسة في ثلاثة فصول وملحق :

يتحدث الفصل الأول عن مسيرة نجاتي صدقي الحياتية ، معتمداً - ضمن الكتب التي اعتمد عليها - على مصدر هام هو " مذكرات نجاتي صدقي " وهو مخطوط لم يسبق إلى الافادة منه أي باحث آخر ، في حدود ظننا ، وقد اهتم الباحث في هذا الفصل بإبراز شخصية نجاتي صدقي السياسية بوجه خاص ، وذلك في محاولة لالقاء الضوء على المضامين الأيديولوجية التي انطلق منها نجاتي في عطاءه الثقافي المتنوع المجالات ، ثم لأن هذا الجانب من حياة الرجل لم يحظ بالدراسة الكافية ، ربما لأن نجاتي اعتزل العمل السياسي منذ فترة مبكرة (١٩٣٩م) ، ولم يتحدث الباحث في هذا الفصل عن شخصية الرجل الثقافية بشكل مباشر لا اعتقاده أن هذه الشخصية لن تكتمل صورتها إلا بعد الحديث عن جهوده الأدبية وآثاره الثقافية المختلفة •

وفي الفصل الثاني تناول الباحث أعمال نجاتي في مجالات الفكر والترجمة والنقد ، وكان يعرض أولاً لجهوده في كل مجال من هذه المجالات عرضاً حرص قدر الامكان على كبح جماح شهوة النقد واصدار الاحكام الى نهائية كل بحث •

أما الفصل الثالث فقد عقده الباحث للحديث عن جهود نجاتي
الابداعية في مجال القصة القصيرة •

وأما الملحق فقد اشتمل على فهارس مؤلف الباحث فيها ما استطاع
جمعه من آثار نجاتي المنشورة في المجلات العربية منذ الثلاثينات حتى أوائل
السبعينات حسب موضوعاتها ، كما رتب كشفها بما استطاع الحصول عليه من
الاعمال التي أعدها نجاتي أو كتبها للاذاعة • وكذلك فقد تضمن أنموذجين
من ترجمات نجاتي مقابلين بأنموذجين لأديبين آخرين ، الى جانب نماذج
من قصصه غير المتضمنة في مجموعتيه القصصيتين •

مسيرة نجاتي صدقي الحياتية ١٩٠٥ - ١٩٧٩

- المرحلة الاولى (١٩٠٥ - ١٩٢٤) : الطفولة والنشأة

- المرحلة الثانية (١٩٢٤ - ١٩٣٩) : العمل السياسي

- المرحلة الثالثة (١٩٣٩ - ١٩٧٩) : الانتاج الادبي

المرحلة الاولى (١٩٠٥ - ١٩٢٤ م) : طفولته ونشأته .

ولد (محمد نجاتي) بن بكر صدقي آلاى أميني في القدس ، في الخامس عشر من أيار سنة خمس وتسعمئة وألف . (١) وأبوه بكر صدقي تركي الاصل ، ولكنه مولود في بيت المقدس ، وكان مدرسا للغة التركية في مدارسها ، وهاويا للفنون الجميلة لا سيما الموسيقى والمسرح وهو أول من أدخل الحاكي (الفونوغراف) الى القدس ، اذ كان يضعه على شرفة بيته في باب السامرة ، والناس يتجمعون في الجوار يستمعون الى هذه " المعجزة العصرية " . (٢) أما أمه فهي نظيرة مراد ، من عائلة عربية من القدس . (٣)

تلقى نجاتي تعليمه الابتدائي في المدرسة (الصالحية) ثم في مدارس (الرشيدية) و (المأمونية) و (المكتب السلطاني) . (٤)

والذي يبدو أن أباه بكر صدقي لم يكن ميسور الحال على الدوام ، بل انه وعائلته عانوا من أيام شاقة ، وخاصة عند اشتداد الازمة الاقتصادية ابان الحرب

-
- (١) رسالة من السيدة هند نجاتي صدقي المقيمة في أثينا بتاريخ ٨٣/٥/٧ .
 - (٢) يعقوب العودات (البدوي المثلث) : من أعلام الفكر والادب في فلسطين . عمان : جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٩٧٦ ، ص ١٥٣ . وانظر أيضا : مجلة (الاديب) نيسان / ابريل ١٩٦٨ ، ص ٣٦ . وكذلك : د . هاشم ياغي " أضواء كاشفة على حياة نجاتي صدقي " مجلة (قافلة الزيت) شوال ١٤٠٠ . أغسطس ١٩٨٠ ، ص ١٦ .
 - (٣) رسالة السيدة هند .
 - (٤) من أعلام الفكر والادب ، مرجع سابق ، ص ٣٥٤ . وانظر : أضواء كاشفة على حياة نجاتي صدقي ، ص ١٦ .

العالمية الاولى ، حيث يذكر نجاتي عرضا في أثناء حديثه عن رواية (الرغيف) لتوفيق يوسف غواد ، أن الرغيف يذكره بمرحلة عاشتها عائلته عام ١٩١٥ ، وكان له حينذاك من العمر ما يقارب العشرين سنوات ، ويسوق حادثة مفادها أن والده سعى في مناكب الارض من مطلع الشمس الى مغيبها في أحد أيام ١٩١٥ ، بحثا عن رزق عياله ، ولكن دون جدوى ، فخرج في طريقه على خمار واشترى زجاجة (عرق) وعاد بها الى البيت . ويذكر نجاتي ان هذا العمل قد أثار استهجان جدته التقية . وهياج الاولاد ، يقول في ذلك :

" ثم تضاربت الكؤوس ، وازداد والدي تهيجا ، وأغمي على جدتي من هول ما ترى ، وساد البيت جو من الهرج والمرج ، ولعبت الخمرة برؤوسنا الصغيرة ، ففسينا الرغيف وأخذنا نقهقه ونعريد ، ووقفت في أخوتي خطيبا فأسقطوني ، وعقب ذلك اصطدامات متوالية الى ان خارت قوانا جميعا واقتربنا أرض البيت حتى لاحت تباشير الصباح . " (١)

ويبدو أن والد نجاتي كان ذا مزاج حاد ، فعندما خاطبته والدته قائلة ان الخمر رجس من عمل الشيطان ، رد عليها قائلا :

— اذا حرم الله علينا الخمر فلماذا يحرمنا الرغيف ؟ ثم استأنف متضرعا مخاطبا السماء وكأس العرق في يده :

" سبحانه في ملكك أيها القادر على كل شيء ، سميت في مناكبها طوال هذا اليوم ، وكلما تذكرت أولادي من حولي يتضورون جوعا مادت بي الارض ، وتميت لو تنشق وتبتلمني ،

(١) نجاتي صدقي : " القضية العربية في رواية الرغيف " مجلة (المكشوف)

ولما عجزت في الحصول على الرغيف ، الرغيف الاسود ، تأكدت
أنك تتعمد أذى وأذى أطفالي ولم يسعني الا ان أعرج في
طريقي على دكان الخمار ، وان اشترى هذه الزجاجاة من الحرق
أعقد حولها أهل بيتي مخالفين لتحاليمك . . وأنت غفـار
الذنوب . " (١)

وهذه الحادثة انطبعت في ذهن نجاتي طويلا ، وهي على طرافتها تدل
على شخصية والده الحادة المتمردة التي تقرب من شخصية الفنان ، كما أنها
تشير الى ان نجاتي لم يحظ في طفولته بعيشة متميزة عن مجمل سكان فلسطين في
أثناء الحرب العالمية الاولى ، في فترة اشتهرت بين عامة الناس فيما بعد باسم
" السفر برك " .

وفي نهاية الحرب العالمية الاولى ، أقام والده مدة بحلب يشغل وظيفة
عضو في المحكمة العسكرية ، وعندما تألفت الفرقة السورية المتطوعة للسفر الى
الحجاز ، كان والده — وقد أصبح يشغل مرتبة زعيم في قوات فيصل بن حسين —
في هذه الفرقة الذاهبة لمحاربة الوهابيين . (٢)

ويروى نجاتي هذه الفترة من حياته قائلا :

" وكنت أنا — ولي من العمر ١٤ سنة — أتبع لوالدي
من ظله . . . نهاني والدي عن السفر معه الى الحجاز ، وقال
لي : نحن ذاهبون الى بلاد يفتش فيها البدو عن الذهب لا

(١) المصدر نفسه : ص ١٥ .

(٢) من أعلام الفكر والادب في فلسطين : ص ٣٥٢ .

بجيوب الأغراب فحسب ، بل وفي أمعائهم أيضا . . . ولم
تجد اغراءات والدي نفعا ، ورافقه الى الحجاز ، فأقمت في
جدة ، ومكة ، والمدينة والطائف ، وكانت لنا هناك حوادث
طريفة ومزعجة ، أهمها فرار والدي من وقعة (تربة) كأحد فلول
الامير عبداللہ . . . " (١)

وبعد هذه الحملة ، ترك والده الخدمة العسكرية ، وعاد من الطائف
الى سوريا مصطحبا مع ابنه صبيا أسود تعلق بهما ، ذكره نجاتي باسم (العبد
سعد) أعتقه فيما بعد بناء على رغبة الجميع ، ورغبة العبد نفسه . (٢)

ويبدو ان والد نجاتي كان محبا لتبديل عمله باستمرار ، وكان كثير التجوال ،
لا يحكم عمله في الجيش مع فيصل بن حسين فحسب ، انما لرغبة في التجوال نفسه ،
وأحيانا بقصد البحث عن عمل . فبعد أن عاد من الحجاز انتقل ونجاتي معه الى
القاهرة ، وفيها بدأت علاقة نجاتي بالفن المسرحي لأول مرة ، حيث اصططحبه
والده الى مسرح (السندكيس) فشاهد الفنانة (بديعة مصابني) تغني وترقص
والطرايش تتطاير ، وزار كذلك برفقة والده (مسرح الريحاني) . (٣)

وبعد تجوال في الحجاز وسوريا والقاهرة والصعيد ، عاد الفتى وأبوه الى
فلسطين ، واستقرا ثانية في القدس ، حيث بدأ نجاتي عمله موظفا في دائرة البرق

(١، ٢) نجاتي صدقي : " وهل يخفى القمر ؟ " مجلة (الجمهور) السنة

الثالثة ، عدد (١١٠) شباط ١٩٣٦ ، ص ٢٠ .

(٣) المكان السابق . ويلاحظ هنا ان حوادث هذه الفترة من حياة نجاتي تشبه

الى حد بعيد حوادث قصصه " السرتيكا " و " العبد سعد "

و " سي محمد الشامي " .

والبريد في القدس حتى أواخر عام ١٩٢٤ ، أما أبوه فقد عمل كاتب عرش حال
أمام محكمة صلح القدس . (١)

وهذه الفترة من عمله في دائرة البرق والبريد كانت بالغة الأهمية في حياة
نجاتي الشخصية والسياسية والفكرية لأنها وفرت له فرصة الاحتكاك بالحركة اليسارية
في فلسطين ، وكانت فاتحة لنشاط سياسي امتد سنوات حافلة بالعمل والنضال
عربيا وعالميا ، فبعد أن ترك نجاتي العمل في مصلحة البرق والبريد ، كان قد
ودع المرحلة الأولى من حياته ، واستعد لدخول مرحلة حاسمة مليئة بالأعمال
الكبيرة .

المرحلة الثانية (١٩٢٤ - ١٩٣٦) : العمل السياسي *

تبدأ هذه المرحلة بتاريخ انتماء نجاتي صدقي لصفوف الحركة الشيوعية
في فلسطين في أواخر عام ١٩٢٤ ، وتنتهي بتاريخ انفصاله عن الحزب الشيوعي
في بيروت عام ١٩٣٦ .

(١) مقابلة مع السيد يحيى حمودة في منزله بعطان في ١٩٨٣/٥/٤ .
* مصدرنا الأول في دراسة هذه الفترة الهامة من حياة نجاتي صدقي هي
" مذكراته " المخطوطة ، ثم ما يتوافر من مصادر أخرى وهي قليلة ،
وعلى قلتها كانت شحيحة المعلومات عن نجاتي .

البدايات :

بدأ اتصال نجاتي صدقي بالنشاط الشيوعي في فلسطين في أثناء عمله في دائرة البرق والبريد في القدس ، فقد كانت هذه الدائرة تضم موظفين من مختلف العناصر والجنسيات ، وفيها ارتبط نجاتي بعلاقات صداقة متنوعة ، وكان يلتقي مع أصدقائه من موظفي هذه الدائرة في مقهى (بركليس) في القدس ، فتدور بينهم مناقشات مطولة حول الاوضاع السياسية في العالم ، وتتركز بشكل خاص حول القضية الفلسطينية ، وموضوع الانتداب البريطاني ، ومسألة الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ومن خلال هذه المناقشات عرف نجاتي أول تصور للأفكار الشيوعية ، يقول —

"وكانت تتخلل هذه المناقشات أبحاث عقائدية — يترجمها لنا بعض المهاجرين الذين يتحدثون بالعربية الدارجة ، عرفنا منها ان الاشتراكية تسمى الى بسط سلطانها عن طريق المجالس النيابية وان الفوضوية لا تعترف بأى نوع من الحكومات ، وترمي الى ادارة شئون الناس بواسطة النقابات ، وان البلشفية — ولم يكن الحرب قد استعملوا اصطلاح الشيوعية بعد — أقامت حكما اشتراكيا عن طريق الانقلاب والجيش الاحمر " (١)

كما تعرف نجاتي في مقهى (البوسطة) في القدس الى مجموعة من الشباب المهاجرين الوافدين من روسيا ، وكانوا ينتمون الى الفركتسيا (أى الجناح اليسارى

(١) نجاتي صدقي : المذكرات (مخطوط غير منشور) ص ٤ — ٥ •

المعارض في المستدروت • • اتحاد نقابات عمال اليهود (وحزب (العمال الاشتراكي في فلسطين) (١) ، وكانت الدعاية التي يبثها هؤلاء الشباب تتلخص في النقاط التالية ، كما يجمّلها نجاتي صدقي :

- "أولا : ان الاستعمار الانكليزي هو عدو للعرب وللإهود على السواء •
ثانيا : ان المهاجرين اليهود يتألفون من برجوازيين أغنياء وعمّال بائسين • • وان الصهيونية هي حركة برجوازية تفيد أغنياء اليهود فقط ، أما العمال اليهود فمصلحتهم في الاشتراكية الدولية ، وسيحصلون على التخلص من سادتهم عاجلا أم آجلا •
ثالثا : ان الاغندية العرب انتهازيون يتعاونون مع الاستعمار ولا يرجى منهم خير •
رابعا : ان حزب العمال لجميع عمال فلسطين هو القادر على التوفيق بين الجماهير العاملة من الشعبين ، وحل المشكلة الفلسطينية على أكمل وجه • " (٢)

ومثل هذه الافكار كانت جديدة على نجاتي صدقي الذي وصفها بأنها آراء مغرّبة ، وحلول تدعو الى التفكير العميق • (٣)

-
- (١) تأسس هذا الحزب سنة ١٩١٦ ثم انفصل سنة ١٩٢٢ الى قسمين :
الاول ضم اليمينيين الصهيونيين وعرف باسم (حزب الماباي) •
والثاني ضم اليساريين وعرف باسم (الحزب الشيوعي الفلسطيني)
انظر : عبدالقادر ياسين : " الحزب الشيوعي الفلسطيني والقضية الوطنية " مجلة (الكاتب) السنة ١١ ، عدد (١٢٠) مارس / آذار ١٩٧١ ، ص ٨٦ - ٩٠ •
(٢ ، ٣) المذكرات : ص ٦ •

وهكذا بدأ نجاتي صدقي ينشد شيئا فشيئا الى هؤلاء المهاجرين والى أفكارهم ، واستمرت لقاءاته معهم في ناد خاص بالمهاجرين ، كان يقع خلف المستشفى الالماني في القدس ، وهناك حدثوه عند بدء حركة لنشاط شيوعي في مصر ، وقدموا له أعدادا من صحيفة عربية تحمل اسم " الانسانية " كان يصدرها (يوسف يزك) في لبنان ، وكتبا مختلفة في النظرية الشيوعية . (١)

وتوالى هذه الاجتماعات في أمكنة متعددة من القدس ، حتى كان يوم في أواخر عام ١٩٢٤ عندما اقترح عليه هؤلاء المهاجرون فكرة السفر الى روسيا ليدرس في جامعاتها دون أن يتكلف نفقات السفر والتعليم والاقامة . فوجدوا منه قبولا سريحا ، يقول عن ذلك :

" لم أتردد في قبول عرضهم هذا لحظة واحدة ، فطلبوني أن أعد نفسي للسفر خلال ستة أشهر ، فحكفت على دراسة مبادئ اللغة الروسية بمساعدة شاب روسي مستعرب ، تعلمت منه الحروف الهجائية الروسية ، وحفظت عنه بعض الكلمات الضرورية ، وفي هذه الاثناء عقد القوم مؤتمرا لشبيبتهم في حيفا دعوني اليه ، وانتخبوني في اللجنة المركزية للشبيبة . . . وكان ذلك ايدانا بانضمامي الى الحركة الموالية للبلشوية رسميا ، وصرت من ذلك الحين أحضر الاجتماعات السرية ، وأسهم في نشر الدعوة وتوزيع النشرات . " (٢)

جاء انضمام نجاتي صدقي للحركة الشيوعية في فلسطين ، في وقت كان فيه جميع أعضاء الحزب الشيوعي وقياديه من اليهود ، ومع ذلك ، ف " ان أجهزة

(١ . ٢) المذكرات : ص ٦ .

الاستخبارات البريطانية تشير في أحد تقاريرها الى ان الحزب الشيوعي في فلسطين كان يضم في العام ١٩٢٤ عضوا عربيا واحدا " (١)

ويتساءل ماهر الشريف عن هذا العضو العربي الوحيد في الحزب الشيوعي الفلسطيني ، ففي حين يميل اعتقاده الى ان نجاتي هو نفسه هذا العضو العربي ، يؤكد محمود الاطرش ان الشيوعي العربي الاول في فلسطين هو (محمد الرمادي) ابن ضابط في الجيش التركي كان يعمل مدرسا في احدى المدارس العربية ، ويسترجع محمود الاطرش ذكرياته ، ويقول : " انني متأكد بأن محمد الرمادي كان يحمل مع ماير كوبرمان (٢) علم الحزب خلال مظاهرة نظمت في مدينة يافا في أواسط عام ١٩٢٤ " (٣)

وهنا أيضا ينصرف الذهن الى نجاتي صدقي ، حيث ان المعلومات التي

-
- (١) ماهر الشريف : " الحزب الشيوعي في فلسطين ١٩٢٤ - ١٩٢٨ " مجلة (الكاتب الفلسطيني) عدد ١١ ، كانون الثاني ١٩٨٠ ، ص ٣٠ .
وانظر في هذا الامر أيضا :
- بيان نويهض الحوت : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨ . (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٨١) ص ٤٨٢ .
- (٢) ماير كوبرمان : قال عنه نجاتي في مذكراته ، ص ٨٨ انه تولى شئون الحزب في منطقة حيفا ، وقد انضم للجنة المركزية للحزب سنة ١٩٢٩ .
- (٣) مجلة (الكاتب الفلسطيني) عدد ١١ ، كانون ثاني ١٩٨٠ ، ص ٣٠ .
واعتمد ماهر الشريف هنا على مذكرات محمود الاطرش المخطوطة (طريق الكفاح) . ومحمود الاطرش عضو سابق في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني واسمه الحقيقي محمود الحاج رباح ، ذكره نجاتي في مذكراته ص ٨٩ باسم محمود المخربي ، وقال انه انتسب للحزب عام ١٩٢٨ .

أدلى بها محمود الاطرش عن محمد الرمادي تشبه الى حد كبير وضع نجاتي الذي كان أبوه ضابطا في الجيش ومدرسا ، ومع ذلك ، فلا يمكن الجزم في هذه القضية ، فنجاتي لم يشرف في مذكراته الى انه كان العضو العربي الاول في الحزب الشيوعي الفلسطيني أو لا ، في حين ذكر أنه كان العربي الفلسطيني الاول الذي دخل جامعة (كوتف) ، وكذلك فانه لم يأت الى ذكر محمد الرمادي هذا بتاتا ، مع أنه أفرد فصلا خاصا للحديث عن قيادات الحزب الشيوعي الفلسطيني العربية واليهودية . (١)

ومهما يكن من أمر ، فقد اعد نجاتي الوثائق اللازمة لسفره دين علم والده ، واستخرج له الحزب سمة دخول الى تركيا ، وفي ١٦ أيلول سنة ١٩٢٥ ألقح في الباخرة (تششيرين) من ميناء يافا ، ولم يعلم والده بسفره الا حينما تلقى رسالة منه بعد اقلع الباخرة بثلاثة أيام ، فأقام الدنيا وأقعدها دون جدوى ، يقول نجاتي عن ذلك :

" وأعلمني والدي فيما بعد انه حين تلقى رسالتي هذه أرغى وأزبد ، وتوجه الى دار الحكومة صارخا : لقد اختطف البلاشفة ابني . . وطلب من الانكليزان يرسلوا في اشرى سفينة حربية لتعيدني من عرض البحر مهما كلف الامر . " (٢)

في موسكو :

التحق نجاتي صدقي بجامعة " كوتف " وهذا الاسم كما يذكر ، اختصار

(١) نجاتي صدقي : المذكرات ، ص ٨٧ وما بعدها .

(٢) المذكرات : ص ١٠ .

لأربع كلمات روسية تعني الجامعة الشيوعية لفعلة الشرق وقد تأسست هذه الجامعة في موسكو سنة ١٩٢١ لتستقبل الطلاب الشرقيين السوفيتيين من أهالي أوزبكستان والتركمان . . ولتستقبل أيضا الطلاب الشرقيين من الشعوب الخاضعة للاستعمار ، كالبلاد العربية والهند والباكستان ، وغيرها . (١)

ويذكر نجاتي أيضا ان رسالة هذه الجامعة كانت تنحصر في اتجاهين :
الاول خاص بالطلاب الشرقيين التابعين للاتحاد السوفياتي حيث يدرسون التاريخ الروسي حتى قيام الثورة الاشتراكية . والثاني خاص بطلاب البلدان المستعمرة حيث يدرسون تاريخ الاستعمار والفتح الاوروبي منذ أن كان زحفًا صليبيًا للتجار والمغامرين ، الى ان صار احتلالا امبرياليا للصناعيين والماليين . .
" فالجامعة تعد طلاب هذا القسم لتولي مهام القيادة والسلطات الحزبية والعامة في بلادهم . " (٢)

ومدة الدراسة في هذه الجامعة ثلاث سنوات ، أما المواضيع التي تدرس فيها فهي تختص بالاقتصاد السياسي ، والفلسفة الماركسية اللينينية ، والاستعمار والمسألة الوطنية ، والمادية الديالكتيكية وتاريخ الحركات الثورية في العالم ، وتاريخ الحركات النقابية . (٣)

وحال استقرار نجاتي مدقي في جامعة كوتف ، اجتمع الطلاب المهرب المصريون واختاروا له اسما حركيا هو " مصطفى كامل " تيمنا بالزعيم الوطني

(١) المذكرات : ص ١٠ .

(٢) المذكرات : ص ٢٠ . ويذكر نجاتي في هذا الموضع عددا من المشهورين

الذين تخرجوا في هذه الجامعة .

(٣) المذكرات : ص ٢٢ - ٢٩ . فيها تفصيلات عن فروع الدراسة المختلفة .

المصري ، ولكن الروس التبس عليهم هذا الاسم وظنوه مصطفى كمال الديكتاتور التركي ، الى ان تدخل في التسمية الشاعر التركي المعروف ناظم حكمت ، وغير الاسم الى (مصطفى سعدى) اعجابا بالشاعر الفارسي الشهير ، وظل نجاتي في حياته الحزبية يعرف باسم مصطفى سعدى أو الرفيق سعدى . (١) وقد توطدت الصداقة بين نجاتي وناظم حكمت حيث كان نجاتي يقضي أغلب وقته بصحبة الفرقة التركية في الجامعة ، التي كان يرأسها ناظم حكمت . (٢)

وأخذ نجاتي يشارك في النشاطات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي كان يقوم بها الطلبة العرب في موسكو ، وعندما أصدرت الفرقة العربية في جامعة كوتف جريدة الحائط المسماة بـ " الحرية " شارك نجاتي في تحريرها الى جانب بعض الطلبة المصريين ، (٣) وتعد مشاركة نجاتي في تحرير هذه الجريدة المتواضعة بداية لانطلاقة صحفية ثقافية كان لها شأنها فيما بعد . وكذلك شارك في عام ١٩٢٦ في تنقيح ترجمة النشيد الاممي الذي سبق الى ترجمته ميخائيل عطايا . (٤)

وهكذا كانت الحال تسم بنجاتي في موسكو ، بين دراسة واجتماعات سياسية ،

(١) المذكرات : ص ٣١ ، وقد أخطأ سميح سمارة عندما ذكر ان مصطفى سعدى هو الاسم الحركي لشخص يدعى (بوب) كان مساعداً لنجاتي صدقي .
انظر : العمل الشيوعي في فلسطين ، الطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية ، (بيروت : دار الفارابي ، ١٩٧٩)

ص ١٧٩ هامش ٨٤ .

(٢) المذكرات : ص ٣٢ .

(٣) المذكرات : ص ٣٤ .

(٤) المذكرات : ص ٣٥ .

وتثقيف حزبي ونشاطات ثقافية واجتماعية متنوعة •

وبذكر نجاتي أن عدد الطلبة العرب في جامعة كوتف أصبح في سنة ١٩٢٧ سبعة وستين طالبا ، و " كان للفرقة العربية لجنة سياسية تشرف على شؤونهم العامة والخاصة ، فهي تراقبهم عقائديا وسياسيا ومسلكيا ، ولجنة فنية لعرض الفنون العربية من غناء وموسيقى ورقص ، في حفلات الأندية والمناسبات الجامعية والعامة " (١)

وفي هذه السنة (١٩٢٧) تعرض نجاتي لانتقاد شديد كاد أن يسبب له كثيرا من المتاعب عندما اتهم بالتروتسكية لأنه أدلى في أحد الاجتماعات بالقول التالي :

" المعروف أن البلاد (يقصد الاتحاد السوفياتي) تشكو من نقص في الانتاج الزراعي . . . وانتم (أي السـروس) بحاجة الى كسب ثقة الفلاحين وتأبيد هم بقصد الاكثار من الحاصلات الزراعية ، وتمتين التعاون بين عمال المدينة وفلاحى القرية . . . أفلا تعتقدون أن التحول ضد صفار ملاكي المزارع في هذه الآونة يوقع البلاد في متاعب لا حصر لها ، وربما أسفرت عن مجاعة . . " (٢)

(١) المذكرات : ص ٣٦ •

(٢) المذكرات : ص ٤٩ •

وتأتي خطورة مثل هذا الرأي — كما يوضح نجاتي — من قربه من آراء تروتسكي (١) الذي يقول باستحالة تحقق مجتمع اشتراكي في الاتحاد السوفياتي دون أن تتحقق الاشتراكية في نطاق عالمي واسع (وهذا ما يعرف بنظرية الثورة الدائمة التي نادى بها تروتسكي) ، وكان تروتسكي ينادي كذلك بعدم الاتجاه نحو الصناعة الثقيلة ، ويرى ضرورة قيام التعاونيات بأعمال زراعية يقوم بها مستأجرون مثقفون اشتراكياء ، ومن هنا أيضا ينبع تضاد مثل هذه القضايا مع آراء ستالين الذي قال :

" انه بالامكان إقامة نظام اشتراكي كامل في نطاق الجمهوريات السوفياتية وحدها ، أي دهن ربط مصيرها بمصير فوز الاشتراكية في العالم القديم وأن بمقدور البلاد أن تتغلب على الازمة الاقتصادية عن طريق تعميم الكهرباء وتقوية الصناعات الثقيلة ، وسحق طبقة الكولاك أي صغار الملاكين الزراعيين " (٢)

وطلب من نجاتي التنازل عن فكرته هذه في جلسة فوق العادة ، عقدتها

-
- (١) تروتسكي ، ليف دافيدوفيتش : قبل في الحزب البلشي سنة ١٩١٢ ، وشغل عدة مناصب هامة منها مفوض الشعب للخارجية ، ورئيس مجلس الجمهورية العسكرية وغيرها . شارك في معارضة الخط العام للحزب وطرد من الاراضي السوفياتية عام ١٩٢٧ . مات مقتولا في منفاه بالمكسيك اثر ضربة فأس وجهها اليه مبعوث من ستالين ، انظر : لينين . ف . أ . : الاعمال الكاملة (موسكو : دار التقدم ، ١٩٢٩) ج ١ ص ٦١٦ وأيضا لونا شارسكي : لوحات ثورية ، تهريب أحمد خليفة (بيروت : مؤسسة الابحاث العربية ١٩٨٠)
- (٢) المذكرات : ص ٥٠ .

اللجنة العربية لمناقشة هذه القضية حيث نهض وقال :

" أيها الرفاق . . لقد أبديت رأيا في الجلسة السابقة هو أقرب الى التروتسكية منه الى الستالينية ، وأرجو تكونوا على ثقة بأنني لا أشارك التروتسكيين وجهات نظرهم ، انها زلة لسان ، او على الاصح ، بلبلة في فهم المعنى المقصود من المزارع الحكومية والتعاونية وعدم تقدير للاتجاه القائل بضرورة سحق الكولاك بوصفهم طبقة اجتماعية . . انني أقرّ بخطئي وأعتذر . " (١)

التخرج والعودة الى الوطن :

قضى نجاتي في جامعة كوتف ثلاث سنوات : وفي نهاية السنة الثالثة ، قدم اطرؤحته الاكاديمية ، وعرضها (الحركة الوطنية العربية : من الانقلاب الدستوري حتى عهد الكتلة الوطنية) (٢) فحازت القبول وبذلك تخرج وأصبح

(١) المذكرات : ص ٥١ .

(٢) سنأتي الى الحديث عن هذه الاطرؤحة عند حديثنا عن نجاتي صدقي مفكرا .

حاملاً لشهادة جامعية في الاقتصاد السياسي ، (١) وخبرات واسعة في الحياة الروسية التي عاشها ثلاث سنوات بروح منفتحة نهمة للمعارف ، الى جانب تزوده بخبرات سياسية وحزبية لشخص أعد كي يتبوأ موقعه النضالي في صفوف الحركة اليسارية ، عربياً وعالمياً .

وعندما حان موعد السفر ، أقامت الفرقة العربية في جامعة كوتف حفل وداع لمناسبة تخرج الفوج الأول من الطلاب العرب ، وسافر نجاتي بالباخرة من ميناء أوديسا ، وبعد لأي استطاع بمساعدة أحد رفاقه اليونانيين الحصول على تأشيرة تثبت أنه أقام في تركيا مدة ثلاث سنوات ، وحصل كذلك على سمعة خروج تركية رسمية ، وما ذلك إلا ليثبت لسلطات الانتداب البريطانية أنه كان في تركيا طوال مدة غيابه عن الوطن ، وليس في الاتحاد السوفياتي ، ليدفع عن نفسه الشبهات ، ويتقي عاقبة الملاحقة والتحقيق . (٢)

وبعد أيام قضاها في السفر بحراً ، وصل الى ميناء يافا ، ومنذ وصوله شرع في الاتصال باللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني ، ومن ذلك الحين

(١) ذكر الدكتور ناصر الدين الأسد أن نجاتي درس الآداب الروسية ونال شهادة جامعية فيها وفي الاقتصاد السياسي ، أنظر :

ناصر الدين الأسد : الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن ،

(القاهرة : معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٧) ص ٩٥ .

والصحيح أن نجاتي درس الآداب الروسية اجتهداً منه ، وقد تحدث عن

ذلك في مذكراته . انظر ص ٥٩ - ٦٠ . وانظر أيضاً كتابه :

بوشكين : القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٤٥ .

المقدمة .

(٢) المذكرات : ص ٥١ .

بدأت المرحلة المثيرة في حياة نجاتي صدقي السياسية النضالية .

وقد كان وصول نجاتي الى فلسطين في سنة ١٩٢٩ ، وليس كما ذكر سليمان بشير استنادا الى أحد التقارير البوليسية البريطانية أن نجاتي صدقي ، وعبد الغني الكرمي ، وأحمد خلف ، وأحمد حمدي صدقي (١) . . . وغيرهم قد عادوا سنة ١٩٣٠ من موسكو بعد أن انهوا دراستهم . (٢)

نشاطه الحزبي في فلسطين :

عاد نجاتي الى فلسطين عام ١٩٢٩ ، والحزب يواجه قضايا ومشاكل حادة ، ويحاول وضع الحلول المناسبة لها ، وأهم هذه القضايا ، قضية تعريب الحزب ، ومسألة الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ومسألة الاراضي العربية وتسريبها الى أيدي اليهود ، وانتفاضة ٢٤ آب ١٩٢٩ العربية . (٣)

(١) أحمد حمدي صدقي وآل أمني : هو شقيق نجاتي صدقي ، درس في جامعة كوتف ، وكان يعرف باسمه التكرز ساؤول .

انظر ، عبد القادر ياسين : " الحزب الشيوعي الفلسطيني والقضية الوطنية " مجلة (الكاتب) عدد (١٢٠) ص ٩٧ وانظر كذلك :

موسى البديري : تطور الحركة العمالية في فلسطين (القدس : دار

الكاتب ، ١٩٧٩) ص ١١ هامش ٦ .

(٢) سليمان بشير : المشرق العربي في النظرية والممارسة الشيوعية ١٩١٧ —

١٩٢٨ (القدس : منشورات القرامطة ، ١٩٧٧) ص ٢٠٠ هامش ٨٥ .

(٣) تحدث نجاتي في مذكراته عن هذه القضايا جميعا . انظر المذكرات

ص ١٠٢ وما بعدها .

ولعل قضية التحريب أن تكون أهم تلك القضايا وأكثرها إلحاحاً في ذلك الوقت ، نتيجة سيطرة العناصر اليهودية على دفعة القيادة مما جعل الحزب أقل امتداداً في الأوساط العربية . (١)

وقد زادت هذه القضية إلحاحاً بعد انتفاضة آب ١٩٢٦ ، ولسنا هنا بصدد التأريخ للحزب ، ولكن لا يمكن الحديث عن نجاتي في هذه الفترة ، بمعزل عن حركة الحزب العامة .

لقد لعب نجاتي صدقي ضمن الطلاب العرب الموفدين إلى جامعة كادحي الشعوب من كوادر الحزب الشيوعي الفلسطيني دوراً بارزاً في وضع مسألة التحريب على بساط البحث أمام القسم الشرقي في الكومنترن (٢) خاصة أن هؤلاء الدارسين كانوا متأكدين من تأييد الكومنترن لموقفهم ، بعد

(١) من أراد التوسع في حركة تحريب الحزب الشيوعي الفلسطيني ودور الشيوعيين العرب الأوائل ومنهم نجاتي ينظر :

- أ — نجاتي صدقي : المذكرات ، ص ١٠٢ وما بعدها .
- ب — مجلة (شئون فلسطينية) عدد ١١٣ ، نيسان ١٩٨١ ، ص ٢١ .
- ج — القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ، مرجع سابق ، ص ٤٨٠ وما بعدها .
- د — العمل الشيوعي في فلسطين ، الطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية . مرجع سابق ، ص ١٩٢ وما بعدها .

(٢) الكومنترن : الاممية الثالثة أو الاممية الشيوعية . منظمة بروليتارية عالمية تمثل الأحزاب الشيوعية من مختلف البلدان ، دامت من ١٩٢٩ — ١٩٤٣ . انظر :

لينين : الأعمال الكاملة (موسكو : دار التقدم ، ١٩٦٨) المجلد الثالث ، ص ٣٠٨ .

أن صدر قرار السكرتاريا السياسية في تشرين أول ١٩٢٩ بشأن الانتفاضة الفلسطينية . (١)

وقد تحدث نجاتي صدقي عن قضية التعريب ، واعتبرها قضية هامة وصعبة في الوقت نفسه ، وقال انها جوهر قضايا الحزب في كل مراحلها ومؤتمراتها . (٢) وفي رأيه أن صعوبة التعريب جاءت من تحفظ اليهود في الحزب ظنا منهم أن الشيوعي اليهودي أكثر وعيا من الشيوعي العربي في المسائل العقائدية ، والتنظيمية ، ولذلك " كانت القيادة اليهودية تتمتع في قضية التعريب ، تؤيدها نظريا ، وتغرقلها لدرجة ما عمليا ، في حين أن تعليمات الكومنترن تنص على الاقدام في التعريب بجرأة " . (٣)

أما موقف نجاتي من التعريب فهو :

" ان على الحزب ان يفسح المجال للأعضاء العرب المنتسبين اليه وهذا الامر لا يشترط جعل أعضاء الحزب العرب أكثرية والأعضاء اليهود أقلية ، بل أن تكون الكفة الراجحة في القيادة الى الجانب العربي " . (٤)

وعندما انعقد المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي الفلسطيني ، ناقش المؤتمر خطة التعريب ، وأيدوها بالاجماع على اعتبار أن المرحلة الثورية التي يواجهها الحزب هي مرحلة التحرر الوطني . (٥)

(١) د . مامر الشريف " الحزب الشيوعي الفلسطيني والمسألة القومية ١٩٣٠ -

١٩٣٣ " مجلة (شئون فلسطينية) عدد ١١٣ ، ص ٢٤ .

(٢، ٣) المذكرات : ص ١٠٤ .

(٤، ٥) المذكرات : ص ١٠٥ .

وقد انتخب هذا المؤتمر في ختام أعماله لجنة مركزية جديدة ، ضمت لأول مرة في تاريخ الحزب أغلبية من الشيوعيين العرب كان من بينهم نجاتي صدقي ويوسف خلف ومحمود الاطرش وعلي الجيتاوي ، وفي الاجتماع الاول للجنة المركزية الجديدة ، جرى انتخاب أعضاء المكتب السياسي ، وأعضاء السكرتاريا الثلاثة وهم : جوزيف بيرغر ، ونجاتي صدقي ، ومحمود الاطرش . (١)

وفي اثناء الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٢٩ ، كان نجاتي يشرف على أعمال الحزب في حيفا ، وكان في الوقت نفسه على اتصال وثيق بنقابات العمال ، وبالشيخ عز الدين القسام . (٢) وانتقل بعد ذلك الى القدس للقيام بكتابة تقرير الكومنتن عن انتفاضة آب ١٩٢٩ ، وموقف الحزب منها (٣) ، وقد تعرض في الطريق لمحاولة اغتيال من شابيين عربيين ظناه يهوديا لانه كان متكررا بالزى الاوروبى ، ويرى نجاتي ان انتفاضة ١٩٢٩ قد " وضعت الحزب أمام حقائق فعالة ، وفتحت الباب أمام دفعة جديدة من المنتسبين والمناصرين العرب ، وأبرزت الشيوعيين العرب كطرف منظم وفعال له أثره ومكانته في الوسطين اليهودى والعربى على السواء " . (٤)

(١) مجلة (شئون فلسطينية) عدد (١١٣) ص ٢٦ .

(٢) المذكرات : ص ١٠٥ .

(٣) كتب نجاتي هذا التقرير بعنوان (المسألة القومية في المؤتمر السابع للحزب الشيوعى الفلسطينى) ، انظر :

د . ماهر الشريف : الشيوعية والمسألة القومية في فلسطين ، (بيروت :

مركز الابحاث ، م . ت . ف . ، ١٩٨١) ص ١٢٢ .

نقلا عن : صحيفة المراسلات الاممية (بالفرنسية) عدد ٥ ،

٢١ كانون الثاني ، ١٩٣١ ، ص ٨٣ .

وفي هذه الفترة كان نجاتي يقيم في شارع (مأمّن الله) في القدس مع زوجته الأوكرانية الاصل ، حيث رزقا بطفلة اسمها (دولت أو دولية أو دولا) وهي اليوم مهندسة معمارية في موسكو ، وفي هذا المنزل أيضا كان يلتقي مع حمدي الحسيني ويتناقشان في اعداد الخطط النضالية المشتركة ، ويشرف على تحرير جريدة (الى الامام) لسان حال الحزب ، ويسهم في تحرير النشرات السرية . (١)

وازداد نشاطه فازدادت ملاحقة السلطات البريطانية له ، وأفلت غير مرة من كماثن البوليس ، مما اضطره للانتقال الى بيت على طريق لفتا يملكه المحامي يحيى حمودة ، وضاغف نشاطه فاشترك في موسم النبي موسى الشعبي بقصود الاحتكاك بالجماهير العربية عن قرب ، وهناك رفعه (الرفاق) على الاكتاف وهو يضع عقلا وكوفية ونظارات بقصد التذفي ، وخطب في المحتشدين " فهاج الناس وماجوا ، وازداد اللغط بوصول البلاشفة الحرب " (٢)

وكان من شأن هذا النشاط أن أثار سلطات الانتداب ، فقامت بحملة مسحورة لاعتقاله ، يقول عن هذه الفترة :

" وكان مخبروها (مخبرو سلطات الانتداب البريطاني) يحيطونني بهالة من الغموض الخرافي ، منهم من يقول انه رأي أتستر في ملاية نسائية ، وأغطي وجهي بصدى أسود ، وقال أحدهم انه رأي في حارة النصارى في القدس وأنا في زى خورى له لحية طويلة ، وقال غيره انه لا يرتاب في الشحاذ

(١) المذكرات : ص ١١٤ .

(٢) المذكرات : ص ١١٥ .

الذي يرتدو الأسمال البالية ويتمدد عند الباب العتم المؤدى
إلى الحرم المقدسي ، هو أنا بالذات . " (١)

ومثل هذه المعلومات حملت دائرة التحري التابعة للبوليس البريطاني ال
(سي . آي . دي) ان تتابع البحث عنه ليلى نهار ، ولافتقارها الى صورة
حديثه له أجلس شخما يعرفه مع رسام ، وطلبت اليه ان يصف نجاتي بدقة ،
وعندما جهزت الصورة اعتقلت السلطات سمسارا وبائعا متجولا ومعلم مدرسة ،
اشتبهت بهم ثم أطلقت سراحهم . (٢)

وفي صيف ١٩٤١ ، عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني
اجتماعا طارئا قررت فيه ايفاد بعثة الى مؤتمر البروفنتن (اتحاد النقابات الدولية)
الذي سيعقد في موسكو ، وقد مهد لذلك باجتماع للنقابات التي يسيروها الحزب
والمتأثرة بسياسته ، وتم في هذا الاجتماع التمهيدي بحث نقاط منها : علاقة
المستدروت بالعمال العرب ، ودور النقابات العربية في فلسطين ، وتأليف اتحاد
نقابات مستقلة او الانضمام الى اتحاد النقابات الوطنية ومركزها حيفا . وفي
نهاية الاجتماع الذي عقد في حي (البقعة) في القدس تقرر ايفاد عضوين ، عربي
ويهودي لحضور مؤتمر البروفنتن وكان نجاتي هو العضو العربي ، (٣) فسافر الى
موسكو حيث شارك في المؤتمر الذي اتخذ مجموعة من القرارات التي تؤلف منهجنا
للنقابات العمالية العالمية في تلك الفترة ، وأبرز ما اتخذ من هذه القرارات
بصدد فلسطين : " تنظيم النقابات العمالية العربية في اتحاد عام يضمه الى

(١) المذكرات : ص ١١٦ .

(٢) المذكرات : ص ١١٦ .

(٣) المكان نفسه .

البروفتتين ، والمطالبة بمساواة العمال العرب واليهود بالاجور وساعات العمل . " (١)

وعند عودته من هذا المؤتمر ، كاد ان يقع في قبضة البوليس البريطاني بتهمة دخول البلاد بجواز سفر مزور ، ولكنه افلت من ذلك بأن تعاشى النزول في محطة يافا ونزل في اللد ومن هناك استقل سيارة شحن تحمل البرتقال الى القدس . (٢)

اعتقاله :

أدركت سلطات الانتداب الامبريالية ، أهمية خدلة الحزب الجديدة التي أقرها المؤتمر السابع للحزب ، الرامية الى تنشيد عمل الحزب بين صفوف الجماهير العربية ، فصعدت حملاتها القمعية ضد الشيوعيين بهدف منحهم من تطبيع خطه التعريب . (٣)

فعندما عقدت اللجنة المركزية للحزب اجتماعا في قرية لفتا في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣١ ، حضره نجاتي ومعمود الاطرش وبرزلاي ، وناقشوا فيه فكرة استئجار عمودين من صحيفة مقدسية ، واسناد تحريرها الى معلم مدرسة ابتدائية كان من أصدقاء الحزب ، وعندما توجه ثلاثتهم الى مكان التلاقي الواقع بين لفتا

(١) المذكرات : ص ٩٩ .

(٢) المذكرات : ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٣) مجلة (شئون فلسطينية) عدد (١١٣) ص ٣٥ .

ومحنايسودا ، حاصرههم البوليس البريطاني ، وألقى القبض على محمود الاطرش ونجاتي فقط . (١)

ونقل هذان القائدان العربيان الى السجن القائم في ساحة السرايا في يافا ، حيث قضيا شهرا ، ثم أربعة شهور من التوقيف في سجن القدس المركزى ، وفي الثامن والعشرين من آذار ١٩٣١ قدما للمحكمة ، وكانت التهم الموجهة ضد هما : حيازة مناشير سرية والانتماء الى حزب غير قانوني ، والدعوة الى قلب النظام الاجتماعي بالقوة ، ووجهت لنجاتي وحده تهمة تزوير جواز سفر الا أن ذلك لم يثبت ضده ، وصدر الحكم عليهما بالسجن مدة سنتين ابتداء من تاريخ توقيفهما حكما قابلا للاستئناف . (٢)

وبعد ذلك نقل القائدان الى سجن القدس المركزى (المسكوبية) فاستغل نجاتي فترة اعتقاله لزيادة التحنن من اللغة الانكليزية ، وقاد عصيانا ضد ادارة السجن احتجاجا على الطعام الرديء وسوء المعاملة ، ولكنه تضرر لضرب وحشي من الحراس مما اضطر ادارة السجن الى نقله الى المستشفى الحكومي ، حيث قضى ثلاثة أيام ، نقل بعدها مع محمود الاطرش الى سجن قلعة عكا ، حتى أواخر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٢ ، حيث اطلق سراحهما .

-
- (١) ذكر لاكور أن نجاتي اعتقل في يافا سنة ١٩٣٠ ، والصحيح أنه اعتقل في القدس سنة ١٩٣١ ، ولكن محاكمته كانت في يافا . انظر المذكرات : ص ١٣٣ - ١٣٤ ، وانظر لاكور ، والتر : الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط . ترجمة لجنة من الاساتذة ، (بيروت : المكتب التجارى ، ١٩٥٦) ص ١٢٤ (الهامش) .
- (٢، ٣) المذكرات : ص ١٣٤ . وقد أورد نجاتي وقائع المحاكمة وشهادة شقيقه أحمد ضده وفسرها بالضغط النفسي الذي تعرض له شقيقه .

وبعد خروجه من المعتقل مباشرة ، كلفته اللجنة المركزية للحزب الاتصال بعوني عبدالهادي زعيم حزب الاستقلال من أجل التنسيق بين الحزبين ، (١) ولا يروى بجاتي هذه النقطة في مذكراته ، ولكنه تحدث عن مساودة الاتصال بمحمد الحسيني . (٢)

وأقام بجاتي مع زوجته في غرفة في حي (المصرارة) في القدس مدة خمسة أشهر ، تعرض خلالها للمراقبة المشددة والمضايقة اليومية من سلطات الانتداب ، وعشية عيد العمال الاول من أيار ١٩٣٣م اعتقل اعتقالا اداريا لمدة أسبوع ، ثم صدر عليه حكم اداري أن يخضع لمراقبة البوليس سنة كاملة على أن يثبت وجوده في دار الشرطة ثلاث مرات كل يوم . (٣)

وقد عاش بجاتي فترة صعبة تحت مراقبة الشرطة ومضايقتها اليومية ، الى أن قررت اللجنة المركزية أن يترك القدس خفية وينتقل إلى مقرها الجديد على جبل الكرمل في حيفا ، وفي هذه الأثناء وردت تعليمات من الكومنتن بأن يسافر إلى باريس . (٤)

(١) مجلة (شؤون فلسطينية) عدد (١١٣) نيسان ١٩٨١ ، ص ٤١ .

(٢) المذكرات : ص ١٣٤ .

(٣) المذكرات : ص ١٣٧ .

(٤) المذكرات : ص ١٣٨ .

فسي باريس :

غادر نجاتي فلسطين سرا في حزيران ١٩٣٣م ، برفقة زوجته عن طريق رأس الناقورة الى لبنان ثم استقبلوا فالنمسا ومن هناك توجهت زوجته الى موسكو لتكون الى جانب ابنتها ، وواصل هو سفره الى باريس .

وفي باريس وكلت به الرفيقة رازوموفا مندوبة الكومنترن في العاصمة الفرنسية ، وعهد الى فتاة اسمها سوزان مهمة العناية به والقيام على حاجاته . وفي باريس أيضا ، تم الاتفاق على اصدار مطبوعة شهرية باللغة العربية . (١)

و " الشرق العربي " هو اسم الصحيفة الشهرية التي اصدرها نجاتي صدقي في باريس تحت اسم مستعار هو مصطفى العمري (٢) وكان مديرها المسئول رجل فرنسي لا يعرف العربية قط ، وبعد جهد عثر نجاتي على مطبعة تحوى حروفا عربية . (٣)

وكان لهذه الصحيفة مكتب شكلي في أحد متفرعات شارع (غامينا) تشرف عليه الفتاة سوزان ، وجعل نجاتي سكناه في ضاحية كلامار خارج باريس ومن هناك كان يحرر الصحيفة ويؤب موادها ويهدمها للشحن الى شمال افريقيا وسائر البلاد

(١) المذكرات : ص ١٣٩ - ١٤٢ .

(٢) ورد ذكر " الشرق العربي " في الفهرس المسمى ب (٢٢٠٠ مجلة وجريدة

عربية) وضع عبدالغني أحمد بيوض ، وحسن حنفي ، والحبیب الفقي .

— باريس : المكتبة الوطنية ، ١٩٦٥ ، ص ٧٥ . وذكرت بأنهم

صحيفة شهرية رئيس تحريرها مصطفى سعيد . ولم أستطع الحصول على

أو عدد من هذه الصحيفة سواء من باريس أو لندن أو البلاد العربية .

(٣) المذكرات : ص ١٤٢ .

العربية ، ويتلقى الرسائل والصحف المتبادلة وقد صدر العدد الأول من " الشرق العربي " في أيلول ١٩٣٣. (١)

وكانت "الشرق العربي " توزع سرا في البلاد العربية ، وترسل في أغلب الأوقات طي الصحف الفرنسية بقصد السرية . وعلى الرغم من الرقابة الشديدة كان القراء — كما يقول نجاتي — يتلقونها ويكتبونها ، ويرسلون لها مقالاتهم واقتراحاتهم . وبعد صدور العدد الأول منها هبت دوائر الأمن الفرنسية تبحث عن هيئة تحرير هذه الصحيفة ، وتعرض نجاتي لزيارة رجال الأمن ومحاولتهم المستمرة لمعرفة مكان سكناه ، دون جدوى. (٢)

وظلت " الشرق العربي " تصدر شهريا حتى أوائل صيف ١٩٣٦م عندما عطلها رئيس الوزارة الفرنسية (المسيو لافال) بمرسوم خاص. (٣) وعن نهج هذه الصحيفة ، يقول نجاتي :

" وكان نهج هذه الصحيفة العربية : الدعوة إلى مناهضة الاستعمار في العالم العربي ، ومباشرة الحركات الوطنية الاستقلالية وتأييد كل حركة ترمي إلى الإصلاح الاجتماعي في صفوف جمهرة الكادحين وقد ركزت جل اهتمامها في الدفاع عن عرب شمال افريقيا ، تساعد حزب العمل الدستوري في تونس ، وجماعة العلماء المسلمين في الجزائر وتشن الحملات على دولة

(١) المذكرات : ص ١٤٥ .

(٢) المذكرات : ص ١٤٥ .

(٣) المذكرات : ص ١٤٥ - ١٤٦ .

الانتداب والصهيونية في فلسطين ، وتطالب باستقلال سوريا
ولبنان ، وتجاهه سياسة (فرق تسد) في العراق وتؤيد
حزب الوفد في مصر . " (١)

وبعد تعطيل صحيفة "الشرق العربي" تلقى نجاتي تعليمات من الكومنتن
بالتوجه الى موسكو ، فسافر بجواز مزور مما كاد يوقعه في مشاكل لا نهاية لها مع
رجال الامن النازي (الخستابو) ولكنه نجى . (٢)

في موسكو مرة ثانية :

وصل نجاتي موسكو في صيف ١٩٣٦ ، وفي مقر الكومنتن التقى بخالد بكداش
الامين العام للحزب الشيوعي السوري ، ودار بينهما نقاشا مختلفا فيه في وجهات
النظر حول القضية العربية ، ويقول نجاتي أن اختلافهما كان نتيجة تمسك خالد
بوجهة نظر ستالين الثائلة برجسية وحدة الامة العربية ، في حين كان نجاتي
" يتمسك بوجهة نظر عمالية تقول بوحدة أوضاع الشعوب العربية ، وبوحدة
المصير والهدف " . (٣)

ويحزو نجاتي سبب تمسك خالد بكداش بوجهة نظره هذه الى " اثبات تمسكه
بالطاعة العمياء لتعاليم ستالين ، وشعوره الملازم بأن الوحدة العربية حركة مناهضة

(١، ٢) المذكرات : ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٣) المذكرات : ص ١٤٧ .

لمصالح الاقليات القومية بما في ذلك الاقلية الكردية التي ينتمي اليها (بكداشر) . (١)

واحتكم نجاتي وخالد في هذه القضية الى جيورجي ديمتروف (٢) ومانولسكي (رئيس القسم الشرقي في منظمة الكومنترن) ، بحضور الزعيم الصيني ماوتسي تونغ الذي كان في الثالثة والاربعين حينذاك وفي زيارة لموسكو ودافع نجاتي عن رأيه مبينا أن وضع الشعوب العربية يختلف عن وضع شعوب يوغسلافيا مثلاً ، فالعرب يتحدثون من أصل واحد ، ويشتركون في اللغة ، والاقتصاد ، (٣) والثقافة والتاريخ والحركة التحررية ، ولكن ديمتروف لم يفتح بكلامه هذا ، ويفسر نجاتي ذلك بتأثير ديمتروف بالوضع الانفصالية البلقانية ، أما ماوتسي تونغ فقد أيد نجاتي مستنداً الى نقطة واحدة أساسية هي أن الوحدة العربية قوة جامعة في مقارعة الاستعمار . (٤)

(١) المذكرات : ص ١٤٨ ، وسنلاحظ أن لقاء نجاتي بخالد واختلافهما ، سيكون فاتحة للزمالة المشتركة في قيادة الحزب الشيوعي السوري ، وفي الوقت نفسه ، فاتحة في اختلافهما وانفصال نجاتي عن الحزب .

(٢) جيورجي ديمتروف : كان رئيساً لمنظمة الكومنترن ، وأميناً عاماً للحزب الشيوعي البلغاري ، ولد في ١٨٨٢ وتوفي قرب موسكو سنة ١٩٤٦ ، واشتهر بكتاباتهِ عن القاشية ومعاداته لها . انظر :

زولدومسكي وستوتيشيف : أنا وأنت وديمتروف ، (دمشق : مطبعة

الجمهورية ، بدون تاريخ) ص ١٠ ، ص ١٥٨ ، وغيرها .

(٣) بعد ذلك تنازل نجاتي عن القول باشتراك الامة العربية في العامل الاقتصادي ، وقال أن الرابطة الاقتصادية تنقص الامة العربية مما يقف حائلاً أمام توحيدها . انظر :

مجلة (الجمهور) السنة الثالثة ، ١٩٣٩ ، عدد ١٠٦ .

(٤) المذكرات : ص ١٤٦ .

وبعد هذا النفاذ ريمدة وجيزة اقترح مانولسكي على نجاتي أن يسافر إلى
دلشقد ليطلع على التجربة السوفياتية في حل المشكلة القومية ، فسافر معه خالد
بكداش ، حيث مكثا هناك عشرة أيام ، تجولا خلالها في الأماكن السياحية والأثرية ،
وشاهدا أوبريت ليلي والمجنون وفقا لنص الشاعر الأذربيجاني (مير عليش نوائي)
المتوفى سنة ٩٠٦ م . (١) ويقول نجاتي عن زيارته لدلشقد :

" . . . فزيارتنا لدلشقد كانت على الجملة نوعا من
السياحة والترفيه والحصول على انطباعات أولية ، ولم يكن بوسعنا
خلال عشرة أيام إجراء دراسات ومقارنات ، إضافة إلى أننا كنا
نجهل دخائل القوم (أهل دلشقد) تماما . " (٢)

في إسبانيا :

بعد عودته من دلشقد بأسبوع واحد ، اقترح عليه مانولسكي أيضا فكرة السفر
إلى إسبانيا لمساعدة الحزب الشيوعي هناك في تنظيم الدعاية الحربية في الأوساط
المخربة ، لأن " قيام حركة استقلالية في المغرب العربي اليوم (١٩٢٦) يزعزع
الأرض التي يقف عليها الجنرال فرانكو ويقرر مصير شمالي إفريقيا بأسره . " (٣)

(١) بعد ذلك بمدة طويلة كتب نجاتي دراسة مقارنة عن قصة ليلي والمجنون بين

الادبين العربي والفارسي . انظر :

مجلة (ثقافة الزيت) مجلد ١٩ ، العدد ٢ ، صفر ١٣٦١ هـ ،

أبريل ١٩٧١ م ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٢، ٣) المذكرات : ص ١٥٥ .

وتلقى نجاتي هذا الاقتراح بحماسة بالغة ، فسافر الى باريس جوا فوصلها في العاشر من آب ١٩٣٦ ، وهناك اتصل بالدوائر المختصة في الحزب الشيوعي الفرنسي لتأمين سبل السفر المناسبة الى اسبانيا المشتعلة بنار الحرب الاهلية . وبعد ثلاثة أيام قضاها في باريس ، سافر بالنقطار وفي بورت بو الاسبانية الواقعة على حدود فرنسا ، أجريت له المعاملة الرسمية من تسجيل وحصول على بطاقة متطوع ، وبطاقة تنقل في الاراضي الجمهورية . (١) وفي اسبانيا كان نجاتي يلقي الدعاية والاستغراب لتطوعه وهو العربي في صفوف الجمهوريين ، خاصة إذا عرفنا أن كثيرا من العرب المغاربة كانوا في صفوف الديكتاتور فرانكو . (٢)

أقام نجاتي فترة في برشلونة عاصمة قذالونيا ، ثم انتقل الى مدريد في الوقت الذي كانت فيه قوات فرانكو تزحف من الجنوب ومن الجنوب الغربي الى الشمال ، وفي مدريد توجه الى بيت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسباني فرحبوا به حيث كانوا ينتظرون قدومه وقد تلقوا تعليمات خاصة من الكومترن بهذا الشأن . (٣) واتخذ من بيت يقع في ساحة (سرنو) في مدريد مقرا له يكتب فيه المقالات المتنوعة للصحف ، والنشرات باللغة العربية للجنود المغاربة .

وفي مدريد أيضا ألحقته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسباني بالرفيق (فيسنث أوريبي) وزير الزراعة والمصني بالشئون المغربية في حكومة الجمهورية الاسبانية ، فاتخذ لنفسه اسما حركيا جديدا هو (مصطفى بن جلا) لأنه وجد في هذا الاسم رنيناً مغربيا ، فضلا عن أنه امتداد لمصطفى سعدى في جامعة

(١) المذكرات : ص ١٥٦ .

(٢) المذكرات : ص ١٦٢ .

(٣) المذكرات : ص ١٦٥ .

كوتف ، ومصطفى السعيد في صحيفة الشرق العربي (١).

وكان نجاتي في اسبانيا يلتقي بشكل متواصل بالزعماء الاسبان الجمهوريين وعلى رأسهم السيدة (دولوريس ايباروري) المطبقة بالسينوناريا أي الام السرورم ، الزعيمة الرمزية لليسار الاسباني (٢).

وكانت طبيعة مهمة نجاتي الدعائية تتطلب منه أحيانا ان يتقدم للصفوف الامامية من الجبهة ، مثلما فعل عندما توجه الى جبهة قرطبة برفقة عدد من ضباط الفرقة الدولية المحاربة في صفوف الجمهوريين ، وتحدث الى الاسرى من الجنود المشاركة ، ودعا المحاربين منهم للانضمام الى صفوف الجمهوريين ، وكان يخاطبهم بمكبرات الصوت ، ويلقي عليهم نشرات مكتوبة باللهجة العربية المغربية (٣).

ومن انجازات نجاتي صدقي المرتبطة بنشاطه الدعائي في اسبانيا ، تشكيل الجمعية الاسبانية المغربية بمساعدة فتاة اسبانية اسمها (كارمن) ، وعدد من الشباب الاسباني المتحمس لخدمة القضية المغربية ، وكانت هذه الجمعية - كما يقول نجاتي - تهدف الى :

" تنظيم الدعاية في جبهات القتال في اتجاهين محيين :
أولا : حث الجنود المشاركة على الانضمام الى صفوف الجمهوريين

(١، ٢) المذكرات : ص ١٧٠ - ١٧٢ .

(٣) المذكرات : ص ١٧٦ ، وقد أورد نجاتي هنا نص حديث أجراه معه كولتوف

مندوب (البرافدا) السوفياتية شرفي ٢٠ أيلول ١٩٣٦ . وأورد كذلك نصا لأحد المنشورات التي كان يوزعها على الجنود المشاركة .
أنظر أيضا لذلك : مجلة (المكشوف) السنة الرابعة ، عدد

١٦٦ ، ص ٧ .

واقناعهم بأن الجمهورية ستترك لهم حرية تقرير المصير . .
ثانيا : افهام الجنود الاسبان أن الجنود المفاربة ليسوا فريقا
في الحرب الاهلية الاسبانية ، انما هم قد غرر بهم أو استدرجوا
للقتال بسبب يؤسهم وسوء أحوالهم المعيشية الناتجة عن سيادة
الاستعمار الاسباني . " (١)

ولكن الرفاق الاسبان — كما يذكر نجاتي — أخذوا عليه تشكيل مثل هذه
الجمعية فدافع عن موقفه هذا مؤكدا انه لا يستطيع القيام بأى عمل مشر بمفرده ، وأن
عليه أن ينظم حركة يحاونه فيها الاسبان والمفاربة معا . وقد ظلت هذه الجمعية
تعمل وتتسع الى ان غادر نجاتي صدقي اسبانيا ، فانقطعت أخبارها عنه . (٢)

في الجزائر وباريس :

بعد خمسة شهور قضائها في اسبانيا ، راح نجاتي صدقي يشمر أن مهمته
بدأت تتعثر ، فخذ يأخذ يلمس أن الرفاق الاسبان كانوا في موقفهم من المفاربة
نظريين أكثر منهم عمليين حسب تعبيره — . وخاصة فيسنته أوربيه المسئول عن
الشئون المغربية في حكومة الجمهورية الذي لم يكن يثق بالمفاربة على حد تعبير
نجاتي صدقي . (٣)

راح نجاتي يفكر في طريقة جديدة أجدر وأنفع في التأثير على الجنود المفاربة ،

(١) المذكرات : ص ١٩٥ . (٢) المذكرات : ص ١٩٤ .

(٢) المذكرات : ص ١٩٥ .

وعلى الريف المغربي جملة ، وهي اقامة محطة اذاعة سرية في الجزائر تثبت بالبريصة
الفصيحة ، وباللهجتين المغربية والقبائلية •

وفي أواخر كانون الثاني (ديسمبر) سنة ١٩٣٦ ، قررت اللجنة المركزية
للحزب الشيوعي الاسباني ، ايفاد نجاتي صدقي برفقة مسؤل اسباني وشخص
جزائري يدعى عمر الوزاني الى مدينة الجزائر ، بقصد انشاء محطة اذاعة عربية فيها ،
تثبت الى افريقيا الشمالية عامة ، وإلى المغرب الاسباني خاصة ، وان تخصص
دعايتها ضد العميلة ، وضد المستعمرين ، وضد العناصر المغربية المخربة التي
تواكب الفاشيست ، وتركز على دعوة المغرب للثورة على المستعمرين (١)

ولهذه الغاية ، سافر نجاتي الى فرنسا أولا لاعداد الوثيقة الفرنسية اللازمة
لدخول الاراضي الجزائرية • وفي الجزائر ، التقى بالشيخ محمد الزهراني (الامين
العام لجمعية العلماء المسلمين) ، في مدينة وهران ، ودار بينهما حديث حول
رسالة الجمعية ، ورئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس ١٨٨٦ - ١٩٤٠ (٢)

وفي فترة انتظاره لانجاز مشروع الاذاعة ، حضر نجاتي حفلة موسيقية أحييتها
الفرقة الفيلهارمونية الفرنسية في المسرح الكبير في الجزائر استمع فيها الى السمفونية
التاسعة لبتهوفن ، وعندما عاد الى فندقه عكف على ترجمة نشيد الحرية أو نشيد
المسرة للشاعر الالماني جوهان فريدريك شيللر (١٧٥٠ - ١٨٠٥) على نية كتابته
مقال عن هذه السمفونية (٣)

(١) المذكرات : ص ١٦٨ • (٢) المذكرات : ص ١٦٨ •

(٣) كتبه بعنوان : " الايقاع الموسيقي التاسع لبتهوفن مع ترجمة لنشيد الحرية "

انظر : مجلة (الطليعة) عدد مارس (فبراير) ١٩٣٧ •

ولكن مشروع الاذاعة أخفق لاسباب فنية قاهرة — كما يذكر نجاتي — فاقترح عليه المسئول الحزبي الاسباني الذي رافقه الى الجزائر ان يعود الى بلاده ، لان العودة الى اسبانيا أصبح لا معنى لها بعد ان بائت الاوضاع في تدهور مستمر ، غير أنه قرر الذهاب الى فرنسا حتى يكون تحركه رسميا . (١)

وحسب ما يورد في مذكراته ، فان عودته الى باريس كانت فاتحة في تأزم علاقاته مع الحزب الشيوعي الفرنسي ، ومع خالد بكداش ، فالحزب الشيوعي الفرنسي لم يعترف به ، وعددّ تصرفه امتدادا للحزب الشيوعي الاسباني أو الكومترن ، وكذلك حاول خالد بكداش اشرافه بالعودة الى اسبانيا ، ولكنه رفض لعلهم أن الاوضاع هناك آيلة للانحسار وقد غادرها معظم المثقفين والاحرار ، واجتاحت أغلبها قوات فرانكو . وهكذا بقي نجاتي في باريس دون أن يعترف به الحزب ، وقد مرت عليه أسابيع لم يكن في جيبه فرنك واحد ، وقد عجز في بعض المرات عن دفع ثمن غذائه ، وفي أحد الايام رفض رفيق رضا (مندوب الحزب الشيوعي السوري في باريس) أن يدفع عنه ثمن الغذاء . (٢)

وأثناء ذلك تعرف الى السيدة الأليزاسية (ليوفانز) رئيسة جمعية مقاومة الاستعمار في باريس ، فأزرتة في موقفه ، واعدت له لقاء مع عمال شمال افريقيا المقيمين في باريس ، حدثهم فيه عما يلاقه الجنود المغاربة من مصير بائس في اسبانيا ، وحث الحضور على المطالبة في الاوساط الفرنسية وفي شمال افريقيا بسحب القوات المغربية من الجبهة الاسبانية ، كما عرفتة كذلك الى الحبيب بورقيبة الذي كان ضيفا على جمعية تابعة للحزب الشيوعي الفرنسي في ذلك الوقت . (٣)

(١) المذكرات : ص ١٦٩ . (٢) المذكرات : ص ٢٠٢ .

(٣) المذكرات : ص ٢٠٣ .

وامتدت اقامته في باريس هذه المرة أكثر مما توقع ، يقول عن هذه الفترة :

" . . وهكذا تضاعفت الشراسة ضدّي في باريس ، ويعود السبب الاساسي فيها الى مجابهتي للنزعات الاستعمارية لدى بعض قادة الحزبين الاسباني والفرنسي معا ، لقد طالبت بتعريب الحزب الشيوعي الجزائري ، وكانت لي مواقف في هذا المضممار أثناء تحريرى لصحيفة الشرق العربي ، كما أبديت استيائي من لا مبالاة قادة الحزب الشيوعي الاسباني تجاه تصفيات الجنود المفارمة ، والقضية المغربية عامة . " (١)

ولاحظ.نجاتي في اثناء اقامته في باريس أنّ الشيوعيين الفرنسيين ظنوا أنه أصبح غير مرغوب فيه من الكومنترن ، هذا الى ما ذكر من انتقاده للموقف الجمهوريين من القضية المغربية ، ومطالبته بتعريب الحزب الشيوعي الجزائري ، مما يفسر بشكل ما سبب جفوتهم له ، ولكن في نيسان (ابريل) ١٩٣٧ ، وردت تعليمات من الكومنترن بتسديد كل ديون نجاتي صدقي في باريس ، وبتزويده ببطاقة سفر الى لبنان مع مبلغ معين ، واعتبر.نجاتي هذه التعليمات التي تؤكد ثقة الكومنترن به ردا على من ناصبه العداء في باريس . (٢)

(١) المذكرات : ص ٢٠٤ .

(٢) المذكرات : ص ٢٠٤ . وقد ذكر.نجاتي هنا ان شيوعيا فرنسيا يدعى (ريشار) أهانه في حضور رفيق.رضا الذي لم يحرك ساكنا الا أن نجاتي تمالك أعصابه كي لا يتسبب في اثاره متاعب حزبيّة تكون شامدا في حقه .

في دمشق :

غادر نجاتي باريس الى دمشق ، وأقام عند خالد بكداش في هي الاكواد مؤقتاً ، ثم استأجر غرفة عند امرأة أرمنية أرمل تدعى (مدام زوهراب) ، وكان الحزب الشيوعي السوري في ذلك الوقت يمارس نشاطه العلني في عهد الجبهة الشعبية الفرنسية ، وفي عهد أول حكومة وطنية سورية مثبتقة عن المعاهدة السورية الفرنسية (تشرين ثاني ١٩٣٦) (١)

وفي دمشق أيضاً ، قدمه خالد بكداش الى شكري القوتلي زعيم الكتلة الوطنية السورية ووزير المالية آنذاك ، والى فايز انخوري وزير الاقتصاد ، كما تعرف الى معظم العاملين في حقول السياسة والصحافة والأدب ، ويذكر نجاتي أن الاحاديث المتداولة آنذاك ، كانت تدور غالباً حول المعاهدة السورية الفرنسية ومدى فاعليتها ، والنضال ضد الصهاينة والانجليز في فلسطين والخنزوا الايطالي الفاشستي للحبشة ، والنازية الالمانية واحتمال وقوع حرب عالمية ثانية . يقول عن ذلك :

" وكانت وجهات النظر متضاربة في مواضيع الساعة السياسية ، غير أن الكل مجمع على مبدأ الاستقلال والتحرر من السيطرة الفرنسية بأية وسيلة ممكنة ، بل ان هناك من يتبنى الخلاص عبر حرب عالمية ثانية وغزو نازي فاشستي للمنطقة . " (٢)

وبعد اسبوع من اقامته في دمشق ، اسندت اليه مهام منطقة دمشق الحزبية ، ويقول نجاتي عن موقعه الحزبي آنذاك ان مهامه الحزبية في دمشق انحصرت في ساحيتين : الثقافية والادبية ، " أما الاعمال التنظيمية والمسئولة فكان يتمسك

(١) المذكرات : ص ٢٠٥ . (٢) المذكرات : ص ٢٠٢ .

بها خالد كلياً باعتبار أن زعامة الحزب تعود اليه فقط ، فهو شديد الحساسية في أمر الأفراد بالسلطة على الطريقة الستالينية التي تتلاءم مع حسب السيطرة والزعامة في الشرق .» (١)

ويبدو أن العلاقة بين نجاتي وخالد لم تكن ودية «سلسة على الدوام» وفي الحديث عن هذه العلاقة ما يضيء لنا الطريق، ويكشف عن بعض الملابس التي أحاطت بظروف انفصال نجاتي عن الحزب الشيوعي .

ففي مذكراته ، أشار نجاتي غير مرة بلمهجة مبطننة بانتقاد مباشر أو غير مباشر الى مواقف خالد بكداش الشخصية والحزبية ، يقول مثلاً : " وقد أدخل بكداش تعديلات شرقية في بعض المفاهيم الحزبية " واعتبر نجاتي هذه التعديلات راجعة الى سمات بطرياقية في شخصية خالد ، ومن ذلك المهابة البالغة التي كان خالد يحيط بها نفسه في حله وترحاله ، ومنها أيضاً اقداامه على اصدار عدد خاص من صحيفة الحزب (الى الامام) بمناسبة وفاة والده ، لانه كان أحد ثسوار غوطة دمشق ضد الاستعمار الفرنسي سنة ١٩٢٥م (٢) ، وبذلك — كما يرى نجاتي — خرق خالد أبسط القواعد النضالية ، وحول صحيفة الحزب الى صحيفة عائلية ، ولو أنه أصدر هذا العدد عن سلطان الادارشر قائد الثورة ورؤسها لكان الامر معقولاً . (٣)

كما أشار نجاتي غير مرة بلمهجة تشبه التذمر الى الوصاية الفكرية التي حاول خالد فرضها عليه ، من ذلك أن خالد انتقده مرة لأنه كتب مقالاً عن بتهوفن ونشره

(١) المذكرات : ص ٢٠٩ .

(٢) المذكرات : ص ٢٠٩ وما يليها . وهنا يفصل نجاتي في هذه التعديلات التي أدخلها خالد .

(٣) انظر ذلك بتفصيل في المذكرات : ص ٢١٢ وما يليها .

في مجلة الطليعة . (١) فكتب رسالة الى رفيق رضا في باريس قال فيها :

" لقد أرسل الرفيق سعدى مثالا الى مجلة الطليعة يعالج فيه موضوع الشيوعية التاسعة لبتنهوفن . . برك ما هـذا القرف . " (٢)

وقريب من ذلك نشر كتاب " عربي حارب في اسبانيا " الذي شرع نجاتي في نشره مسلسلا في الصحف بدون ذكر اسمه المصريح ، ولكن خالدا نشره على شكل كتاب باسمه هو كي تكون " المعلومات المنشورة ذات طابع شخصي بعيد الاثر . " (٣) وقد قبل نجاتي بذلك ولكن عن غير رضا تام كما يبدو ، خصوصا بعد ان احتج بعض أعضاء الحزب الشيوعي الفرنسي لدى خالد لان نجاتي نشر صورة تمثل جنديا مغربيا طويلا يعانق جنديا جمهوريا كان ضئيل الجسد ، دليلا على تأخي الشعبين ، فبعثوا رسالة جاء فيها :

" هذه صورة مغايرة لواقع الحرب الاسبانية ، فالحقيقة تقتضي أن يكون الرجل العملاق هو الجندي الاسباني ، وأن يكون الرجل النحيل هو الجندي المغربي . " (٤)

ويعلق نجاتي على هذا الحادث بقوله :

" فأى احتجاج هذا ؟ . . لقد جلبت تلك الصورة من

-
- (١) انظر (الطليعة) السنة الثالثة . مارس (فبراير) ١٩٣٧ .
 - (٢) المذكرات : ص ٢٠٢ ومن ذلك أيضا تدخل خالد في نشر نجاتي لدراسة " اضهاد العلم والمعلم ابان اندال الدولة العباسية " في الطليعة .
 - (٣) المذكرات : ص ٢٠٧ .
 - (٤) المذكرات : ص ٢١٦ .

مصادر الدعاية الاسبانية ، ولم أكن مخرجاً مصوراً لها . . ثم
ان القضية ليست في ضخامة هذا الجندى أو ذاك ، انما في
المشزى الانساني الذي تحبر عنه تلك الصورة بحد ذاتها . " (١)

ويقول عن نشر كتابه "عربي حارب في اسبانيا " باسم خالد بكداش : " فظن
بعض القراء أن خالد هو ذلك العربي (الذي حارب في اسبانيا) وقد استعمل
صيغة الغائب تواضعا ثوريا منه . " (٢)

ويجمل نجاتي طبيعة علاقته بخالد ، بقوله التالي :

" وكانت علاقة خالد بي تتأرجح بين الثقة والخبرة ، فالثقة
قائمة على رصيدى العلمي والعملى الكبيرين ، والخبرة غريزة لا
تتحكم فيها الا الثقافة بأشمل معانيها .

فكان مثلاً اذا (نرفز) في اجتماع ، وكنت أنا في غرفة
ثانية صاح بأعلى صوته غاضباً : أين أنت يا سعدى ، يا رفيق

(١) المذكرات : ص ٢١٦ .

(٢) المذكرات : ص ٢١٧ ، ولم نستطع العثور على نسخة من كتاب نجاتي هذا ،
سواء في لبنان ، أو في مكتبه في أثينا ، وأغلب الظن أنه
كرّس صغير تولى الحزب طبعه وتوزيعه ، ولكن هناك مقال
منه منشور في (المكشوف) السنة الرابعة ، عدد ١١٦
ص ٧ بعنوان " المراكشيون في نيران الحرب
الاهلية الاسبانية . "

سعدى تعال حالا ، فيدرك الرفاق أنه الرئيس الأعلى وما أنا
إلا مساعد بسيط لديه .» (١)

ويمكن القول في نهاية هذا المجال ، إن نجاتي لم يكن راضيا تماما عن موقعه
في قيادة الحزب قياسا الى موقع خالد ، واعتبارا لخبراته العلمية والعملية ، كما انه
كان يختلف مع خالد في الممارب النفسية والفكرية ، فقد كان نجاتي يضم تحفظات
مختلفة على ستالين وسياسته وبعض مواقفه النظرية ، في حين انه كان يرى خالدا
صدى أعمى لتعاليم ستالين وشخصيته . (٢)

التجديد والفصل :

انتقل نجاتي صدقي الى بيروت بعد أن قررت اللجنة المركزية للحزب نقل
النشاط الحزبي الى بيروت لأنها أكثر ملاءمة للعمل السياسي ، خاصة بعد تأزم
العلاقات السورية الفرنسية ، وظل نجاتي يسهم في تحرير زاوية يومية في جريدة
الحزب " صوت الشعب " ويشترك في بعض أعمال اللجنة المركزية للحزب . (٣)

وفي هذه الاثناء تعرف نجاتي الى رثيف خوري ، وعمر فاخوري وقدرى قلعجي ،
ويوسف يزك ، وغيرهم من الكتاب والمثقفين من أنصار الحزب وكانوا يجتمعون في مكاتب
صحيفة (المكشوف) لصاحبها الشيخ فؤاد حبيش ، الواقعة في البناية نفسها التي تقوم

(١) المذكرات : ص ٢١٧ .

(٢) المذكرات : انظر مثلا الصفحات ١٤٨ ، ٢٠٧ ، ٢١٧ ، ٢١٩ .

(٣) المذكرات : ص ٢٢٠ .

فيها مكاتب الحزب وإدارة (صوت الشعب) . (١)

وذكر نجاتي أنه في عيد العمال الأول من أيار ١٩٣٨ ، عقدت اللجنة المركزية في بيروت اجتماعا ، وقررت توجيه بريقة شكر وامتنان إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي تتضمن تحية حارة بمناسبة عيد العمال ، والشكر للحزب الفرنسي لما بذل من جهد من أجل التصديق على المعاهدتين السورية واللبنانية مع فرنسا ، وحملت البرقية توقيع أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري وهم : خالد بكداش ، وفريح الله الحلو ، ونقولا شاري وسعدى (أى نجاتي صدقي) . (٢)

أما رد فعل الرفاق في باريس على هذه البرقية ، فكان غريبا — حسب ما أورد نجاتي في مذكراته — يقول :

" . . . وما إن تلقى الرفاق في باريس هذه البرقية ، ووقع نظروهم على اسمي ، حتى قامت قيامتهم ، فأسرعوا وأرسلوا كتابا إلى الرفاق في بيروت يعلنون فيه سخطهم على تعاون الحزب معي ، ويطلبون منه أن يحطوا على (تجميدى) أى لا طرد ولا تعاون . " (٣) ويضيف :

"والذى حدث أن انصاع خالد بكداش وزملاؤه لهذه الوصاية الشيوعية الفرنسية ، وراحوا يناصبوني العداء ، وكان عليّ أن أتحمل عبء المتاعب المالية بعد انقطاعي من العمل فسي (صوت الشعب) وإن أسعى إلى تدبير معاشي وكسب قوتي عن

(١) المذكرات : ص ٢٢٠ . (٢) المذكرات : ص ٢٢١ .

(٣) المذكرات : ص ٢٢١ .

طريق العمل الحزبي الصحافة اللبنانية دون أن أصطدم
بـ (الرفاق) . (١)

ولا يعلق نجاتي على قرار تجميده بأكثر من ذلك . ولكننا استنادا الى ما
ذكر في باريس بعد اخفاق مشروع الاذاعة لا نستغرب موتف الحزب الشيوعي
الفرنسي منه ، فقد عومل بشراسة في باريس ، وكاد يصطدم بالشيوعيين الفرنسيين
والاسبان غير مرة لمواقفه من تصريب الحزب الشيوعي الجزائري ، ومن تصفيات
الجنود المضاربة . (٢)

وقد كان الوضع التنظيمي له في باريس شبه مجمد ، ولولا الامر الذي ورد عن
الكومنتن في نيسان (ابريل) ١٩٣٧ لكان نجاتي مجمدا منذ ذلك الحين ، وليس
بعد ذلك بمدة تزيد على السنة .

وربما كان لطبيعة العلاقة بين خالد ونجاتي — التي تكلمنا عنها سابقا —
وما كان بينهما من اختلاف في وجهات النظر ، دور خاص في اتخاذ خالد بكداش
قرار التجميد بوصفه أمينا عاما للحزب الشيوعي السوري .

ولكن المستغرب أن نجاتي لم يشر الى أي تدخل من منظمة الكومنتن في هذا
القرار ، في حين أنها كانت الفيصل في مثل هذه القضايا ، خصوصا والامر يتعلق
بشيوعي عريق من أقدم الشيوعيين الحرب وأكثرهم كفاءة علميا وعمليا ، تدرس بالنضال
الامي في فلسطين وباريس واسبانيا والجزائر وسوريا ولبنان ، كنجاتي صدقي ،
الذي منحته الكومنتن ثقتهما في اكثر من موقع نضالي متقدم .

(١) المذكرات : ص ٢٢١ .

(٢) المذكرات : انظر مثلا الصفحتين ١١٥ ، ٢٠٤ .

وهكذا ، فقد قطع الرفاق تعاملهم معه دون ان يفصلوه من الحزب ، وكان عليه أن يتدبر امر معاشه ، فعمل محررا للمصفحة الاقتصادية في جريدة (النهار) ، وأشرف على التحرير الاقتصادي في مجلة (الجمهور) لصاحبها ميشال أبي شهلا . (١)

وبعد اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية انضم نجاتي الى اسرة مجلة (المراحل المصورة) لصاحبها غرييل خبّاز . وحسبما يذكر فقد أصبح خاليا من المسؤوليات الحزبية ، ووجد نفسه حرا في التعبير عن آرائه وتحديد مواقفه دون الرجوع الى مراجع حزبية أو سياسية ، يقول عن هذه الفترة :

" . . . وكان علي في هذه المرحلة أن أحدد موقفي السياسي من الاحداث الجارية دون تنقيد برأى أحد غيرو ، وتبين لي أن اتفاقية عدم الاعتداء الموقعة بين هتلر وستالين في ٢١ آب ١٩٣٦ هي اتفاقية زائفة والمقصود منها كسب الوقت ، فهاجمتها بينما الرفاق رحبوا بها ، واعتبروها خطوة حاسمة في التقارب بين الشيوعية الدولية والاشتراكية الوطنية الالمانية . " (٢)

وكانت مهاجمة نجاتي لهذه المعاهدة خاتمة لحياته الحزبية ، وفاتحة لحملة أدبية شنها على الحقبة النازية الهتلرية ، والحقبة الستالينية ، وخاصة في مجال ترجمة الكتب التي تدين هاتين السياستين . (٣) واخذ في هذه الفترة ينشر مقالات في موضوع الاسلام والنازية ، جمعها فيما بعد في كتاب " بقصد تأليب العالم الاسلامي على النازية والفاشية " وقد حددت هذه المقالات ، بشكل نهائي ، حياته الحزبية في صفوف الحركة الشيوعية العربية ، يقول :

(١) المذكرات : ص ٢٢٢ . (٢) المذكرات : ص ٢٢٢ .

(٣) سنتمعرض لهذه المقالات ، وهذه الكتب في الفصل الثاني .

" . . . فموقعي من النازية هذا قد أثار الرفاق في لبنان ،

واعتبروا اعتمادى على النصوص الاسلامية في مواجهة النازية خروجاً
على الحزب ، وقرروا طردى من صفوفه ، ونشروا هذا القرار في صحيفة
حزبية سرية مطبوعة على الجيلاتين . " (١)

وهكذا انتهت مرحلة عامة ، بدأ من حياة نجاتي صدقي ذاتيا وسياسيا وفكريا ،
فقد تداخلت هذه المرحلة (١٩٢٤ - ١٩٣٦) بأحداث هامة ، عطلت على
تشكيل نجاتي صدقي الانسان المناضل المفكر الاديب ، وشارك هو في صنعها وتشكيلها ،
سواء بالتهور بمستوى الحزب الشيوعي الفلسطيني ، وذلك بالمشاركة فعليا في
تحريره مما كان له انعكاسات مهمة على الحزب الشيوعي السوري واللبناني . (٢) أو
المشاركة في حركة اليسار الامة في باريس واسبانيا ، الموجهة بشكل خاص من أجل
الشموب العربية في فلسطين وشمال افريقيا وسوريا ولبنان .

وهذه المرحلة ، كتمها نجاتي مدة سبع وثلاثين سنة تقريبا ، وعندما قرر
اعلانها على الملأ ، كتب مذكراته ، وامتد به الاجل ثلاث سنوات دون أن يحاول

(١) المذكرات : ص ٢٢٢ .

(٢) تحدث سليمان بشير عن مسئولية الحزب الشيوعي الفلسطيني في تشكيل الحزب
الشيوعي اللبناني . انظر : المشرق العربي في النظرية والممارسة
الشيوعية ١٩١٧ - ١٩٢٨ . مرجع سابق . ص ١٢٩ وما بعدها .

نشرهما (١).

وانتهت مرحلة ثانية ، لتبدأ مرحلة ثالثة من مسيرة نجاتي صدقي الحياتية ،
هي مرحلة الانتاج الادبي في ميادين تأليف القصة القصيرة ، والترجمة ، وكتابة
الدراسات الادبية ، والعمل الصحفي والاذاعي .

(١) انتهى نجاتي من كتابة مذكراته في أول يناير (كانون الثاني) سنة ١١٧٦
فسي بيروت • ووافاه الاجل في أثينا في السابع عشر من نوفمبر
(تشرين الثاني) ١١٧٦ •

المرحلة الثالثة : مرحلة الانتاج الادبي ١٩٣٩ - ١٩٧١ .

تقف مذكرات نجاتي صدقي عند زمن انفصاله عن الحزب سنة ١٩٣٩ في بيروت ، وبانتهاء المرحلة السياسية السابقة ، تبدأ مرحلة جديدة من حياة نجاتي ، وصفها بقوله :

"أما المرحلة الثانية من حياتي الفكرية فتتصل بالادب والتأليف والترجمة وكتابة البرامج والتمثيلات الاذاعية والقصة القصيرة . . . وقد نشرت قسما منها في ثلاثة عشر كتابا محفوظة في مكتبة الجامعة الامريكية في بيروت ."(١)

ترك نجاتي بيروت ، وعاد الى القدس سنة ١٩٤٠ ، وقد ذكر السيد يحيى حمودة ان نجاتي عاد الى القدس وهو يحماني من حالة مادية صعبة للغاية ، ولم يكن يملك ما يقوم بحاجته ، وكان ابنه سعيد (٢) في ذلك الوقت لا يزال رضيعا . واستأجر بمساعدة بعض الاصدقاء بيتا في حي المصراة في القدس ، وأخذ يتردد بشكل يومي تقريبا على مكتب المحامي عمر الصالح البرغوثي حيث يلتقيه يحيى حمودة الذي كان في ذلك الوقت محاميا متدربا في مكتب البرغوثي .(٣)

(١) المذكرات : ص ٢٢٥ . لا أعرف لماذا ذكر ان له ثلاثة عشر كتابا فقط في حين وجدنا له عشرين كتابا بين موضوع ومترجم جميعها صدرت قبل كتابة مذكراته عام ١٩٧٦ .

(٢) سعيد نجاتي صدقي يعمل الان مدرسا بقسم الرياضيات في جامعة البرازيل ، وقد وصلتني منه رسالة بصدد البحث الذي اعده عن أبيه .

(٣) مقابلة مع السيد يحيى حمودة في منزله بعمان بتاريخ ١١٨٣/٥/٤ .

وفي السنة التي عاد فيها الى القدس ، بدأ عمله في محطة اذاعة الشرق الادنى للاذاعة العربية . والمرجح أن نجاتي انطلق في عمله هذا من مبدأ مكافحة النازية ، وكان ييث من خلال هذه الاذاعة مقالات وأحاديث في مكافحة النازية والتحذير من شرورها ، ويكاد يكون عمله في هذه الاذاعة استمرارا لحملته ضد النازية والفاشية التي بدأها في بيروت بمقالاته عن الاسلام والنازية . قال السيد يحيى حمودة :

" لقد عرفته طيلة الحرب العالمية الثانية تقريبا ، وكان في أوج نشاطه ضد النازية ، ولم يتحول عن معاداته للامبريالية واليهودية ، ولكنه رأى كثير غيره من الوطنيين أن أي انتصار للنازية ، هو دمار للشعوب العربية . " (١)

عاش نجاتي في فلسطين حتى نكبة ١٩٤٨ ، مكبا على العمل الاذاعي والانتاج الادبي ، اذ بدأ ينشر قصصا قصيرة في المجلات الادبية العربية وظهرت له في هذه الفترة ترجمات عن القصة والشعر ، ودراسات أدبية متنوعة ، ومقالات قصصية وصحفية في مجالات متعددة ، وانتج قبل النكبة كذلك دراستين عن بوشكين وتشخوف صدرتا في كتابين مستقلين ، كما تواصلت أعماله الاذاعية وتنوعت .

ولما سقطت فلسطين في أيدي الصهاينة سنة ١٩٤٨ ، انتقلت الاذاعة التي كان يحمل فيها الى قبرص ، فصحبها وعاش في مدينة ليماسول القبرصية حتى سنة ١٩٥٠ م ، وبعدما عاد الى بيروت وعمل في الصحافة والادب وكتابة الاعمال الاذاعية

(١) المقابلة السابقة ، وقد أكد على ذلك كل من السيد عمام عباسي والدكتور اسحق الحسيني في مقابلة أجراها نيابة عني الاستاذ عادل الاسطة في القدس بتاريخ ٢٧/٥/١٩٨٣ .

دون أن يرتبط رسمياً بوظيفة ما ، وظل يعتاش من عمله الحرفي الصحافة والاذاعة حتى سنة ١٩٧٦م عيشة نقية متواضعة ، ولما اشتدت الأوضاع الداخلية في بيروت ، وزادت تأزماً ، انتقل الى أثينا ليكون الى جانب ابنته السيدة " هند " زوجة السيد " محمود الزبيق " حتى وافاه أجله في السابع عشر من نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٧٩^(١) ، بعد حياة نقية زاخرة بالعمل والعطاء سياسياً وثقافياً إذ تواصل عطاء نجاتي وفيضه الثقافي مدة تزيد عن الأربعين عاماً .

وجل أعمال نجاتي صدقي في مجالات القصة القصيرة ، والترجمة ، والدراسة الأدبية ، والمقالة ، والتقارير الصحفية ، والبرامج والتمثيلات الإذاعية قد ظهر في هذه الفترة ، حيث ترك آثاراً غزيرة في هذه المجالات نشرها في عشرين كتاباً متنوعة ، هي :

أولاً : في مجال الدراسة الفكرية أصدر نجاتي كتاباً واحداً هو " التقاليد الإسلامية والمهادنة النازية ، هل تتفقان " صدر في بيروت : دار الكشاف ، ١٩٤٠ .

ثانياً : في مجال الدراسة الأدبية ، أصدر ثلاثة كتب هي :

١ . بوشكين أمير شعراء روسيا . القاهرة : دار المعارف بمصر ،

سلسلة اقرأ ، (٢٨) ١٩٤٥ .

٢ . تشيخوف . القاهرة : دار المعارف بمصر ، سلسلة اقرأ

(٥٠) ١٩٤٧ . (٢)

٣ . مكسيم غوركي . القاهرة : دار المعارف بمصر . سلسلة اقرأ

(٦٢) ١٩٥٦ .

(١) د . هاشم ياغي " أضواء كاشفة على حياة نجاتي صدقي " مجلة (قافلة

الزيت) مرجع سابق ، ص ١٦ .

(٢) صدر هذا الكتاب مرة ثانية عن الدار نفسها سنة ١٩٥٦ .

ثالثا : في مجال تأليف القصة القصيرة ، صدرت له مجموعتان قصصيتان هما :

٠١ الاخوات الحزینات ، القاهرة : دار المعارف بمصر ١٩٥٣ . (١)

٠٢ الشیوعي المليونير ، بیروت : دار الكتاب العربی ١٩٦٣ .

رابعا : في مجال الترجمة ، استطعنا العثور له على الكتب التالية :

٠١ فون بابن يتكلم ، تأليف فرانس فون بابن ، بیروت : دار

بیروت ١٩٥٢ .

٠٢ قصص مختارة من الادب الصيني ، بیروت ١٩٥٢ . (٢)

٠٣ قصص مختارة من الادب الروسي ، بیروت : دار بیروت ١٩٥٢ .

٠٤ قصص مختارة من الادب الاسباني ، بیروت : دار بیروت ١٩٥٣ .

٠٥ الارملة الطول وقصص من العالم ، بیروت ١٩٥٣ .

٠٦ الخنفسة الذهبية ، ثلاثة عشر قصة قصيرة للكاتب الأمريكي

ادغار ألن بو ، ترجمها نجاتي عن الانجليزية .

صدرت في بیروت عام ١٩٥٤ . (٣)

٠٧ وراء الاسلاك ، تأليف مرغريت بوبر ، بیروت : دار الكاتب

١٩٥٤ .

٠٨ بريد موسكو ، تأليف ليديا كيرك ، بیروت : دار الكتاب

(— ١٩٩٥)

٠٩ رحلة ايما ، تأليف فولديمار فيدام وكارك وال ، بیروت :

دار الكتاب (— ١٩٩٥)

٠١٠ معركة شيلوه (رواية) ، تأليف شلي فوت ، بیروت (— ١٩٩٥)

(١) صدر هذا الكتاب مرة ثانية ضمن سلسلة " احياء التراث الفلسطيني " التابع

لمركز الابحاث الفلسطيني (م . ت . ف .) بیروت ١٩٨١ .

(٢) صدر مرة ثانية عن الدار نفسها سنة ١٩٥٤ .

(٣) صدر مرة ثانية عن الدار نفسها بعنوان " القط الاسود " سنة ١٩٦٤ .

- ١١ • بيتي زنجر ، مؤسس حرية الطباعة في العالم الجديد ، تأليف
جالت توم ، بيروت : دار الكتاب ١٩٥٥ •
- ١٢ • الحصادون ، صورة من البطولة في الحب والجهاد ، تأليف
لوفراند كانون الابن ، بيروت : دار بيروت ، ١٩٥٧ •
- ١٣ • كارمن (رواية) تأليف بروسبير ميرميه ، بيروت : دار
عويدات ١٩٥٧ •

وعدا عن ذلك ، فقد ترك بجاتي صدقي آثارا غزيرة متنوعة في الصحف الادبية
العربية منذ أربعينيات هذا القرن حتى سبعيناته ، وأشهر هذه المجلات : الاديب ،
الرسالة ، الجمهور ، المكشوف ، الطليعة ، الكتاب ، قافلة الزيت ، القلم الجديد ،
الرائد العربي ، وغيرهما • وسنأتي للحديث عن هذه الاعمال المنشورة في الكتب
والمجلات في الفصلين التاليين ، كل في حينه . (١)

(١) فيما يتعلق بأعماله الاداعية فاننا سنفرد كشفا خاصا لما استطعنا الحصول
عليه ، من مكتبته في أثينا • أما آثاره المنشورة
في الصحف والمجلات فاننا سننصف ما استطعنا حصره منها في
فهرس " بيبليوغرافيا " ملحقه بهذا البحث •

نجاتي صدقي مفكرا ومترجما وناقدا

أولا : نجاتي صدقي مفكرا

— مدخل

— أبرز دراساته الفكرية :

— الحركة الوطنية العربية °

— اضطهاد العلم والعلماء ابان انحلال الدولة العباسية

— الاسلام والنازية °

— التقويم :

نجاتي صدقي من " الحركة الوطنية العربية " الس

" التقاليد الاسلامية والمبادئ النازية .. "

- امتازت المرحلة الثانية من مسيرة نجاتي صدقي الحياتية (١٩٢٤ — ١٩٣٩)
 بغزارة انتاجه في المجالات الفكرية المتنوعة ، فقد كتب في هذه المرحلة مقالات
 ودراسات في مجالات فلسفية وسياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة ، نشر أغلبها
 في (الطليعة) و (الجمهور) و (المكشوف) وهي حسب تاريخ نشرها :
 ٠١ عبد الرحمن بن خلدون أول فيلسوف عربي يحاول تفسير التاريخ ماديا . (١)
 ٠٢ ابن خلدون ضد المثالية : انتقاده المثل للمؤرخين العرب الذين
 يضعون الخرافات أساسا لأبحاثهم . (٢)
 ٠٣ شارل روبرت داريون ١٨٠٩ — ١٨٨٢ : حياته ، نظرياته ، آراء
 خصوصية . (٣)
 ٠٤ رينيه ديكارت والمادية الميكانيكية : بمناسبة مرور ٣٠٠ سنة على
 كتابه (بحث في الطريقة) . (٤)

-
- (١) الطليعة : السنة الثالثة ، ١٩٣٧ ، عدد (١) .
 (٢) الطليعة : السنة الثالثة ، ١٩٣٧ ، عدد (٤) . وقد عرض الدكتور
 هاشم ياغي بتفصيل لهذين المقالين في كتابه : النقد الادبي
الحديث في فلسطين (القاهرة : معهد البحوث والدراسات
 العربية ، ١٩٦٣) ص ١٥٤ — ١٦٦ .
 (٣) الطليعة : السنة الثالثة ، ١٩٣٧ ، العددان (٦ و ٧) معا .
 (٤) الطليعة : السنة الثالثة ، ١٩٣٧ ، عدد (٨) .

- ٥٠ الحركة الوطنية العربية من الانقلاب الاتحادي حتى عهد الكتلة الوطنية ، وهي من دراساته الموسعة ، نشرها سلسلة في (الطليعة) بسين ١٩٣٧ - ١٩٣٨ ، وهذه الدراسة في الأصل أطروحته المقدمة الى جامعة (كوتف) في شباط ١٩٢٩ . وعندما نشرها في الطليعة مدّ فيها حتى شملت تاريخ الحركة الوطنية العربية حتى سنة ١٩٣٦ . (١)
- ٥١ اضطراد العلم والعلماء ابان انحلال الدولة العباسية ، وهذه أيضا من دراساته الطويلة نسبيا ، نشر قسمها منها في (الطليعة) ثم استكمل نشرها في (المكشوف) (٢) ، وهذه الدراسة في قسمين : الاول يعالج حالة العلم والعلماء في الشرق ابان تدهور الدولة العباسية . والثاني يعالج حالة العلم والعلماء في الأندلس .
- ٥٢ وفي سنة ١٩٣٦ ، كتب نجاتي عددا من المقالات في موضوع الاسلام

(١) الطليعة : الأعداد من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٧ - حتى ابريل (نيسان) ١٩٣٨ . وقد ألحق نجاتي هذه الدراسة بمذكراته (مخطوطة) ص ٢١٨ وما يليها .

(٢) الطليعة : السنة الثالثة ، ١٩٣٧ ، العدد (٧)

ص ٥٧٠ - ٥٨٠ .

والمكشوف : السنة الخامسة في الأعداد التالية :

العدد (١٨٢) ص ١٤ ، والعدد (١٨٣) ص ١٤ ،

العدد (١٨٦) ص ١٥ ، والعدد (١٨٧) ص ٥ ،

والعدد (١٨٨) ص ٥ .

والنازية ، ثم جمعها ونشرها في كتاب مستقل عنوانه (التقاليد الاسلامية والمبادئ النازية هل تتفقان ؟ بحث علمي اجتماعي سياسي ديني) . (١)
٥٨ وفي سنة ١٩٣٩ أيضا ، عمل نجاتي صدقي محررا اقتصاديا في مجلة (الجمهور) ، فأثمر عمله مقالات عديدة في المجالات الاقتصادية المختلفة ، ولا سيما الاقتصاد اللبناني ، وكانت الجمهور تنشر مقالاته أحيانا تحت اسم (البحاث الاقتصادي الكبير الأستاذ نجاتي صدقي) . (٢)

وهناك بعض الآراء المتفرقة التي تركها نجاتي صدقي ماثلة في ثنايا مقالاته ودراساته الأخرى المتنوعة ، في فترات متطوِّرة من عمره ومن مسيرته الثقافية ، وسنشير إليها في حينها .

أما في دراستنا لأعماله الفكرية والسياسية السالف ذكرها ، فإننا سنقتصر على محاولة الوقوف على منهجه في معالجة هذه القضايا المختلفة ، تاركين التفاصيل والجزئيات الآ بقدر ما يخدم وقوفنا على منهجه .

(١) صدر في بيروت : دار الكشاف ، ١٩٤٠ .

(٢) الجمهور : أنظر العدد (٩٦) من السنة الثالثة ١٩٣٩ ، ص ١٥

والأعداد من ٩٨ حتى ١٢٣ .

أبرز دراساته الفكرية

أ - الحركة الوطنية من الانقلاب الاتحادي حتى عهد الكتلة الوطنية •

قال عنه غسان كنفاني :

"ونجاتي صدقي ، الصوت اليساري المبكر ، الذي
في ١٩٣٦ ، مجّد مادية ابن خلدون ، وأعلن احتقاره
للمثالية وربما كان هو أول من أرّخ للحركة الوطنية العربية
منذ عصر النهضة ، عبر تحليل مادّي للأحداث " . (١)

لحدّ أكثر ما يميّز نجاتي صدقي في دراساته ، هو المنهج المادّي
الواقعي في تناوله للقضايا الحياتية والفكرية المتنوعة ، وقد تجلّى ذلك فسي
معظم دراساته ومقالاته التي بدأ ينشرها في الصحف منذ ثلاثينات هذا القرن ،
ومن ضمنها هذه الدراسة المبكرة التي تدرس الأحداث والتطورات التاريخية
للحركة الوطنية العربية من وجهتها المادية •

ونحن هنا ، لا يهمّنا أن نعرض لهذه الدراسة أو سواها عرضاً تفصيلياً
يلحق الجزئيات ، ولكن يهمّنا أن نتتبّع منهج نجاتي في تناوله للقضايا الهامة
التي عالجها في بحثه هذا ، وعلى وجه الخصوص قدرته على التحليل والتعليل
وحوار التاريخ واستقراء حوادثه عبر ادراكه لعدد من المحاور الهامة التي

(١) غسان كنفاني : ثورة ٣٦ - ٣٩ في فلسطين ، خلفيات وتفاصيل وتحليل

(القدس : منشورات صلاح الدين ، ١٩٧٦) ص ٥٢ - ٥٣ •

تضمنتها دراسته هذه ، وأهمها :

- مدى ادراكه للتنافس الذي أثارته البرجوازية التركية حين اصطدمت بالبرجوازية العربية .
- مدى ادراكه للتحول في الاستثمار الى مرحلة الامبريالية .
- مدى ادراكه للظروف التي نشأت فيها المؤسسات السياسية كالأحزاب والجمعيات .

وهنا نشير الى أن أو فصلين هذه القضايا المتداخلة المترابطة ، سيكون فصلا اعتسافيا ، وان جاء ، فهو ليس إلا على سبيل الفرز الدراسي ، لا أكثر .

منذ بداية دراسته ، رفض نجاحي التفسيرات المثالية القائلة بأن انفراق العرب والأتراك في الاتجاهات السياسية قبيل الانقلاب الاتحادى في ٢٣ تموز ١٩٠٨ ، يرجع أساسا الى الرابطة الاسلامية الممثلة بالخلافة ، وقال أن هذا الاتفاق يرجع الى أسباب أعمق من ذلك بكثير ، إذ أنه كان أساسا نتيجة الرغبة المشتركة في " تحطيم الحكم الحميدى ومثل الاقطاعية الاستبدادية المطلقة " (١) .

لقد اجتمع الطرفان على هذه الرغبة ولكل منهما هدف ، فالأتراك رغبوا في تحطيم الحكم الحميدى مدفوعين بحامل الانقلاب البرجوازى الديمقراطى الرامى الى كسر شوكة السلطان ، وتمكين العناصر التركية من السير بالبلاد نحو التطور البرجوازى ، والعرب رغبوا في تحديدهم " مدفوعين بحامل التحرر الوطنى الرامى في هدفه التاريخى الى الانفصال عن الأتراك ، وایجاد مقومات خاصة بالشعب العربى الحرية تضمن لها سيادتها القومية السياسية الاقتصادية " (٢) . وهكذا اجتمعت

(١) الظليمة : عدد (٨) نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٣٧ . ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .

الرغبتان ، وكانت الوحدة العثمانية والرابطة الاسلامية مظهرها خارجيا فقط لاجتماع المصالح والرغبات .

أما متى بدأ الغرب يحسّون أنهم أمة ، وليسوا رعايا عثمانية مظلومة وحسب ، فإنّ نجاتي يحدد ذلك بالتاريخ الذّي أخذت فيه حركتهم القوميّة شكلا منظما واعيا ، ويقترح تاريخ سقوط السلطان عبد الحميد " مثل الاقطاعية المستبدة " (١) واعلان الدستور في ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٠٨ ، بداية لتبلور الشعور القومي العربي ، أما ما سبق ذلك من انتفاضات عربية ، وثورات ضدّ الأتراك ، فانه لا يزيد عن الارهاص بالحركة العربية القادمة .

وطبقا لهذا التحليل ، فإن الانقلاب الاتّحادي قد وضع حجر الزاوية للانقلاب الكمالي البرجوازي ، ومن هنا ، بدأ الشعور القومي العربي بالتطور نتيجة لاعلاء النزعات البرجوازية التركية من شأن القوميّة الطورانية ، على حساب المصالح القوميّة لشعوب الامبراطورية ، ورأت هذه البرجوازيات في نظام الامبراطورية " نظاما حيويا للنهب والاستثمار " فاختل التقارب التركي العربي ، وحلّ محله النضال القومي ، اذ تبين للعرب أن " اذ طهادهم كأمة ، انتقل من يد السلطان ممثل الاقطاعية المطلقة الى يد اله ناصر البرجوازية التركية " (٢) وظهر لهم أنّ الاتحاديين قد رفعوا عنهم نير الاقطاعية في محاولة لوضع نير جديد هو النير البرجوازي ، ممّا فجّر في الصرب شعورهم بأنهم أمة مستعمرة (بفتح الميم الثانية) وضخّم هذا الشعور أخذ الأتراك بسياسة التريك ، وازفاء الصبغة التركية على كل شيء حتى اللغة والدين .

(١) المصدر السابق نفسه ، ص ٢٢٨

(٢) المصدر السابق نفسه ، ص ٢٢٩

كل ذلك ، كان في رؤية نجاتي نذيرا ببداية احساس الحرب بقوميتهم ، وليس عاملا لظهور الحركة القومية العربية ، بل " سببا مباشرا عن وضع قد اختتم ونهيات شروطه بشكل ما " (١) ، أما العامل الرئيسي في نجاتي في بداية تغلغل الرأسمال الغربي في البلاد العربية ، وادخال هذه البلاد ضمن مجال التنافس الرأسمالي ، يقول :

" . . فتأسست في الحواصم العربية البنوك الأجنبية بكثرة مثل (أوتومان بانك) و (ديتشه الفميينه بانك) و (الكريد ليونه) وغيرها ، وأنشئت مخاليفها فلسطين الاقتصاديات العربية ، وأخذ العرب يهتمون بحركات البورصة والكامبيو ، واتصلوا بالشركات الرأسمالية الأجنبية ، فنتج عن ذلك كله بروز جماعات شبه رأسمالية عربية أخذت تعممسل متأثرة بالرأسمال الأجنبي ، ومحاولة تتبع خطاه على تحطيم الحواجز التي أقامها الأتراك في سبيل تطور اقتصاديات الحرب ، ووسائل انتاجهم " . (٢)

وهكذا ، فان هذه البرجوازيات العربية الصاعدة ، رأت في البرجوازيات التركية منافسا يسلبها شخصيتها وسبل تطورها ، فأخذت الحركة العربية بقيادة برجوازياتها تخرج من معقلها شيئا فشيئا ، وسعت لأن تأخذ شكلا تنظيميا بحسب

(١) المصدر السابق نفسه ، ص ٧٣١ .

(٢) المصدر السابق نفسه ، ص ٧٣١ . وانظر الصفحات من ٧٢٩ الى ٧٣١

من المصدر نفسه ، ففيها حديث مفصل لنجاتي عن العلاقات الانتاجية في البلاد العربية في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ، التي اعتبرها خاضعة للاستثمار الزراعي الاقطاعي المستبد ، الى جانب بعض أشكال التجارة ، والحرف البسيطة التي نشأت على هامش الاقطاع .

أن ظهرت نوايا البرجوازية التركية التحكيمية ، فانسحب العرب من جميع نوادي الاتحاديين ، وأخذوا يؤلفون لذاتهم النوادي والأحزاب والجمعيات مثل (جمعية الاخاء العربي) و (المنتدى العربي) و (الجمعية العربية الفتاة) وسواها ، واضعين أمام أعينهم شعارا واحدا لا غير هو " المساواة بالأتراك " وهو شعار المرحلة الأولى من تاريخ الحركة الوطنية العربية ، أي من ١٩٠٨ — ١٩١٢ ، حسب تقسيم نجاتي صدقي (١).

وقد ناضل العرب — حسب نجاتي — أربع سنوات (١٩٠٨ — ١٩١٢) ممثلين في جمعياتهم وأحزابهم تحت شعار " المساواة بالأتراك " ولكنهم أدركوا خلال هذه السنوات الأربع ، عبث المطالبة بمساواة الحاكم والمحكوم ما دامت النزعة البرجوازية التركية المتحكمة هي التي تقود السياسة التركية في البلاد العربية ، فسقط شعار (المساواة بالأتراك) ليحلّ مكانه شعار جديد هو (الاستقلال الذاتي) أو (اللامركزية الإدارية) ، وهكذا ، فإن الحركة الوطنية العربية تدخل مرحلة جديدة ، تهدف تاريخيا الى الانفصال عن الأتراك ، وقد ساعد على هذه النقلة — في رأي نجاتي — ما رآه العرب من حركات البلقان الانفصالية عن الامبراطورية التركية ، مما قوى في نفوسهم أمر المطالبة بالاستقلال ، ثم ان العرب تخوفوا من هجمات الدول الاستعمارية لا سيما بعد استيلاء الطليان على ليبيا سنة ١٩١١ . كما أن طامع الدول الغربية في جسم الامبراطورية العثمانية ، وهو ما يعرف بالمسألة الشرقية ، قد طرح من جديد على بساط بحث الدول الغربية ، كل ذلك كان — كما يرى نجاتي — من المقدمات السياسية

(١) فيما يتعلق بتفصيلات أوفى عن هذه الجمعيات أنظر :

مجلة (الطليحة) : عدد (١) ١٩٣٧ . ص ٨٦٢ — ٨٦٦ .
ففيها تفصيلات عن ظروف نشوئها وأسماء مؤسسيها
وأهدافها ومطالبها .

لدخول الحركة العربية الوطنية مرحلتها الثانية ، ومن خصائصها :
" المطالبة بالاستقلال الذاتي ، واصلاح الحالة
الاقتصادية في البلاد العربية ، وتهيئة وسائل الدفاع في حالة
هجوم الدول الاستعمارية العربية على هذه البلاد " (١).

وفي مثل هذه الظروف ، ونتيجة لتفاعل كل المقدمات السياسية والتاريخية
السالفة ، ولتحقيق الشعار المرفوع في المرحلة الثانية لحركة العرب الوطنية ، ولدت
مؤسسات سياسية من جمعيات وأحزاب تختلف في الهدف والبرامج عن تلك التي
تأسست في المرحلة الأولى ، ومنها (حزب اللامركزية الادارية) و (جمعية البصرة
الاصلاحية) و (النادى العلمى الوطنى فى بغداد) و (جمعية بيروت الاصلاحية)
و (جمعية العهد) و (جمعية بعث لبنان) ، وهذه الجمعيات تجمع كلها
على مطلب أساسي هو " الحكم اللامركزي " أو تأليف حكومات مؤسسة على قواعد
اللامركزية في الحكم في البلاد العربية ، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية (٢).

وبحاول نجاتي أن يحيط بالظروف العالمية التي اكتنفت تطور الحركة العربية
الوطنية ، ويرى أن الدول الاستعمارية بدأت تحسب ألف حساب لحركة العرب
الوطنية ، فرأت بريطانيا وفرنسا أن بالامكان الاستفادة من حركة العرب التحررية ،
في حين أن ألمانيا رأيت وجوب وأد هذه الحركة ، وعملت على هذا الاساس عند

(١) الطليعة : عدد (٩) ١٩٣٧ . ص ٨٥٩ - ٨٦٠ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ص ٨٦٢ - ٨٦٦ ففيها تفصيلات
وافية عن هذه المؤسسات السياسية ، ومؤسسيها ،
وبرامجها .

حليفها تركيا . ولكن نجاتي يرى أن الدول الغربية كانت دائمة التربص بجسم الامبراطورية المربوطة طمعا في الاستيلاء على حصة منه ، سواء بالاحتلال العسكري أو بالنفوذ الاقتصادي أو كليهما ، وهذا زاد في تخوف العرب من طمع الدول الاستعمارية في بلادهم ، فتنادى أحرارهم وطلّاع حركتهم القومية الى وجوب انعقاد مؤتمر لهم ، فكان مؤتمر باريس^(١) الذي أرسلت لجنته التحضيرية رسالة الى (الحزب اللامركزي) في القاهرة تنص على وجوب رفض العرب لأي احتلال أجنبي ، وتطالب تركيا بوجوب تطبيق الاصلاحات ، وتقتصر عقد هذا المؤتمر لبحث نقاط منها :

- الحياة الوطنية ومناهضة الاستعمار الغربي الحديث .
- حقوق العرب في السلطة التركية .
- ضرورة الاصلاح على قاعدة اللامركزية .
- المهاجرة من سوريا واليهما .

ويرى نجاتي أن هذه المطالب تنبع من الضرورة التاريخية للمرحلة الثانية التي كانت الحركة العربية تخوضها ، وفي الوقت ذاته يرى أن المفاوضات التي لحقت هذا المؤتمر بين أقطاب الاتحاديين ، وبين الزعماء اللامركزيين الحزب — مع أنها أوجت بنوع من الهدنة بين الطرفين — إلا أنها في الوقت ذاته ، أدت الى انشقاق في صفوف اللامركزيين نتيجة استمالة الاتحاديين لبعض الزعماء الحزب الذين يسميهم نجاتي (المنتمين) وجعلت القسم الآخر يتشدد في مواقفه ، ويطرح مطالب أكثر جذرية . (٢)

(١) الطليعة : العددان (١ و ٢) معا عن شهرى كانون أول وشباط ١٩٣٨ ص ٤٣ . وفيها تفصيلات عن مؤتمر باريس ولجنته التحضيرية .

(٢) المصدر نفسه : ص ٤٥ — ٤٦ .

ويعطي نجاتي مؤتمر باريس أهمية تاريخية كبرى ، ويؤى أنه :
" أعلى نقطة تنظيمية في الحركة الوطنية العربية ، وقد
جمع في مقراته أقصى ما تمناه العرب في ذلك الوقت ، وهو
الاستقلال الداخلي ، ومشاركة الدولة التركية في المسئوليات
العامة ، وكان مؤتمرا لجميع الجمعيات والأحزاب العربية
المنتشرة في بلاد العرب ، المطالبة بشعار المرحلة الثانية
وهو اللامركزية الإدارية أو الاستقلال الداخلي " . (١)

ويؤى كذلك أن هذا المؤتمر :

" كان عملا تقديما في نضال العرب التحريري ، ومن
مزاياه الخاصة أنه مهد الأفكار ، وحدث الهمم للدخول في
فترة الانتقال من المرحلة الثانية المطالبة بالاستقلال الداخلي ،
الى المرحلة الثالثة المطالبة بالاستقلال التام " . (٢)

ويعتبر أيضا أن الشدة في اللهجة مع الحكام الاتحاديين ، والتهديد
بالعصيان المدني ، يدل على تطور له أهميته ومفراه في الحركة الوطنية العربية ،
وان أهم ما تتصف به فترة الانتقال هذه ، كان في التنظيم أولا ، وفي تغيير
اللهجة ثانيا .

ويواصل نجاتي تأريخه للحركة الوطنية العربية ، بمنهج مادي جدلي
يتجلى في ادراكه لمجمل الظروف المعقدة تاريخيا واقتصاديا وسياسيا ، التي

(١) المصدر نفسه : ص ٤٨ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٤٨ — ٤٩ .

أنتجت هذه الحركة ، ورافقت مسيرتها ، وأثّرت في تحولاتها ، ويروى أنّ وصول هذه الحركة الى ما بعد مؤتمر باريس ، قد وضع الحكام الأتراك في موقف حرج ، وزاد موقفهم هذا حرجاً تدخل الاستعمار الألماني الصناعي الضخم في قرارهم ، اذ منع الاتحاديّين من ابداء أيّ تجاوب مع مطالب الحركة الوطنية العربية المتساعدة . (١)

ويتساءل نجاتي ممهداً للدخول في مناقشة المرحلة الثالثة :

" فكيف تستطيع تركيا المكبلة بقيود الامبريالزم الألماني أن تخفّف الحمل عن كاهل العرب ، وتمنحهم استقلالاً داخلياً ؟ " (٢)

والاجابة عن هذا السؤال — ضمن سياق البحث — أدّت به الى مناقشة دواعي الحرب العالمية الأولى وظروفها ، وهو يرى أنّ هذه الحرب كانت حَسْداً فاصلاً في إعادة تخطيط البلدان التي رسمها الاستعمار القديم وإعادة تقسيم الامبراطوريات القديمة وفقاً لما تقتضيه البيوتات الصناعية الضخمة ، والمصارف المالية الكبرى الممثلة للاستعمار الجديد (الامبريالزم) (٣)

(١) المصدر نفسه : ص ٤٩

(٢) المصدر نفسه : ص ٥٠

(٣) الطليعة : عدد (٣) ١٩٣٨ ، ص ٢١٤ . وهنا تجب الإشارة الى ان

نجاتي يرفّر اعتبار حرب (١٩١٤) بداية تغلغل الامبريالزم في

البلاد العربية ويروى أنّ هذه البلاد تمصرف لمطامير الاستعمار الحديث

القائم على تصدير رؤوس الأموال وجعل المستحمرات أسواقاً للبضائع

الرأسمالية طوال القرن التاسع عشر . أنظر ذلك مفصلاً الطليعة :

عدد (٤) ١٩٣٧ — ص ٨٥٦ — ٨٥٦ .

وهكذا ، وجدت تركيا نفسها في موقف حرج ، برأت أن الخرون منه يستم
بالبطش بزعماء الحركة العربية ، والاستعانة ببعض الزعماء السابقين ، الذين
يسمىهم نجاتي (الرجعيين) أمثال (عبدالحزب شاويش) و (عبد الرحمن
اليوسف) و (شكيب أرسلان) وغيرهم ممن أسسوا في دمشق (حزب الإصلاح
الحقيقي) الذي يعتبره نجاتي قد لعب دورا مخزيا في مناوأة الحركة القومية
العربية. (١)

وعندما زج الأتراك بأنفسهم في خضم الحرب العالمية الأولى ازداد قمعهم
لزعماء الحركة العربية ، أما ردود فعل هذه الحركة فكانت على مستوى المرحلة ،
اذ لم يعد العرب يكتفون بشعار الاستقلال الذاتي بل تعدوا ذلك الى المطالبة
بالاستقلال التام ، وهذا معناه في رأي نجاتي — الاصطدام بالأتراك وجها لوجه .
وهكذا دخلت الحركة العربية مرحلتها الثالثة المطالبة بالاستقلال التام . (٢)

ويرى أن الحركة العربية التي أصبحت على شفا الاصطدام المسلح
بالأتراك ، قد أفرزت جمعيتين ثوريتين جديدتين ، كان في برنامجهما المطالبة
بالاستقلال التام وهما :

(الجمعية القبطانية أو الجمعية الثورية) و (جمعية الجامعة العربية)
اللتين قام زعماؤهما بالاتصال مع الزعامة الارستقراطية للجماعات البدوية المتواجدة
في الحجاز وعلى رأسها شريف مكة (حسين بن علي) .

وكما يرى نجاتي ، فان قبول هذه الارستقراطية بالمشاركة في حركة العرب

(١) الطليعة : عدد (٣) ١٩٢٨ . ص ٢١٧ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٢١٦ .

التحررية ، لا يرجع بالدرجة الأولى الى روابط الجنس والدين والتاريخ ، مع ما لهذه الروابط من أثر فعال في انهماك الهمم ، بل هناك عوامل مادية أقوى تتلخص في أن هذه الارستقراطية رأت في الانضمام الى حركة العرب مكاسب مادية وسياسية جمّة ، أهمها الخروج من المأزق الاقتصادي الشديد الذي جاء بعد سنوات من القحط ، وتوقف موسم الحج ، نتيجة الحصار الذي ضرب على البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى ، كما أن بإمكانها أخذ نصيبها من الاراضي الخصبة التي يسيطر عليها الأتراك ، وغير ذلك من المكاسب . (١)

ويستبعد نجاتي التفسيرات المثالية لما دفع العرب الى اختيار شريف مكة قائدا لحركتهم ، وينزلها الى مستويات تالية ، أما الأسباب الجوهرية عنده ، فهي نابعة من ضرورات مادية تاريخية ، يأتي بها ، ويرهن عليها بتفصيل . (٢)

الثورة العربية " العامة " :

يرفض نجاتي اطلاق اسم الثورة العربية الكبرى على الثورة التي اندلعت ضد الأتراك في ١٠ حزيران ١٩١٦ ، ويفضل اسم الثورة العربية العامة ، ويسوق لذلك تفسيراً وجيهاً ، مفاده أن الثورات الكبرى تؤدي الى تغيّيرات نوعية كبيرة ، كما هو الحال في الثورة الفرنسية الكبرى التي قضت على الاقطاعية وأوجدت مجتمعا برجوازيًا ، والثورة الامريكية الكبرى التي انتهت بالانتصار على الانجليز ، واعطاء بعض الحريات للزنوج ، وقيام نظام ديمقراطي في الولايات المتحدة ، والثورة الروسية الكبرى التي انتهت بالقضاء على النظامين الاقطاعي

(١) يناقش نجاتي سبب قبول هذه الارستقراطية ، بتفصيل أنظر :

المصدر نفسه : ص ٢٢٠ - ١٢١

(٢) أنظر (الطلیعة) : عدد (٤) ١٩٣٨ ص ٣٢٥ - ٣٢٦ ففيهما

تفصيلات شافية حول هذا الموضوع .

والرأسمالي ، وأعلنت نظاما اشتراكيا جديدا .

ويتساءل نجاتي ويحيب :

"أما الثورة العربية ، فما هي نتائجها ؟ .. حقا
انها انتهت بالقضاء على الحكم التركي المستبد ، ونهبت
في الحرب شعورهم القومي ، ولكنها لم تخلصهم حريتهم
القومية التامة ، ولم تحدث في حياتهم الاجتماعية أية تغييرات
هامة ، فانتهى الأمر بوقوعهم تحت نير استعمارى جديد ذو
مفعول شديد الوطأة ، وعليه فان الثورة العربية هي
ثورة عامة ، اشترك فيها كل العرب جنبا الى جنب ، ولكنها
ليست كبرى ، فالثورة العربية الكبرى هي الثورة المقبلة ."(١)

وهذه الثورة في نظر نجاتي أيضا ، كانت ثورة وطنية ترمي الى استقلال
الشعوب العربية ، وعلان سيادتها القومية على أراضيها ، وهي أيضا :

"ثورة تاريخية دامية سجلت بمداد الفخر في تاريخ
حركة العرب الوطنية التحررية ، وموقف الدول الاستعمارية
منها هو موقف من استفاد من الشيء الموجود ، وليس أنه
هو أوجد هذا الشيء ، والفرق واسع بين الحالة
الأولى والثانية ."(٢)

(١) المصدر السابق نفسه : ص ٢٢٨

(٢) المصدر السابق نفسه : ص ٣٢٧

وفي رأيه أيضا أن هذه الثورة استطاعت الفوز على الأتراك ، ولكنها
منيت بالفشل في الحصول على الاستقلال ، إذ أنها سهّلت على الانجليز
والفرنسيين أمر الاستيلاء على البلاد العربية لابتعادها أربعين ألف جندي
تركي من ميدان القتال . (١)

ويستمر نجاحي صدقي في هذه الرؤية العلمية الجدلية لمسيرة الحركة
الوطنية العربية حتى سنة ١٩٣٦ ، ويحصر لتفصيلات تاريخية كثيرة ، ليس
هنا مجال عرضها ومناقشتها .

(١) المصدر السابق نفسه : ص ٥١٥ — ٥١٦ . وفيهما يناقش نجاحاتي
الأسباب التي أدت في نظره إلى اخفاق الثورة العربية في الحصول
على الاستقلال التام . كما يناقش الدور المزدوج
للاستقراطية البدوية الذي أثار سلبا وإيجابا على
ثورة العرب التحررية . انظر ذلك مفصلا في :
الطليعة : عدد (٤) ١٩٣٨ ، ص ٣٢٦ — وما بعدها .

ب — اضهاد العلم والعلماء ابان انحلال الدولة العباسية :

تمتاز دراسة نجاتي صدقي هذه بجرأتها في النظر الى تراثنا عبر منهج مادي جدلي يري حركة المجتمع التاريخية الاقتصادية سبيلا لدراسة حالة العلم والثقافة وطرائق التفكير فيه .

ويركز نجاتي في هذه الدراسة على حرية الفكر والتصريح بالرأى في الدولة العباسية ، وفي الأندلس ، وهو يرفض منذ البداية اعتبار الكنيسة الأوروبية — في العصور الوسطى واضهادها للعلماء والمفكرين أمثال (غاليليو)^(١) و (كوبرنيكس) و (سرفيتوس) وسواهم — بداية لاضهاد العلم والعلماء ، بل يري أن هؤلاء العلماء المضطهدين كانوا حلقة في سلسلة بدأت في عصور سابقة ، ومنها العصر العباسي المتأخر ، وقد بدأت هذه السلسلة بعلماء ومفكرين أمثال الحلاج ، وابن سينا ، والشفقي ، والرازي ، والقداح ، وابن توما ، وابن البقري ، وابن رشد ،

(١) ذكر نجاتي أن (غاليليو الايطالي ١٥٥٤ — ١٦٤٢) قد أحرق وهو

يقول عن الأرض " ومع ذلك فهي تدور " . انظر :

الطليحة : عدد (٧) ١٩٣٨ ، ص ٥٧٠ .

والواقع أن (غاليليو غاليلي) قد أجبر فقط على التنازل عن تأييده

لفكرة (كوبرنيكس) القائلة بدوران الأرض ، وقد مثل من أجل

ذلك أمام محكمة كنسية في روما مرتين الأولى سنة ١٦١٦ ،

والثانية سنة ١٦٣٢ . انظر :

وابن حزم ، وغيرهم من العلماء العرب الذين لا قوا التعذيب ، أو فقدوا حياتهم
دفاعاً عن أفكارهم في الدنيا والدين . (١)

ولا يهمننا في هذا المجال الأمثلة الكثيرة جدا التي يضر بها نجاتي صدقي ،
ولا ارتباطها بحوادث تاريخية بعينها ، اما يهمننا أن نقف على رؤيته لهذا
الموضوع ، ومهجه في تفسير ذلك .

يفسر نجاتي اعتناء العرب بالعلم ، وتقديرهم للعلماء في شباب الدولة
العباسية أيام المأمون والرشيد وسواهما بأنه نابع من مكانتهم السياسية
والاقتصادية ، فبعد أن يسوق أمثلة كثيرة تؤكد اهتمام الخلفاء العباسيين الأول
بالعلم والعلماء ، يقول :

" أن كل ما أتينا به من أقوال لهو حجة دامغة على
حقيقة مكانة العلم والعلماء أيام الخلفاء العرب الأولين
عندما كان العرب حلقة الاتصال التجاري ما بين الشرق والغرب ،
فمصلحتهم التجارية تطلبت منهم أن يبرزوا في العلوم الرياضية ،
والملاحة ، والفلك ، والطب ... الخ ، ولما اكتشفت طريق
رأس الرجاء الصالح ، وغيرها من الطرق التجارية ، وفقدت
موارد دولتهم ، وتقطعت أجزاء ممتلكاتهم ، وتقهرت بالتالي
الحالة العلمية في أوساطهم ، صار حكامهم يحترمون العلماء

(١) الطليعة : عدد (٧) ١٩٣٨ ، ص ٥٧٠ . وقد ترجم نجاتي في
دراسته هذه لهؤلاء المفكرين معتمداً في أغلب الأحيان على
" وفيات الأعيان " و " معجم الأدباء " و " الملل والنحل "
و " نفح الطيب " وغيرها من المصادر العربية فقط .

والفلاسفة كفّارا بينما يلقبهم الخليفة المأمون بصفوة
الله من خلقه . " (١)

وقد يكون في رأي نجاتي هذا شيء من التطرف، أو على الأقل ، وقسوع
في التفسير المادى الميكانيكي ، ولكنه يظل في جميع الأحوال منهج جديد جرى
بالنسبة لزمانه ، أما كيف يفسّر هو هذا الانقلاب في الميزان الحضارى العربى ،
من ارتفاع شأن العلم والعلماء في شباب الدولة العباسية ، الى اضطهاد العلماء
واحراق كتبهم أيان انحطاطها ؟

يرى نجاتي أن (أبا حامد الغزالي) كان أول من رفع لواء اضطهاد
العلم والفلسفة في تاريخ الخلافة العباسية ، فقد :

" قاوم هذا اللاهوتي المتعصب الفلسفة مقاومة عنيفة ،
وكفّر كل من يدرسها ، وعلى هذا الأساس بني اضطهاد
الفلاسفة والفكرين بعده . " (٢)

ويستند في حكمه هذا على الغزالي ، على موقف الغزالي نفسه من
الفلسفة والعلوم الطبيعية ، ويسوق من أجل ذلك أقوالا كثيرة للغزالي ، ومنها
قوله عن الطبيعيين :

" والطبيعيون قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة ،
وعن عجائب الحيوان والنبات ، ألا أنهم لكثرة بحثهم عن
الطبيعة ظهر عندهم أن للمزاج تأثيرا عظيما في قوى الحيوان ،

(١) المصدر السابق نفسه : ص ٥٦٣

(٢) المصدر السابق نفسه : ص ٥٧٤

فظنوا أن القوة العاقلة في الانسان تابعة لمزاجه أيضا ،
وانها تبطل ببطلان مزاجه فتعدم ، ثم اذا انعدمت فلا
يحقل اعادة المعدوم ، كما زعموا أيضا أن النفس تموت ولا
تعود ، وهؤلاء أيضا زنادقة يجب تكفيرهم . " (١)

ويرجع نجاتي موقف الخزالي هذا من الفلسفة والعلوم الطبيعية إلى
أصوله الاجتماعية ، فالخزالي في نظره ، ينتمي تاريخيا إلى فترة انحطاط
الدولة العباسية ، وللتدليل على هذا الانحطاط يأتي بأمثلة وأقوال كثيرة
تدل على ضعف الخلفاء ، واستشراف الفساد في السياسة والادارة وشئون
الاقتصاد ، وبعد ذلك يقول :

" والمعروف في التاريخ أن انحطاط الحكم يتسبب
غالبا عن انحطاط حالة البلاد الانتاجية ، والمالية ،
والتجارية ، ومتى بلغت البلاد ، هذه المرحلة في حكمها
وفي اقتصادياتها ، تنتقل العدوى إلى حياتها الروحية
والفكرية ويظهر فيها علماء يدعون إلى مجارة تيار الانحطاط .
وما الخزالي مع علمه الواسع ، وغزارة مادته ، بل وعبقريته
اللاهوتية إلا داعية للانحطاط ، ومحرضا لقطار العلماء
والفلاسفة . " (٢)

ويواصل حديثه عن الخزالي قائلا :

" ولم يقتنع الخزالي بتكفير علماء عصره ، بل أخذ
يصدر أحكام التكفير والزندقة على العلماء الذين ماتوا منذ

(١) المصدر السابق نفسه : ص ٥٧٤

(٢) المصدر السابق نفسه : ص ٥٧٦

عشرات ومئات السنين ، فقد كُفّر ابن سينا والفارابي في كتابه
المنقذ من الضلال . " (١)

وبعد هذا التحليل المستند الى أرضية مادية قوامها أن حركة المجتمع
العلمية كالثقافة والفكر والعلم ، مرتبطة ارتباطا جدليا بحركته التاريخية الاقتصادية —
يترجم نجاتي لعدد كبير من العلماء والمفكرين الذين سجنوا ، أو عذبوا ، أو قتلوا ،
أو أحرقت كتبهم ، سواء في عصر الغزالي ، أو بعده ، ولكن الغزالي — أحل
قتلهم . (٢)

ويمثل هذا المنهج يعالج نجاتي في القسم الثاني من دراسته حالة العلم
والعلماء في الأندلس ، ويقف طويلا عند محاكمة الفيلسوف العربي (ابن رشد)
وما تلاها من اذاعة (الحاجب المنصور) لمنشوره الشهير القاضي يمنع تداول
الفلسفة ، وأحرق كتبها . (٣)

ويستعرض حوادث كثيرة في مجال ملاحقة المفكرين والفلاسفة ، وعلماء
الفلك ، ويدعم ذلك بأقوال مؤرخين أمثال (ابن حزم) و (سعيد الطليطلي) ،
وغيرهما ، ولكنه لا يوافقهم في ارجاع سبب اضطهاد الفلاسفة ، وأحرق كتبهم ،
الى جور الحاكم الفلاني أو عدله ، فالمسألة في رؤية " مسألة انحطاط " وجزر
حضاري ، وان " الحكام الرجعيين يستغلون سذاجة بعض الناس ، وجهلهم

(١) المصدر نفسه : ص ٥٧٦

(٢) الطليعة : عدد (٧) ١٩٣٨ ، ص ٥٨١ وما يليها .

(٣) المكشوف : عدد (١٨٦) السنة الخامسة . ص ١٥ . والعدد (١٨٧)

ص ١٥ فيهما حديث مفصل عن محاكمة ابن رشد ، ومقاطع

من منشور الحاجب .

ويدفعونهم للتكيل بالكتب ومؤلفيها " ويفعلون ذلك في كثير من الأحيان ارضاء
للعمامة ، كما فعل المنصور بن أبي عامر . (١)

وكما فعل في الشق الأول من دراسته ، حشد هنا كشفا ضافيا بأسماء
العلماء الذين تم حبسهم واضطهادهم ، واحرق كتبهم أمثال ابن رشد ،
وابن حبيب ، وابن خلدون ، وغيرهم .

وفي مقاله الختامي المنشور في (المكشوف) بعنوان (تأثير العالم في
حياة الأمة) أوضح نجاتي أن الهدف من دراسته هذه كان التدليل على ان
لحركة التحرر الانسانية ماضيا داميا مليئا بالأحداث الجسام ،

و " أن ما نقوم به اليوم من نضال شديد في سبيل
حرية التفكير وحرية البوح بالقول ، ما هو إلا حلقة من
سلسلة طويلة يرجع أولها الى نضال الحلاج ، والقاسم
والسهرودي ، وابن رشد ، وابن باجة ، وابن خلدون ، وغيرهم ،
وان واجباتنا الأدبية تحتم علينا اليوم الدفاع عن تراثنا العربي
الكلاسيكي والمعاصر بكل ما أوتينا من قوة ، وأن نسترخص
الروح في هذا السبيل ان اقتضى الأمر . " (٢)

(١) المكشوف : عدد (١٨٦) ص ١٥ .

(٢) المكشوف : عدد (١٨٨) ص ١٥ ، وهنا يورد نجاتي كشفا

بأسماء المراجع والمصادر التي اعتمد عليها ، وهي
جميعا كتب عربية فقط .

ج - الاسلام والنازية : موقف دعائي

مدخل :

اهتم نجاتي صدقي بالسياسة الألمانية في الشرق اهتماما كبيرا ، ففي دراسته (الحركة الوطنية العربية) التي عرضنا لها سابقا ، وقف وقفات متعددة عند محاولات التغلغل الاقتصادي السياسي الألماني في البلاد العربية في القرن الماضي وبداية القرن الحالي . (١)

وبجاتي الذي حارب الفاشية الى جانب الجمهوريين في اسبانيا سنة ١٩٣٦ ، نجد عدائه للفاشية الألمانية (النازية) التي استولت على مقاليد الحكم في ألمانيا منذ ١٩٣٣ قد ازداد بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ، فوضع كتابه (التقاليد الإسلامية والمبادئ النازية هل تتفقان ؟) مشاركة منه في الوقوف أمام الاجتياح النازي الذي تفاقم خطره في هذه الحرب .

وظل موضوع السياسة النازية يشغله حتى بعد أن وضعت الحرب الثانية أوزارها ، مسفرة عن هزيمة ألمانيا النازية ، وانحسار نفوذها في أوروبا ، والعالم بأسره ، اذ سارع الى ترجمة المذكرات التي وضعها (فرانس فون باين) سفير ألمانيا في تركيا ، بعد صدور هذه المذكرات بشهرين فقط ، كما ترجم بعد ذلك كتابين يدينان في جانب واضح منهما سياسة ألمانيا النازية ، وفي ترجمته لهذه

(١) انظر الطليعة : الأعداد من نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٣٧ -

الى ابريل (نيسان) ١٩٣٨ .

الكتب دلالة واضحة على انشغال نجاتي بموضوع السياسة النازية ، ووعيه على خطرهما . (١)

وفي كتاباته المختلفة ، ولا سيما مذكراته ، لم يكن نجاتي يخفي عداؤه للنازية ، أو احتقاره لأعوانها في البلاد العربية ، فقد مرمعنا أنه شن حملة شعواء على (حزب الاصلاح الحقيقي) ومؤسسيه في دمشق ، وعدّ دوره مخزيا في مناوأة الحركة الوطنية العربية . (٢)

ولم يسلم من هجومه هذا (النادي العربي) وأعضاؤه في دمشق ، ولا (الحزب القومي السوري الاجتماعي) في دمشق أيضا ، فقد غمز من جانبهم ، لأنهم — كما يزعم — كانوا يتمنون استقلال البلاد عن طريق اجتياح نازي فاشستي للمنطقة . (٣)

" التقاليد الاسلامية والمبادئ النازية هل تتفقان ؟ "

يمكن القول ، دون كبير تحرج ، ان هذا الكتاب كان موجها في الأساس ضد دعاية الألمان في الشرق بوجه خاص ، وقد لفت اهداء هذا الكتاب الموجّه الى " أبناء الشرق الذين يقاتلون في الجبهة الغربية " — نظر

(١) سنعرض لهذه الكتب الثلاثة عند حديثنا عن ترجماته .

(٢) الطليعة : عدد (٤) ١٩٣٨ ، ص ٢١٧ .

(٣) المذكرات : ص ٢٠٧ .

الدكتور خالد الكركي ، فقال ان هذا الكتاب يبدو كأنه في الدعاية للحلفاء في حربهم ضد ألمانيا النازية . (١)

ونجاتي لا يخفي هذا الهدف ، اذ يقول في مناقشته للدعاية الألمانية التي يعتبرها " حربا فكرية " لا تقل ضراوة عن أسلحة الفتك والتدمير الاخرى :

" ان هذه الحرب التي أعلنها النازيون في شرقنا تحمل في طياتها السم الفتاك ، وتشكل خطرا مريعا يجب تداركه من الآن ، لا يتسع الخرق ، ويتعذر الرق على الراق ، ويني أن من جملة التدابير الناجعة في سحق الدعاية الهتلرية المستترة ، ازالة الرأي العام المسلم عن مهام هتلر الحقيقية ، وعن معارضة التقاليد الاسلامية السامية ، للمبادئ النازية الهدامة . " (٢)

ومع ذلك ، فنجاتي يحترز منذ البداية من أن يساء فهمه ، ولذلك نراه ينوه بأن بحثه لمسألة النازية لم يكن مناصرة لحزب ضد حزب ، لانه كما يقول " بعيد كل البعد عن الأحزاب السياسية " (٣) . ويضيف في

(1) K.A. Karaki: From Islamism To Arabism: A Study of Political Ideas of Syrian Writings, Ph.D. thesis, Cambridge University, 1980, P. 303.

(٢) التقاليد الاسلامية والمبادئ النازية هل تتفقان ؟ : ص ٨

(٣) المصدر السابق نفسه : ص ٤ . كان نجاتي في ذلك الوقت خارج الحزب الشيوعي .

مقدمته أيضا :

" انني أصدر هذا الكتاب الفريد بالعربية ، لا ارضاء
لعمرو أو لزيد من الناس ، بل خدمة للشرق ، وتوطيـدا
للعلاقات الروحية والمادية بين المسلمين طرا ، وشعبي
انكلترا وفرنسا النبيلين ، فلتبلغ هذه الرسالة الانسانية
القومية التي يحملها الكتاب بين دفتيه ، مسامح الملايين
من المسلمين والشرقيين عامة ، وليكن خير نبراس يبين أمامهم
السبيل في هذه الفترة الحسيرة التي يجتازها العالم . " (١)

ومن أجل الوقوف أمام الاجتياح النازي ودعايته فان نجاتي يستعـدي
مشاعر الملايين من المسلمين ، الذين وجه اليهم الخطاب في كتابه ، عن طريق
اظهار ما بين الروح الاسلامية السمحة ، وبين النازية من تناقض
شديد ، يقول :

" ليست النازية خطرا على شعوب أوروبا ، وعلى
الديمقراطية الأوروبية فحسب ، وانما هي خطر محيق أيضا على
الممالك الاسلامية ، وعلى روح الاسلام الحنيف ، فالمسلم
المدرک ، المشرب بتعاليم القرآن الكريم ، وبالأحاديث
النبوية الشريفة ، والمطلع على التاريخ الاسلامي من بزوغ فجر
الاسلام حتى يومنا هذا ، لا يسعه الا أن يكون من أعداء
أعداء المبادئ النازية الهدامة ، وأنظمتها البربرية التي

(١) المصدر السابق نفسه : ص ٤ .

ربما تتفجع الوحوش الضواري ، ولكنها لا تتفجع البشري طرائق
تفكيرهم ، وفي مصالحهم ، وفي مظالمهم . " (١)

ولذلك ، فانه يكسر القسم الأول من كتابه هذا ، لكشف ما بين الاسلام
والنازية من تناقض في جميع الوجوه . فـ " الاسلام ثورة والنازية عصيان " ،
الاسلام " ثورة اجتماعية قومية نهضت بالعرب من وهدة الجهل والتأخر ، وفتحت
أمامهم آفاقا من التقدم والتطور " في حين أن النازية ذات تعاليم مظلمة تنقل
معتقداتها روحيا الى حياة القرون الغابرة . (٢)

والاسلام يباقر النازية في حقه على الوفاء ، في حين أن النازية غدر
بشمع في كل تعاليمها ومسيرتها ، (٣) . ويتناقض معها أيضا فيما يسميه نجاتي
" مبدأ العنف " الذي كان ، في الاسلام كأى ثورة وسيلة لم يلجأ اليها
دائما ، لنشر التعاليم الاسلامية الداعية للعدل الاجتماعي ، في حين أن تاريخ
النازية عار على البشرية ولطخة في جبينها ، فأينما حلّ النازيون فهناك الظلم
والخراب ، وما ذلك إلا لأن " هتلر — والتاريخ براء منه — دعاهم لتأديّة
رسالة شيطانية مماثلة لرسالة الفندال والتتر في القرون الغابرة . " (٤)

ويبدو جوهر التناقض واضحا — عند نجاتي — بين المبدأين ، ففي
المساواة بين الناس التي دعا اليها الاسلام ، في حين أن النازية في جوهرها

(١) المصدر نفسه : ص ٩

(٢) المصدر نفسه : ص ١٦

(٣) المصدر نفسه : ص ١٩ — ٢٢

(٤) المصدر نفسه : ص ٢٤ — ٢٩

نظام عنصري عرقي ، وهنا يفصل نجاتي القول ، وبستشهد بكثير من الآيات
القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعو للمساواة وعدم المفاضلة بين الناس الآ
بالتقوى ، وفي المقابل يسوق مقتطفات كثيرة تعلي من شأن العرق الآرى وتفضله
على الشعوب من كتاب (خرافة القرن العشرين) للزعيم النازى (ألفريد
روزنبرغ) ومن كتاب (كفاحي) لهتلر . (١)

ولا استكمال صورة التناقض بين النازية والاسلام ، يناقش نجاتي مسألة
(الفراغ الروحي) التي واجهت النازيين بعد هدمهم لتعاليم المسيحية في
ألمانيا ، وما وقعوا به نتيجة ذلك من تخطيط روحي ، حاولوا الخلاص منه دون
جدوى ، بالرجوع الى الوثنية الألمانية القديمة المعروفة باسم (حوكمة التدين
الجرماني) وغيرها من الحركات شبه الصوفية . (٢)

وبعد أن يطمئن نجاتي الى أنه أوصل ما يريد ، وجعل المسلممين
يفضون أيديهم من النازية ومبادئها ، ويحاول اثبات أن الاسلام في جوهره
نظام " ديمقراطي " ، وهو هنا لا يقاين بين " ديمقراطية الاسلام " و
" تعسف النازية " مثلا ، إنما يحاول التأكيد فقط على ما يحوى الاسلام
في جوهره من مبادئ ديمقراطية ، يقول :

" فإذا انعمنا النظر في تاريخنا الاسلامي ، وفي
تعاليم القرآن الكريم ، تيقنا أن أهم مبادئ الديمقراطية
منصوصة في صميمها ، حقا ان الديمقراطية اليوم هي أعلى
درجات الديمقراطية التي عرفها التاريخ ، وإذا ما قورنت

(١) انظر ذلك مفصلا تحت عنوان (لا عرقية في الاسلام) المصدر

نفسه : ص ص ٢٩ - ٣٦ .

(٢) المصدر نفسه : ص ص ٣٦ - ٤٢

بالديمقراطية الاسلامية ، بدت لنا أنها تتضمن معاني أوسع
من معناها المعروف ، ألا أن اشراك الشعب في ادارة الشؤون
العامة ، واستشارته ، هما ظاهرتان عرفهما المسلمون منذ
عهد قديم ، وطالما بشر بهما النبي العربي محمد بن عبدالله ،
ومن بعده معظم خلفاء الاسلام . (١)

وهنا ينتهي القسم الأول من كتاب نجاتي الذي يمكن تسميته بالقسم
النظري ، ويصل الى القسم الثاني الذي تجوز تسميته بالقسم السياسي
التطبيقي ، لأن نجاتي بعد أن اطمأن الى تمهيداته النظرية السابقة يأتي في
هذا القسم الى طرح حلوله واقتراحاته السياسية .

وقد عالج في هذا القسم تحت عنوان (الألمان والمسألة الشرقية) أطماع
الألمان في الشرق منذ نهايات القرن الماضي حتى الحرب العالمية الثانية ،
وما استخدموا من أساليب لهذه الغاية ، من مؤسسات تجارية اقتصادية ،
أو دعائية حزبية ، وجاسوسية ، وغيرها . (٢)

أما الجزء المهم من هذا الكتاب ، فهو الذي يحمل عنوان (العالم
الاسلامي والحلفاء) ، وفيه يؤكد نجاتي على الروابط التاريخية ، ماديا
وروحيا ، بين الانجليز والفرنسيين من جهة ، والمسلمين من الجهة الأخرى ،
ويمكن الزعم أن فصول الكتاب السابقة لم تزد من كونها تمهيدا لما يأتي به نجاتي

(١) المصدر نفسه : ص ٤٥ .

(٢) يفصل نجاتي في هذا الشأن ، ويبالغ في تصوير أثر الجاسوسية الالمانية .

أنظر المصدر نفسه : ص ٥٣ — ٧٧ .

من اقتراحات سياسية في هذا الفصل ، خلاصتها أن وقوف المسلم الى جانب الحلفاء في حوب النازية ، ينبع أساسا من تعاليم الاسلام ، لأن " المبادئ التي يقوم عليها الاسلام ، هي ذاتها التي تقوم عليها الديمقراطية " (١) ، فلا غرابة والحال هذه ، أن نجد مئات الألوف من الجنود المسلمين من الهند والبلاد العربية يكافحون النازية جنبا الى جنب مع الحلفاء :

" فالمسلم الذي يحارب النازية في الجبهة الغربية ، يحاربها دفاعا عن عقيدته ووطنه ، فهو يعلم حق العلم ، أن أو انتصار للنازية — لا سمح الله — كارثة كبرى للشرق وللعالَم الاسلامي ، فضلا عن الشعوب المتحاربة " (٢)

وهكذا يواصل نجاتي رؤيته للوضع ، ويشير اشارة جاءت متأخرة الى أن الحرب بين الحلفاء والنازية ، ليست حربا بين (الحرية والطفيان) فحسب — كما أوحى طوال فصول الكتاب — بل هي أيضا ، دون أن يقول أولا ، حرب مصالح سياسية واقتصادية . (٣) ثم يقول :

" ونحن المسلمين نؤيد الحلفاء قولا وعملا ، لأن لنا في ذلك مصالح سياسية واقتصادية كما للحلفاء ، إذ أن أقليبتنا الساحقة تعيش في كنف امبراطوريتين ديمقراطيتين ،

(١) المصدر نفسه : ص ٨٥ . وهنا تجدر الاشارة الى أن حديث نجاتي عن الديمقراطية في الاسلام لم يكن عبثا ، فقد كان تمهيدا لمقترحات سياسية هدفها — كما هو ملاحظ — تقريب وجهات نظر المسلمين والحلفاء باعتبارهما ديمقراطيتين يجب تحالفهما أمام النازية .
أنظر المصدر نفسه : ص ٤٥

(٢ و ٣) المصدر نفسه : ص ٨٦ .

امبراطوريتي بريطانيا العظمى وفرنسا الجمهورية ، ونحن
شعوب تطمح الى مثل عليا في الحياة ، نطمح الى الحرية
والاستقلال . فتأييدنا للحلفاء يجب أن يقابل بالمثل ،
اننا جنود الحرية في كل ساعة ووقت ، على أن نلمس أننا
لا نضحى بحياتنا لرد الأذى عن بولونيا ونروج فقط ، بل لكي
نتمتع بالسيادة الوطنية والتقدم العلمي والثقافي والاقتصادي
والاجتماعي . " (١)

أما أفضل الحلول ، في نظر نجاتي ، للشعوب الشرقية التي " تؤيد
الحلفاء على أمل أن يتسع نطاق استقلالها " فيراه متمثلا في " النظام الحر
المعبر عنه بالانكليزية Common Wealth of Free Nations
وأهم شروطه أن لا تكون هناك دولة تمسك بخناق غيرها من الأمم ، ففي هذه
الحالة تتقلب الآية ، ويتحول الاتحاد الاختياري ، الى ضم اجباري . لان هذا
النظام هو أفضل نظام لحل المشكلة القومية والمشكلة الوطنية التي هي محور
المشاكل ابان الحرب العالمية الثانية . " (٢)

ومقابل ذلك ، فان على الدول الديمقراطية (الحامية) — حسب
نجاتي — " أن لا تبخل على محمياتها ، بالآلات الصناعية ووسائل التقدم ،
فلم لم تفمره (أو الشرق) انكلترا وفرنسا بها ورائدهما تشجيع تقدمه
الانتاجي . " (٣)

(١) المصدر نفسه : ص ٨٦

(٢) المصدر نفسه : ص ٧٦ — ٨٧ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٨٧ .

وللتأكيد على حسن نية الحلفاء في ذلك ، يسوق نجاتي مقاطع من خطاب (المستر مالكوم ماكدونالد) سكرتير بريطانيا لشئون المستعمرات ، وفي هذا الخطاب اعتراف من جانب بريطانيا بوقوف مستعمراتها الى جانبها في الحرب ، وإشارة الى وجوب الاهتمام برفع المستوى الحضارى المعيشي لسكان المستعمرات المتأخرة ، يقول ماكدونالد :

" .. أما اليوم ، فحصرنا همنا بشعوب المستعمرات المتأخرة ، فلنكرس قوانا واختباراتنا وحكمتنا لتحقيق : السعادة ، والرفاهية والحرية ، لستين مليوناً من رعايا الامبراطورية البريطانية . " (١)

ويؤيد نجاتي ، أن ما ورد في هذا الخطاب " أفضل من ستين وعهداً بالاستقلال الناجز بعد الحرب ، أقول ذلك — والكلام له — لأنها وثيقة عملية يسرى مفعولها اليوم ، وفي هذه الساعة . " (٢)

بقي من كتاب نجاتي هذا ملحق خاص بمطالب حزب الوفد المصرى تتلخص في طلب الاستقلال ، وحرية التجارة ، والغاء الأحكام العرفية ، ويعتبرها نجاتي " مطالب مشروعة " ولكن ليس هذا أوانها ، وإن تحريكها في مثل هذا الوقت " لا يدل على مهارة في السياسة ، وحنكة في إدارة شئون البلاد ، إنما يدل على نزعة انتهازية تعرض للاستقلال المصرى لأشد الأخطار . " (٣)

(١) المصدر نفسه : ص ٨٦ — ٩٠ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٩٠ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٠٠ .

أما نصيحته التي يسديها للزعماء المصريين ، فهي أن يكونوا عمليين
في حياتهم القومية ، ويدعوهم الى تلمس المسئولية التاريخية التي تقع
على عاتقهم اذا ما شطوا عن طريق الصواب . (١)

(١) المصدر نفسه : ص ١٠١ .

التقويم :

نجاتي صدقي من (الحركة الوطنية العربية)
الى (التقاليد الاسلامية والمبادئ النازية)
هل تتفقان ؟)

يمكن القول ، ان جميع أبحاث نجاتي صدقي ، ومواقفه الفكرية ، ما عدا كتابه (التقاليد الاسلامية والمبادئ النازية هل تتفقان ؟) ، تمتاز بقدرة على حوار القضايا المختلفة ، من زاوية رؤية تتسلح بالوعي الطبقي ، والرؤية الثاقبة التي ترى الشيء وضده في الوقت ذاته ، ولذلك ظلت مواقفه وأبحاثه محافظة على مستوى ناضج من التحليل العلمي ، فضلا عن قيمتها الهامة الآتية مسن أسبقيتها الزمنية .

فدراسته " الحركة الوطنية العربية " تناولت في وقت مبكر من هذا القرن (١٩٢٩) ، هذه الفترة الهامة من تاريخنا الحديث انطلاقا من التحليل المادي للأحداث ، وكذلك مقالاه عن ابن خلدون وفلسفته ، فهما ، يشكلان أيضا ، تناولا مبكرا لفلسفة ابن خلدون من وجهة نظر مادية ، ومع أنه لا يمكن أن يحيط بمقالين فقط بفلسفة ابن خلدون جميعها ، إلا أنه يظل محتفظا بفضل لفت الأنظار الى مادية ابن خلدون ، حيث أنه قصد من مقالته هذين ، الى تحريك الجوّ الثقافي العربي ، واثارة الجدل حول فلسفة ابن خلدون ، والى دفع الدارسين الى إعادة النظر في تراثنا العربي ، اهتداء بما وصلت اليه العلوم العصرية الحديثة . (١)

(١) الطليعة : عدد (٤) ١٩٣٧ ، ص ٢٨٨ .

وكذلك الحال في دراسته (اضهاد العلم والعلماء ابان انحلال الدولة العباسية) ، فقد حرص على النظر في حالة العلم والعلماء في ذلك الوقت ، من زاوية مادية ، امتازت بجراتها في التحليل ، وفي الدفاع عن حوية التفكير .

أما مقالة (شارل روبرت داروين) و (رينيه ديكارت) ، فهما مع عمق تناولهما ، وقدرتهما على الاحاطة السريعة بقضاياهما ، الاّ أنهما يقعان ضمن جهود نجاتي صدقي التثقيفية ، فنجاتي الذي كان يحمل بذور مدرسة جديدة في الفكر ، رأى من واجبه أن يخرس أكبر عدد ممكن من هذه البذور ، في التربة العربية التي كانت مستعدة للتلقي في ذلك الوقت ، ومن هنا انشغل هذا الرجل بتعريف بني قومه بطريقة جديدة من التفكير ، فجاء هذان المقالان ، ومقالات أخرى منها (الايقاع الموسيقي التاسع لبتنهوفن) (١) وسواه ، لارساء أوتاد مدرسة مادية عربية .

ولم يكن نجاتي وحيدا في هذا الأمر ، فمثلا ، سبق الدكتور شبلي شميل في التصريف بنظرية النشوء والارتقاء على مذهب داروين ، حيث ظهر كتابه (شرح بخسر على مذهب درون) مطبوعا باللغة العربية سنة ١٨٨٤ ، ولم يكن قد مضى على ظهور كتاب (أصل الأنواع) في أوروبا ، سوى خمس وعشرين سنة ، وكانت معركة التطور في دوائر أوروبا العلمية على أشدها ، فنقل شميل المعركة الى الشرق ، يؤيده رجل المقتطف الأول الدكتور صروف . (٢)

(١) الطليعة : العددان (٣ ، ٢) مما عن شباط وآذار ١٩٣٧ ،

ص ١٢٧ - ١٣٢

(٢) اسماعيل مظهر : " شبلي شميل وفكرة التطور في الشرق العربي " مجلة

(الكتاب) مجلد ٣ ، ج ١ ، نوفمبر ١٩٤٦ ، ص ٢٢٧ .

وكان نجاتي من الذين تصدوا للكشف عن الحقائق العلمية لنظرية داروين في البلاد العربية ، هذه الحقائق التي كادت تغطي عليها لجاجات الخصوم الذين هاجموا الدكتور شميل من زاوية أنه ينزل مرتبة الانسان الى مستوى القرد . (١)

كما قصد من مقاله عن (رينيه ديكارت) الى تعريف النازي العربي ، بهذا الفيلسوف الذي مهدت أفكاره لظهور الفلسفة المادية الجدلية . (٢)

ولكن ، هذه الرؤية المادية الجدلية الثاقبة ، التي ميّزت جميع أبحاث نجاتي ومواقفه الفكرية السابقة ، نكاد لا نحثر عليها في آرائه المبتوثة في كتابه (التقاليد الاسلامية والمبادئ النازية هل تتفقان ؟) ، ونستطيع القول ، ان مستوى المعالجة في صفحات هذا الكتاب البالغة مئة وأربع صفحات ، كانت أقل من مستوى الدراسات السابقة التي عرضنا لها ، سواء من حيث المنهج ، أو من حيث الرؤية التي سلكت الأفكار المتضمنة في هذا الكتاب ، ويمكن القول أيضا ، ان معالجة نجاتي لموضوع الخطر النازي ، لم تزد عن كونها معالجة دعائية أقرب الى المعالجة الصحفية التي تهدف الى انجاز ردود فعل سريعة والتحذير المباشر من خطر محقق ، دون أن يكون هناك مجال للتأني والتحليل .

وربما كان الجمهور الذي وجه نجاتي الخطاب اليه ، هو الذي أوحى بمستوى هذه المعالجة ، فنجاتي وجه كتابه هذا الى جمهور عريض خشي عليه أن يقع تحت تأثير الدعاية النازية ، فيتوهم أن خلاصه من الاستعمار الانجليزي الفرنسي ، يمكن أن يأتي بانتصار ألمانيا في الحرب ، حسب المبدأ القائل " عدو

(١) الطليعة : العددان (٦ ، ٧) معا ، ١٩٣٧ ، ص ٥٠٤ .

(٢) الطليعة : عدد (٨) ١٩٣٧ ، ص ٦٧ .

عدوك صديقك " ، ولذلك جاءت معالجة نجاتي بهذا المستوى من التدني ،
إذا ما قيدت بدراسته السابقة ، واللاحقة أيضا .

ويتجلى غياب المنهج الجدلي أكثر ما يتجلى في عدم القدرة على تحليل
طبيعة النازية ماديا وتاريخيا ، والسطحية في تفسير تسلمها مقاليد الأمور في
ألمانيا ، وعدم التبيين بأنها وجه شرس لتطور رأس المال الصناعي .

فنجاتي لم يجهد نفسه في تفسير الحركة النازية ، ولم يزد عن وصفها
بأنها حركة عرقية بربرية لا تقيم وزنا للروح والقيم والحضارة ، أما كيف نشأت هذه
الحركة ، فانه لا يعني نفسه بالخصوص على منابها الطبقية ، ويرى أنها أتت
هكذا ، بعد أن اجتمعت زمرة من رواد مقاهي البيرة في (ميونيخ) وانفقوا
مع بعض العسكريين المتقاعدين على الاستيلاء على زمام الأمور في ألمانيا ،
وحين تم لهم ذلك ، انتهكوا حرية الدستور ويطشسوا بكل من أبى ماشاتهم . (١)

ليس هذا وحسب ، بل يصل الحال بنجاتي أن يطلق أحكاما وصفية مطلقة ،
أقرب الى الأحكام الأخلاقية منها الى التحليل العلمي . فهو يرى - مثلا -
أن ألمانيا من بين دول الاستعمار الفقير ، كمحدث النعمة الذي يقف في وجهه
تالد المال ، عريق المجد ، إذا طمعت بالشرق ، وهذا لن يتسنى لها ، لأن
الشرق " مرتبط بدول غنية راقية " ، لا يريد أن ينفصل عنها ليقع في براثن دول
فقيرة جائعة كالألمانيا . (٢)

ويقع نجاتي أيضا ، في هوة تفسيرات مطلقة ، تفتقر الى الرؤية الجدلية

(١) التقاليد الاسلامية والمبادئ النازية هل تتفقان ؟ مصدر سابق ص ٢٢ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٦٥ .

ذات الأساس المادي الصلب التي عهدناها عنده ، حين يقول :

"ويحرف الشرق أيضا أن العبد اذا بلغ مرتبة السيادة فجأة ، أعمل الشياطين ظهور من يتحكم بهم دون رحمة أو شفقة ، وأن المومس اذا ما صارت سيدة بيت ، ركبت رؤوس الخدم وشددت عليهم الخناق ، انتقاما من حياة السقوط التي عاشتها في بيوت الدعارة ، وأن الشقي اذا أصبح محافظا على الأمن جعل من دوائر الحكومة مفخرة للصومر والقليلة ."(١)

وعلى هذا ، فان ألمانيا لو تسنى لها الاستيلاء على الشرق ، فستكون مثل " ذلك العبد ، وتلك المومس ، وذاك الشقي "

وغني عن القول ، ان المفاضلة بين استعمار فقير وآخر غني ، هي مفاضلة متهاففة ، وأن يكون هناك استعمار فقير ، واستعمار غني ورثا استعباد الشعوب كابرا عن كابر ، فهذا سوء ظن بالعقول ، ان لم يكن محاولة لتجميل الاستعمارين الانجليزى والفرنسي — بصرف النظر عن الظرف التاريخي — اذ لا حق لأى استعمار مهما يكن غنيا أو فقيرا في استعباد أو شعب من الشعوب مهما يكن متخلفا ، ومع ذلك فان الفرق بين الاستعمار الانجليزى مثلا ، والاستعمار الألماني ، فرق واضح ، ولكن ليس كما يفسّر نجاتي ، انما يأتي من الطبيعة العرقية المنحرفة المتطرفة للنازية ذاتها ، ومن التجربة الطويلة التي خبرتها بريطانيا في استعباد الشعوب وامتصاصها . هذا ، ويجب أن لا يخيب عن أذهاننا أن نجاتي تسنى له أن يحير ، حتى رأى فئات الفرنسيين في الجزائر

والهند الصينية ، على سبيل المثال •

ويبدو نجاتي في هذا الكتاب كأنه أصبح يرى أن نقيض الفاشية الألمانية
يكن في الاستعمار البريطاني ، أو الفرنسي ، وليس أنهما وجهان لعملة واحدة ،
فالنازية هي الوجه الأكثر شراسة للاستعمار الغربي " الديمقراطي " يقول
ديمتروف :

"إن الفاشية في السلطة ، هي كما شخصها الاجتماع
الثالث عشر للجنة التنفيذية للأمم المتحدة الشيوعية تشخيصا صحيحا ،
هي ديكتاتورية ارهابية مكشوفة ، تمارسها عناصر الرأسمال
المالي الموهلة في الرجعية والشفونية والامبريالية ، وأكثر
أنماط الفاشية رجعية هي الفاشية الألمانية ، وهي تسمى
نفسها بصفاقة بالاشتراكية القومية ، رغم أنها لا ترتبط بالاشتراكية
بأية صلة ، الفاشية الألمانية ليست مجرد نزعة قومية برجوازية ،
إنها نظام حكومي للسطو السياسي • " (١)

وقد لاحظ (ديمتروف) أيضا ، أن في التطورات الاجتماعية الجارية
في النظام الرأسمالي ، منحى احتكاري حادا ، يسير بشكل حتمي نحو تعميق
التناقضات الطبقية في المجتمع الواحد ، وتعميق التناحر الاستعماري بين الدول
الاستعمارية ، كما أن التطور نحو الأزمة ، البطالة من ناحية ، وكساد الدورة
التجارية من ناحية ثانية ، تجعل الرأسمالية مضطرة إذا أرادت الحفاظ على

(١) ديمتروف ج : الفاشية والطبقة العاملة • ترجمة

محمد عيتاني • - (بيروت : دار ابن خلدون • - سلسلة

دليل المناضل • تجارب اشتراكية ٤) ص ٧ - ٨ •

حكمها ، أن تنزع عن وجهها قناع الديمقراطية البرجوازية ، وأن تلجأ إلى الديكتاتورية المكشوفة ، شائبة الحرب الشمواء على كل المتضررين من سيادتها . (١)

وهذا بالضبط ما حصل في ألمانيا ، إذ وجدت نفسها في مواجهة أزمة حادة ، البطالة في الداخل ، والكساد التجاري في الخارج ، مما اضطرها إلى خلع قناع الديمقراطية البرجوازية ، لتكشف عن وجهها الفاشي الشرس ، وعلى هذا ، فإن أيّ دولة رأسمالية تواجه أزمة ألمانيا يمكن أن تصل إلى حالها ، كما حدث في إيطاليا الفاشية مثلاً .

لقد حاولت في هذه المقالة أن أكشف عن مستوى معالجة نجاتي فسي كتابه هذا ، ولم يكن الهدف مناقشة طبيعة النازية ، ولا تتبع جميع أفكار نجاتي الواردة في هذا الكتاب وتفنيدها ، فهذا يظل خارج نطاق بحثنا .

ولكن ، هذا الكتاب يشكل بالنسبة إلى تاريخ نجاتي صدقي السابق علامة استفهام ، يمكن ترجمتها بالسؤال التالي :

هل يشكل هذا الكتاب انحناء أو تحولا في مسيرة نجاتي صدقي الحياتية ؟

الجواب ، لا ، على الرغم من اللهجة الرقيقة المستخذية التي سادت بعض فصول هذا الكتاب ، وبخاصة الفصل المعنون بـ (العالم الاسلامي والحلفاء) (٢) . إذ يجب أولا تأكيد أن دراسة هذا الكتاب تأتي ضمن الوعي التام بالظروف التاريخية التي أحاطت ظهوره عربيا وعالميا ، أما لو نزعناه من ظروفه وعزلناه عنها

(١) المرجع السابق نفسه : ص ٨ .

(٢) انظر مثلاً الصفحات : ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٤ ، وغيرها .

فانه سيشير الى نجاتي متهما ايّاه بالدعاية المباشرة الخالصة للحلفاء ، ولكن نجاتي الذي رأى الخطر النازي محدقا ، ورأى في الوقت ذاته ردة فعل عزيمة أشبه بالترحيب بهذا الخطر ، لأنه باختصار ، عدوا الاستعمار الانجليزي الفرنسي الذي هو عدو الشعوب العربية والاسلامية ، في مثل هذا الظرف فقط ، كان لمثل هذا الكتاب أن يظهر ، وكان على نجاتي صدقي الذي امتاز بوعيه الثاقب ، وقدرته على استشراف الأمور ، أن يقرع الجرس محذرا ، ولم يجد وسيلة سوى أن يخاطب أرنعمئة مليون مسلم في ذلك الوقت ، وبهيب بهم أن يتقوا ضدّ النازية بكل ما يستطيعون ، ولو أدى ذلك الى التحالف مرحليا مع مستعمرهم .

ان مواقف نجاتي صدقي الحياتية والفكرية اللاحقة ، تؤكد أنه ظل نظيفا ، وظلّ محافظا على موقعه في الصف الوطني ، ولكن أن يرى نجاتي في النظام الحر أفضل طريق لخلام الشعوب المستعمرة ، فان ذلك ليس مرتبطا بظروف الحرب العالمية الثانية فقط ، انما أيضا بوجهة نظر نجاتي الأيديولوجية بعد خروجه من الحزب الشيوعي ، ومع أننا لم نعثر له على آراء أخرى شبيهة بهذا ، إلا أنه يغلب على الظن أن نجاتي صدقي لم يعد يرى في الاشتراكية سبيلا لحل المشاكل القومية الوطنية في البلاد العربية ، لأن هذه البلاد غير مهيأة حضاريا واقتصاديا لتقبل فكرة الاشتراكية . (١)

ومهما يكن ، فيمكن القول ، ان نجاتي ظلّ محتفظا بمنهجه الملمسي ، وبقدرته على التحليل المستندة الى المدرسة المادية الجدلية وسيظهر ذلك في مجمل دراساته الأدبية ، كما سنرى .

(١) أنظر مقالا له بعنوان (التطاحن الحزبي للاستيلاء على مقدرات الشباب)

مجلة (الجمهور) العدد ١٠٥ ، ١٩٣٩ ، ص ١٨ .

ثانياً : نجاتي صدقي مترجماً

- ترجماته السياسية *
- ترجماته الادبية *
- قيمة ترجماته :
 - القيمة التاريخية *
 - القيمة الحياتية *
 - القيمة الفنية *
 - لفتته في الترجمة *

نشط نجاتي صدقي في مجال الترجمة الى اللغة العربية نشاطا ملحوظا فقد نقل ثلاثة عشر كتابا ، وشارك في نقل كتاب آخر ، (١) كما نقل الى العربية ، قصائد وقصصا ومسرحيات قصيرة لبوشكين ، وتشيكوف ، وغوركي ، ضمنها الكتب التي وضعها عنهم في السنوات ١٩٤٥ ، ١٩٤٧ ، ١٩٥٦ على التوالي ، (٢) ونقل أيضا قصائد للشاعر الروسي لير منتوف ، للأمريكي ادغار آلن بو نشرها في مجلة الأديب ، ومجلة الكتاب .

ترجماته السياسية :

وجد بين الكتب التي ترجمها نجاتي ، كتباً تحمل أبعادا سياسية مباشرة ، كتبت بشكل أدبي يراوح بين المذكرات والأسلوب شبه القصصي ، وهي جميعا تشترك في الكتابة عن السياسة الروسية في عهد ستالين ، والسياسة الألمانية في عهد هتلر ، من وجهة مضادة ، كما سنلاحظ ، وهذه الكتب هي :

١ . فون بابن يتكلم : (٣)

وهذا الكتاب جزء من المذكرات التي وضعها (فرانس فون بابن) سفير ألمانيا في تركيا قبل الحرب العالمية الثانية وابانها ، وفيها يدين سياسة هتلر ويعتبرها سياسة خائفة للحريات ، ويرى ان الحلفاء يستعملون سلاحا ماضيا

(١) شارك نجاتي في ترجمة كتاب (الجديد في دنيا العلوم) ، تأليف فرانك

روس الابن . ترجمة لجنة من الأدباء بأشراف الشيخ نسيب وهيب

الخازن . (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٤) .

(٢) صدرت هذه الكتب عن دار المعارف بمصر ، وكانت تحمل الأرقام ٢٨ ، ٥٠ ،

٦٢ ، على التوالي ، ضمن سلسلة اقرأ .

(٣) فون بابن فرانس : فون بابن يتكلم . ترجمة نجاتي صدقي (بيروت : دار

بيروت ، ١٩٥٢) .

ضد الألمان ، وهو اتهمهم لهتلر بأنه صادر حريات الشعب ، ولذلك يـرى (فرانس بابن) أن الرد الوحيد على هذه الدعاية هو " العودة الى الحريات الدستورية ، واعطاء الألمان الحق لتقرير مصيرهم دون أن يخشوا الاعدام أو الاعتقال " (١) .

وفرانس فون بابن هذا ، لم يكن — كما يبدو في مذكراته — ضد السياسة النازية برمتها ، ولكن ضدّ بعض الممارسات التي قام بها هتلر وأعوانه ، فنشاطه الدبلوماسي كان منصبا على اقناع تركيا الاشتراك الى جانب ألمانيا في الحرب ، لأن تركيا كما يقول " هي مفتاح الوضع العسكري في الشرق الأدنى ، فأى جانب يرفض استخدام أراضيها بمثابة قواعد عسكرية ، فانه يتخلل بالفعل عن السيادة على الشرق الأدنى " (٢) .

وفي هذه المذكرات ، تتبع لمجريات الحرب العالمية الثانية ، التي يـرى فون بابن ، أنها أعظم جريمة اقترفها هتلر وأعوانه (٣) . وفيها كذلك حديث عن محاولات التخلخل الألماني في البلاد العربية ، مثل مساعدتهم لثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الانجليز في العراق ، وانتهاء هذه الثورة بفرار الكيلاني والحاج أمين الحسيني الى ايران (٤) .

وفي مقدمة الترجمة العربية ، أشار نجاتي أنه اقتصر في ترجمته لهـذه المذكرات ، على الجزء الخاص بسياسة النازيين الشرقية ، لما في ذلك من أهمية في اطلاع القارئ العربي على تلك السياسة . وقد جاءت هذه الترجمة ، بعد

(١) المصدر السابق نفسه : ص ٢٨ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٦ — ١٧ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٢٣ .

(٤) المصدر نفسه : ص ٢٤ — ١٤٥ .

(٥) المصدر نفسه : ص ٩٥ .

صدر الكتاب بلغته الأصلية ؛ بشهرين فقط . (١)

٠٢ وراء الأسلاك : (٢)

ترجم نجاتي هذا الكتاب عن الانجليزية ، ومؤلفته (مرغريت بوبر) كانت عضوا في الحزب الشيوعي الألماني من ١٩٢١ - ١٩٣٢ ، وزوجها هو (هينز نيومان) من زعماء الحزب ذاته ، اتهم بـ " التفرقة السياسية " وبانتقاده لسياسة ستالين ، فاستدعي الى موسكو ، حيث اعتقل ؛ ومن ثم انقطعت أخباره نهائيا عن زوجته . (٣) ثم اعتقلت الزوجة (مرغريت) بتهمة " الثورة المضادة والتحريض على النظام السوفياتي " في حزيران ١٩٣٨ ، فقضت في سجون موسكو ؛ ومنافي سيبيريا حتى سنة ١٩٤٠ ، وبعد ذلك سلمتها الشرطة السوفياتية الى جهاز المخابرات الألماني النازي ، (٤) فقضت خمس سنوات في معتقل (رافينسبورك) النازي الشهير ، ولم تخرج منه الا سنة ١٩٤٥ ، عندما دخل الجيش الأمريكي ألمانيا . (٥)

وهذا الكتاب خلاصة اختبارات انكاتبه في سجون الاتحاد السوفياتي ، ثم في المعتقلات النازية ، وهي لا تنتقد الأفكار الاشتراكية مباشرة ، فقد كانت هي نفسها شيوعية لمدة تزيد عن العشر سنوات ، ولكنها تصب جام نقمتها

(١) المصدر نفسه : أنظر المقدمة .

(٢) بوبر ، مرغريت : وراء الأسلاك ، ترجمة نجاتي صدقي (بيروت : دار

الكتاب ١٩٥٤) . صدر في نيويورك ١٩٥١ .

العنوان الأصلي له : Under Two Dictators

(٣) المصدر نفسه : انظر المقدمة .

(٤) المصدر نفسه : ص ٤ .

(٥) المصدر نفسه : ص ٢٣٠ .

على النظام السوفيياتي في عهد ستالين ، وقد عرفت في معتقلات ألمانيا بأنها تروتسكية^(١) . وهي أيضا ، لا تدع فرصة تفوتها في الإشارة الى " جبروت " ستالين ، و " بطشه " الا أتت بها مجلة أو مفصلة ، والكتابة تروى بالتجائها الى الجيش الأمريكي ، أن خلاص الشعب الألماني قد جاء به هذا الجيش ، تقول في مقدمتها مساوية روسيا الستالينية ، بألمانيا الهتلرية :

" . . . وكتابي هذا يتضمن قصة المحن التي اجتزتها وأنا في عهدة البوليس السري الألماني الروسي ، وانني لم أضع هذا الكتاب لأخفف عن نفسي ، أو لأستغل ضجة ، وانما وضعته لكي أطلع العالم على ما يحدث للكرامة الانسانية عندما يلحق بها الحيف والهوان ، فاحدث الدكتاتوريتين (ألمانيا النازية) قد تم تحطيمها ، وفتح باب الخلاص لضحاياها ، أما الدكتاتورية الثانية (الاتحاد السوفيياتي) فلا تزال قائمة ، وهناك مئات الخلائق لا تزال تئن في السجون والمعتقلات " (٢)

ولم يقدم نجاتي لترجمته هذه ، ولكنه كتب بخط يده على الغلاف الداخلي للنسخة التي أهداها لشقيقه (أحمد) من هذا الكتاب :

" أخي أحمد . . . هذه مأساة وأية مأساة ، تمتنع بمطالعتها في ساعات البرد ، من أخيك نجاتي ٢٥ شباط ١٩٥٤ " (٣)

(١) المصدر نفسه : ص ١٧٣ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٥ .

(٣) حصلنا على صورة عن هذه النسخة من جمعية الدراسات العربية في القدس .

٠٣ . بريد موسكو : (١)

وهذا الكتاب ، رسائل بحثت بها السيدة (ليديا كيرك) قرينة
سفير الولايات المتحدة في موسكو ، الأدميرال (آلان غوردشر) في الفترة الواقعة
بين ١٩٤٦ - ١٩٥١ ، الى مجلة (السيدات الأمريكيات) ، وترجمه نجاتي عن
الانجليزية باذن من هذه المجلة .

وكتاب مثل هذا ، خليق فعلاً أن تكتبه امرأة غربية مدللة ، ذات عقلية
استهلاكية من الطراز الأول ، مثل السيدة (كيرك) ، اذ انها في صفحات هذا
الكتاب البالغة مئة وأربعاً وستين صفحة ، تعقد مقارنات دائمة بين نمط الحياة
السوفياتي الاشتراكي ، وبين النمط الأمريكي الرأسمالي ، ولكنها لا تلتفت الى
النواحي الجوهرية في السياسة الاقتصادية ، أو السياسة الخارجية مثلاً ، ولا
تنظر الى روسيا بأنها خارجة من حوب كلفتها ملايين الضحايا ، وأرهقت اقتصادها ،
وانما تصبّ جلّ اهتمامها على النواحي الشكلية ، ولا سيما (موضة) الألبسة
النسائية ، وتنظر الى كل شيء في موسكو بعين العقل المستهلك :

" ان الحوانيت القائمة على امتداد الشارع في موسكو
فقيرة في محتوياتها ، أما البضائع التي تتباهى بها ، فهي تشير
شفقة الزائر الغربي . " (٢)

(١) كيرك ، ليديا : بريد موسكو ، ترجمة نجاتي صدقي .

بيروت (١٩٥٤) ؟

عنوانه الاصلي : Postmarked Moscow

(٢) المصدر نفسه : ص ١٣ .

وأغلب الرسا ئل التي تشكل الكتاب ، حديث عن الألبسة ، النسائية منها خاصة ، وأدوات التجميل ، والعطور . . الخ ، حتى انها كانت تلتفت الى أدق التفاصيل الشكلية ، فان عدم اهتمام أندريه غروميكو ، وزير الخارجية السوفياتي ، بحلاقة ذقنه ، كان ماثرا لاهتمامها ، بل استهجانها . (١)

وهكذا تسير رسائلها التي لا تكاد تخلو في كل سطر من سطورها من غمز في جانب الاتحاد السوفياتي ، ومن شعور متعال بالتفوق الأمريكي ، حتى أنها وجدت في (ورق التواليت) الأمريكي مجالا للتبجح بأمريكا وتفوقها (٢) ، وهي تستنكر مثلا ، أن تكون مجلة (المرأة السوفياتية) مكرسة لتصوير المرأة الحاملة في الحصاد ، وقيادة الآلات وغيرها ، دون أن يكون فيها أي حديث عن عطور المرأة وثيابها وأنوثتها ، أو حسب تحبيرها ، شيء عن نموذجة الحياة ورفع ملمسها . (٣)

٠٤ رحلة ايرما : (٤)

وهذا الكتاب ، تدوين لأحداث رحلة ، يحكي بأسلوب شبه قصصي عن فرار عائلتين ، وعدد من الأفراد من السويد وأستونيا ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، الى الولايات المتحدة هربا من "الاضطهاد السوفياتي " ، وهؤلاء الأفراد ، كانوا قد التجأوا الى الاتحاد السوفياتي هربا من الزحف النازي ، ثم قهروا الهرب الى الولايات المتحدة . وكانت رحلة هربهم مغامرة خطيرة لأنها تمت في سفينة

(١) المصدر السابق : ص ١٧ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٥٨ — ٥١ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١١٤ .

(٤) فيدام ، فولمار ، وال ، كارل ، رحلة ايرما : أعظم مغامرة بحرية غي طلب

الحرية . ترجمة نجاتي صدقي (بيروت : دار الكتاب ، ١٩٥٤) .

عنوانه الاصلي : Sailing for Freedom صدر في نيويورك .

قديمة ، تكاد لا تصلح للنزهة في المناطق القريبة من الشاطئ ، ولكن دافع الهرب والبحث عن الحرية ، كان أقوى من خوفهم من الموت جوعاً و غرقاً في المحيط ، أثناء رحلة آلاف الأميال التي تفصل السويد عن القارة الأمريكية الشمالية . ويصور هذا الكتاب رحلتهم ، وما تعرضوا له من مخاطر الموت غرقاً وجوعاً وعطشاً ، الى أن وصلوا بعد شهر مضى الى شواطئ أمريكا ، حيث التقطتهم باخرة تابعة لسلاح البحرية الأمريكية .

ويشارك هذا الكتاب مع الكتب السابقة ، في الفهم من جانب الاتحاد السوفياتي ، ويشير بصورة عارضة الى الحسف النازي ، ولكنه يركز على فكرة الديمقراطية الأمريكية ، وأن أمريكا هي ملجأ الذين يبحثون عن حريتهم : يقول أحد أفراد الرحلة حال وصولهم الى أمريكا :

"وعاد الينا خلال اليومين الأولين الشمس بأُنْسنا
مخلوقات بشرية . " (١)

وقال آخر منبهرًا بنمط الحياة الأمريكية :

"أدهشتنا أمريكا حقاً بأساليبها الخاصة ، وبما يتحلى
به الشعب الأمريكي من ايناس ولطف . " (٢)

الترجمات الأدبية :

أتقن نجاتي ثلاث لغات أجنبية حية ، هي الروسية والانجليزية ،
والفرنسية ، ونقل عنها تسعة كتب من آداب عالمية مختلفة ، خمسة منها في مجال
القصة القصيرة والرواية ، وأربعة بين القصة الطويلة والرواية ، أما الشعر ، فقد
نقل منه بعض القصائد عن الروسية والانجليزية نشرها في المجلات الأدبية ، ولم
يترجم من المسرح سوى أربع مسرحيات قصيرة ، جميعها لتشيخوف .

أولا : في القصة القصيرة .

- ١ . قصص مختارة من الأدب الروسي : (١) تحتوي على سبع قصص قصيرة
لكتاب روس ، اثنان منها لتشيخوف ، وواحدة لتولستوى ١٨٢٨ - ١٩١٠ ، وواحدة
لدستيوفسكي ١٨٢٨ - ١٨٨١ ، وقصة لبوشكين ١٧٩٩ - ١٨٣٧ ، وقصة لمكسيم
غوركي ١٨٦٨ - ١٩٣٦ ، وقصة ليوزيك بارثيس ١٨٥١ - ١٩١٥ .

قصة تولستوى بعنوان (المنفى) ، وهي قصة إنسانية تسيطر عليها روح
مسيحية تعزز قيمة التسامح ، بطلها تاجر اسمه ايفان اكسيونوف ، يتهم ظلما بجريمة
قتل ، فينفى الى سيرا حيث يعيش حياة زاهدة متقشفة ، وبعد زمن طويل في
المنفى يكتشف القاتل الحقيقي الذي يرجوه أن يخبر عنه السلطات ، لكن ايفان
يرفض ، ويصر على كتمان الأمر ، فالعمر قد ولى ، ويقرر قضاء بقية حياته في المنفى
زاهدا متسكا .

(١) صدر في بيروت : دار بيروت ، ١٩٥٢ .

وقصة دستيوفسكي عنوانها (الفلاح ماري) ، قال عنها نجاتي أنسها من عيون قصور دستيوفسكي القصيرة ، وهي تمثل انقلابا في العلاقات القائمة بين المدني والقروي ، وتمطينا صورة جليلة عن الانسان في روحه وعقله وليس في مظهره (١) ، وهذه القصة أشبه بمقتطفات من مذكرات منفي ، ولعلها جزء من مذكرات دستيوفسكي نفسه ، تبدأ بمقدمة طويلة بالنسبة الى حجم القصة ، ثم يتذكر المنفي ، بطل القصة ، حادثة وقعت له في طفولته عندما كان يتنزه في الغابة ، وفجأة سمع صوتا يصرخ : " الذئب يركض " ، فيصاب بغزع ، ويهرب باتجاه فلاح كان يحوث لهم الأرض اسمه ماري ، فيخفف الأخير من هلعهم ، وبعد أن يعود الطفل الى هديره ، ينسى الحادثة ، وينسى معها الفلاح ماري ، ثم يتذكرها في مفاه بعد عشرين سنة ، حيث يشاركه هذا المنفي فلاحون يشبهون ماري ، وهنا تحدث الانقلاب في النظرة الى هؤلاء الفلاحين الذين يشاركونه مفاه وإنسانيته .

والقصة ، مع عمق طرحها ، بدت مفككة بمقدمة طويلة ، تدل على أسلوب دستيوفسكي الميال للتداعي والاستطراد والتفضيل .

أما قصة (العاصفة الثلجية) لبوشكين ، فهي قصة كلاسيكية في بنائها ، رومانسية في نظرتها للحياة ، تتحدث عن حب يربط فتاة (ماريا غريلوفنا) وجندي في الجيش ، ونظرا لمعارضة أهلها ، يتفقا على الهرب والزواج ، وفعلا يتم هربها وتتوجه الى كنيسة في قرية بعيدة لتتظر خطيبها ، ولكن خطيبها يفاجأ بعاصفة ثلجية تجعله يضل سبيله ، أما فتاته فانه يغشى عليها من طول انتظارها وعندما يدخل جندي الى الكنيسة هاربا من العاصفة ، يعقد الشهود قرانه على الفتاة المفضي عليها ، ظنا منهم أنه الخطيب المنتظر ، ولكن هذا الجندي يواصل

(١) قصص مختارة من الادب الروسي . ص ١٧ .

سفره ، وعندما تفيق الفتاة ترجع الى بيت أهلها وتفرق في الحزن ، أما خطيبها الاصلي ، فانه يصل الى الكنيسة متأخراً وعندما لا يجدها ، يصاب بحزن شديد ويلتحق بالجيش حيث يقتل في احدى المارك • ويبدأ الخطاب بالتوارد على بيت الفتاة ماريًا ، ولكنها ترفضهم مع أنها تميل لأحدهم ، فتحدثه بقصتها ، فيكتشف أنها الفتاة التي عقدوا قرانه عليها في تلك الحاصفة •

أما قصة غوركي (ليلة الميلاد) فهي تصور حياة المشردين ، فبطالها بائسان يعيشان على هامش المجتمع ، يقضيان أوقاتها في اللصوصية والتسول والسكر ، وفي ليلة عيد الميلاد ، يلتقيان بموظف ثرى هارب من جوار الحائلة الزائف ، حيث الضيوف المتملقون ، والملابس الفاخرة ، والأثاث اللامع ، ويشعر بالراحة والأنس معهما ، ولكن عندما يدعوانه لقضاء ليلة العيد في غرفتهما الحفيرة ينتفضر كالملدوغ وكأنه يدرك للمرة الأولى ، ما بينهم من هوة طبقية ، وكأن غوركي يقصد من وراء هذه القصة استحالة التقاء طبقتين متناحرتين ، فالموظف الثرى ظل متمسكا بأهداب طبقته رغم قرفه الظاهر منها • (١)

وقصة (بونتسه الصامت) لبارثيس ، تصوّر أيضا حالة الفئات المسحوقة ، فبطلها رجل بائس جداً ، يسومه الجميع من العذاب ، لكنه يحتمل الأذى صامتا دون أن ينبس بكلمة واحدة ، وعندما يموت ويصعد الى السماء ، تحتفل به الملائكة والأنبياء أيما احتفال ، وحين يسأله الله همّ يطلب ، يخرج (بونتسه) عن صمته للمرة الأولى في حياته ، ويطلب قطعة خبز مطلية بالزبدة مما يجعل كبير الملائكة يستلقي على قفاه من شدة الضحك •

وهذه القصة تقول واقعها بأسلوب جارج السخرية مخترقة المحقول الى

اللامعقول في سبيل تصوير هذه الفئة المسحوقة التي وصل بها الحال من شدة التجهيل والسحق ، الى عدم الوعي على مصالحها الطبقية ، وصارت مظامحها الحياتية غاية في التواضع .

وتشبه قصة تشيخوف (جهالة) هذه القصة ، وقصة غوركي من حيث تصويرها لواقع الفئات المسحوقة من المجتمع الروسي ، فالفلاح الشاب وأبوه يجثوان على الأرض لتقبيل أقدام الطبيب يرجوانه أن يأمر بإخراج ابنهما من السجن علما أن الطبيب لا علاقة له اطلاقا بهذه القضية ، انهما لم يتركا أحدا ذا شأن الا رجواه في ذلك ، ولم يبق شخص مهم في ناحيتهما الا هذا الطبيب الذي يندهرش للأمور ، اذ لا علاقة له - وهو الطبيب - بقضية السجن .

ان تشيخوف هنا ، لا يقدم هذا النموذج القوي الجاهل كي يديده ، إنما ليدين جملة أوضاع تضافرت على تجهيله ، فان الفلاح ووالده الشيخ ، قد يئسا من بيروقراطية الوضع ، فظننا أخيرا أن الطبيب يمكن أن يخلصهما .

أما قصة تشيخوف الثانية ، فهي بعنوان (دعابة) وهي أيضا تنضح بهجوع تشيخوف الساخرة ، تقدم أنموذجا ساذجا غريبا هو الفتاة (ناديا بتروفنا) التي تتزlj مع جارها الشاب الذي يستغل غراريتها ليهمس كلما سنحت الفرصة (أحبك يا ناديا) ولكن دون أن يجعلها تتأكد من أن هذه الكلمات صدرت عنه ، وهكذا تظل تعتقد أن الرئيس هي التي تسوق هذه العبارة الجميلة .

٠٢ قصص مختارة من الأدب الصيني : (١)

تحتوي هذه المجموعة سبع قصص صينية ، خمس منها من القصص الصينية الشعبية الكلاسيكية ، واثنين من القصص الصيني الحديث ، أو كما قال نجاتي في مقدمته ، من صين ماوتسي تونغ *

وموضوعات القصص الخمس الأولى تكاد تنصرف في العلاقات الأبوية (الوالدية) المقدسة ، وتهدف الى توجيهات أخلاقية سامية ، فقصة (مينغ اي) (٢) تتحدث عن الحب البريء وطاعة الوالدين ، وقصة (روح الناقوس العظيم) تستهدف أيضا عاطفة الأبوة المقدسة ، والاخلاص حتى التضحية بالحياة من أجل الوالد ، فان الفتاة (كو - نغاي) تلقي بنفسها في البوتقة التي تصهر فيها المعادن من أجل صبّ الناقوس ، حتى يفلح أبوها في مزج المعادن ، حسب توجيهات الحكيم - وتفعل ذلك دون أن تعلم أحدا ، وبذلك أنقذت وألذها المهدد بالقتل فيما لو أخفق في صناعة الناقوس العظيم ، ومنذ ذلك الوقت ، وهذا الناقوس يقول حين يقرع كونغاي - كونغلي . (٣)

وحكاية (تشي - نيو) تتحدث كذلك عن وفاء الابن ومكافأة السماء ، (٤) وقصة (الكنة الفاضلة) تستهدف أيضا مجموعة من المثل الأخلاقية العليا . (٥)

-
- (١) نجاتي صدقي : قصص مختارة من الأدب الصيني (بيروت : دار بيروت ، ١٩٥٢) .
(٢) المصدر السابق نفسه : ص ٧ - ٢٤ .
(٣) المصدر السابق : ص ٢٧ - ٣٥ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٣٦ - ٤٧ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٧١ - ٨٤ .

أما القصتان الباقيتان ، فهما من القصص الواقعي الحديث ، فقصة (يوم الزفاف) للكاتب الصيني المعاصر (ما - مينغ) تصوّر التضحية والاندماج في روح الجماعة التي تمثل الصين الحديثة . (١) وقصة (ذات الشعر الأبيض) تحارب الخرافات والمعتقدات القديمة ، وتعلي من قيم التضحية والتعاون والعلم . (٢)

٣٠ قصص مختارة من الأدب الإسباني : (٣)

وتحتوي هذه المجموعة على خمس قصص إسبانية قصيرة ، مع مقدمة لجاتي عرض فيها بإيجاز لتطور القصة الإسبانية ، وتأثرها بأسلوب القصص العربي من جهة ، وبالخيال الشعبي والمألفة الدينية من جهة أخرى ، وقد اختار هذه القصص لأنها تمثل ، في رأيه ، مراحل تطور القصة الإسبانية منذ سرفنتيس (١٥٤٧ - ١٦١٦) حتى ليوبولدو آلاس (١٨٥٢ - ١٩٠١) .

القصة الأولى عنوانها (رينكونيته وكوتارديللو) تتحدث عن حياة المشردين والمصالحين ، بأسلوب لاذع السخرية ، يذكر برائعة الكاتب (دون كيشوت) ، وتتحدث عن المجتمع الإسباني الذي بدأ بالتفكك والانحلال ، أما بنيتها فهي كلاسيكية ، والوعاء في هذه القصة يتحدثون بلغة فخمة ، أقرب إلى لغة رجال الكنيسة ، بحيث يبدو ذلك مثيراً للسخرية ، وزعيم اللصوص ، يقسم دائماً بمسيحيته ممّا يشير إلى نقداً لسرفنتيس اللاذعة . (٤)

(١) المصدر نفسه : ص ٧١ - ٨٤ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٨٥ - ٨٨ .

(٣) صدرت في بيروت : دار بيروت ، ١٩٥٣ .

(٤) المصدر السابق نفسه : ص ٣٨ .

أما قصة (النحل الحديدي) فهي أسطورة شعبية يرددوها سكان الأندلس وقطالونيا ، ولم يؤلفها شخص واحد ، وهي تهدف الى غاية أخلاقية ، خلاصتها في الحقوق المعنوية التي يحمل المقامر تبعاتها حتى يتمكن من محو خطيئته . (١)

أما قصة (رعاة بيت لحم) للكاتب (أنطونيو ميرا ١٥٧٨ - ١٦٤٤) ، فليس لها حدث محوري ، وإنما تعتمد على الخيال الواسع المجنح ، وهي مجموعة شبه مترابطة من الأخيلة تدور في ذهن شخص جالس واسع الخيال ، يدير حوارا بين مجموعة من الدمى والتماثيل الصغيرة ، وتعتمد بشكل أساسي على براعة التصوير ، وسعة الخيال . (٢)

وقصة (الألفاز الثلاثة) قصة شعبية ، تصور مزار الخمر والادعاء ، وتفخر في طرف ذكي ساخر من جانب رجال الدين . (٣)

والقصة الاسبانية الحديثة الوحيدة في هذه المجموعة هي قصة (وداعا كاريرا) لبيولديو آلاس ، تتحدث بأسلوب رومانسي عن علاقة شقيقين ، صبي وفتاة ، بقرتهم (كاريرا) التي يصورها الكاتب كأنها أم لهذين الصبيين يتيمي الأم ، وتقوم هذه القصة في الأساس على تصوير التناقض بين الطبيعة ببساطتها وعطائها ومحايدها ، وبين الحضارة التي يرمز لها الكاتب هنا بأسلاك الهاتف وسكة القطار ، فحين يبيع والد الصبيين البقرة ، فانهما ينظران الى القطار الذي يحمل المجول الى العالم الخارجي ، بالنسبة لهما ، حيث تذب

(١) المصدر نفسه : ص ٥٤ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٧٢ - ٨٢ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٨٣ .

وتؤكل - بحزن وعداء ، القصة بشكل عام تهرب الى الطبيعة من
الحضارة (المتوحشة) . (١)

٤٠ . الأرملة الملول ، وقصص من العالم : (٢)

تحتوى على ست قصص قصيرة من الأدب العالمي ، وجزء من رواية
(ترالاس بولبا) لنيقولا و غوغول .

وسميت هذه المجموعة باسم القصة الأولى " الأرملة الملول " وهي قصة
صينية ترجمها نجاتي عن الانجليزية ، وتتحدث عن الضعف الانساني وضرورة التغلب
عليه ، فزوجة الحكيم التي تتعهد بالوفاء لزوجها ولذكراه مدى الحياة ، تقبل بعد
أيام من وفاته ، الأمير الذي جاء يخطبها الى نفسه ، بل تهشم تابوت زوجها كي
تستخرج مخه لتطعمه لخطيبها الذي يحتاج الى مخ رجل حديث الوفاة ليشفى
من حالة صرع تنتابه ، وعندما تكتشف الأرملة أن هذا الأمير الخاطب ليس سوى
زوجها الذي تقص بقاءه الروحية الخارقة ، شخصية الأمير ، تسقط
مغشيا عليها . (٣)

أما قصة (روح الشر) للكاتب الاسباني بيدرو أنطونيو آلارسون
١٨٢٣ - ١٨٦٩ ، فهي قصة ميتافيزيقية ، تحاول اثبات وجود قوى فوق بشرية ،
غير خاضعة لأي تصور علمي ، وهي تتحدث عن ظهور عجوز بشعة أمام مهندس

(١) المصدر نفسه : ص ٩٧ .

(٢) صدرت في بيروت : مكتب توزيع المطبوعات ، ١١٥٣ .

(٣) هذه القصة منشورة أيضا في مجلة (الكتاب) عدد (١٠) ١٩٥٢ .

الطرق (تيلسغورو) كلما مات قريب عزيز عليه ، ولما مات هو ، ظهرت هذه المعجزة تفهقه في المقبرة •

وقصة (الابن واصدقاؤه) للكاتب الاسباني (جوان مانويل) ١٢٨٠ - ١٣٤٧ ، قصة ذات مضمون تربوي خلاصته أن الأصدقاء الحقيقيين يظهرن فقط وقت الشدائد ، أما سواهم ، فمتزلفون منافقون ، وحكايتها شائعة في القصص الشعبي العربي ، فقصة الأب الذي يذبح خروفا ويضعه في كيس مومما أصدقاءه أنه قتل رجلا وعليهم مساعدته في اخفاء جريمته ، شائعة في الحكايات الشعبية العربية •

أما قصة (الوارث) للكاتب الانجليزي (جوزيف أديسون ١٦٧٢ - ١٧١٩) فهي أيضا ذات هدف تربوي ، خلاصته أن الابن الذي يجد أمامه ثروة ضخمة سيخلد الى الدعة ، ويبدد ثروته دون عمل • (١)

أما قصة تشيخوف (الكاتب) فتمتاز عن بقية قصص المجموعة بمساسها الحميم بالقضايا الاجتماعية المحاصرة ، تتحدث عن كاتب فقير يجهد قريحته في تحبير اعلان دعائي لتاجر شاي روسي • وكالمادة في الاعلانات التجارية ، يأتي اعلانه مليئا بالفساد وخداع الجمهور ، مما يفرح التاجر ، ولكن الكاتب الذي يتقاضى عن هذا العمل المجهد خمسة كوبيكات فقط ، يصاب بألم يحبر عنه قائلا :

" انكم تدركون الآلام النفسية الشديدة التي كانت
تتأبني وأنا أضع هذا الاعلان ، كنت أكتب وكلي شعور
بأنني أستدرج بلادي بأسرهم الى شبكة من

الفشر والخداع . " (١)

ولكنه في النهاية يخرج ساخطا ، مكسورا ، لاعنا حياته التي اضطرتهم لخداع شعبه وبلاده ، مقابل خمسة كوبيكات فقط .

أما الجزء الذي ترجمه نجاتي من رواية غوغول (ترالاس بولبا) ، لعلمه فيما بعد يستكمل ترجمة بقية الرواية ، فانه يتحدث عن حياة الشعب القوقازي المليئة بالكفاح ، الخنية بقيم الفروسية والشجاعة ، ولم نعر على بقية هذه الرواية مترجمة لنجاتي صدقي ، منشورة أو مخطوطة .

٥٠ . الخنفسة الذهبية : (٢)

وهذه المجموعة تشتمل على ثلاث عشرة قصة للكاتب الأمريكي ادغار آلن بو ، مع مقدمتين قصيرتين للمترجم تحدث في الأولى عن هذه القصص ، وفي الثانية استعرض مراحل حياة مؤلفها وما تخللها من معاناة وبؤس وحظ عاثر ، وحاول أن يربط ظروف حياته القاسية بجنوحه الى هذا الضرب من القصص السوداء القاتم ، يقول :

"وحياة ادغار آلن بو ، هي قصة ضارية ، لرجل

(١) المصدر السابق : ص ٦٢ .

(٢) ادغار آلن بو : الخنفسة الذهبية . ترجمة نجاتي صدقي (بيروت : دار

بيروت ، ١٩٥٤) وقد صدرت هذه المجموعة في بيروت مرة ثانية

سنة ١٩٦٤ بعنوان { القط الأسود } .

ولج عالما تتزاحم فيه أشباح البؤس والألم بالمناكب ، وخـرج
منه محطّم الأعصاب ، فاقد الوعي ، لكنه ترك ثروة قصصية
وشعرية جعلته في مصاف الخالدين . " (١)

والشيء المشترك بين هذه القصص جميعا ، هو احتشادها بعالم
الجريمة ، والرعب ، والجنون ، والموت ، واضطراب الأعصاب . وجميع أبطال هذه
القصص تقريبا مبتلون باضطرابات عقلية عضوية قوية تجعلهم على تماس دائم بعالم
الجريمة والقتل بدم بارد ، وفي كل قصة ، هناك حادثة موت مرعبة واحدة على الأقل .

ففي قصة (انهيار منزل أوشر) ، يكون صاحب البيت مهابا بسوداويية
قائمة ، يعيش مع شقيقته في بيت العائلة الريفي القديم ، وبعد أن تمسوت
شقيقته ويدفنها في قبو البيت ، يتسلط عليه وسواس قاهر أن تكون شقيقته قد
دفنت حية ، فعلا يتحقق هذا الهاجس ، فبعد ثمانية أيام ، تنجح الدفينة في
تحطيم أخشاب نعشها ، وتدخل عليه مترحة ، وتسقط ميتة عليه ، فيسقط
هو ميتا هلعا ، ويحقب ذلك انهيار المنزل ، وابتلاع البحيرة له ، بحيث لا
يبقى أثر لآل أوشر بعد هذين الشقيقتين ، آخر فردين منهم . (٢)

وقصة (القلب الراوي) تصور شخصا مضطرب الأعصاب يقتل جاره ، الشيخ
الطيب ، لا شيء إلا لأن نظرة هذا الشيخ لا تعجبه ، ويفعل جريمته هذه
باستمتاع كبير ودم بارد . (٣)

(١) المصدر السابق : ص ٣ .

(٢) المصدر نفسه : ص ص ١٠ — ٢١ .

(٣) المصدر نفسه : ص ص ١٢٥ — ١٣٠ .

وفي قصة (برميل أمتيلادو) يقتل بطل القصة النبيل صاحبه لأنه وجّه إليه في يوم بعيد ، اهانة بسيطة ، وينقّذ القتل بأن يقيده بسلسلة حديدية في قبه ، ويبني عليه جداراً مجصصاً . (١)

وقصة (القط الأسود) بطلها أيضاً مضطرب العقل ، ومدمن على الكحول ، يقتل زوجته لأنها منعتة من قتل قط أسود وجده في القبو أثناء تقطيع الحطب ، ويدفنها في موقد قديم ، ويدفن معها القط حياً بطريق السهو ، ثم يصعد إلى غرفته لينام قريبا هانئ البال ، ولكن الشرطة تكتشف الجريمة عن طريق مسوأة القط المختنق . (٢)

وبقية القصص تطّيح بالرعب والتفكّر والجريمة لدرجة لا تكاد تحتل ، وتتشابه جميعاً في بنائها المحكم الذي يقوم على السرد ، وتتشابه أيضاً في وجود راوية لكل قصة ، وبطل مضطرب العقل ، ومن حيث انتهائهما غالباً بجريمة بشعة ، أو حادثة موت مخيفة ، أو جثة متحللة ، أو موت جماعي كما في قصة (قناع الموت الأحمر) (٣) ، وتسيطر على بنيتها الأصولية المحكمة ، حبكة بوليسية غاية في الاتقان والتماسك .

(١) المصدر السابق نفسه : ص ١٣١ — ١٣٩ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٧٦ — ١٨٤ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٦٩ — ١٧٥ .

ثانيا - القصة الطويلة والرواية :

١ . بيتر زنجير ، مؤسس حرية الطباعة في العالم الجديد : (١)

قصة طويلة ، تقع في مئة وسبع وستين صفحة ، ترجمها نجاتي عن الانجليزية ، ولم يقدم لها ، تقع حوادثها في الثلث الأول من القرن الثامن عشر ، وبطلها شاب هو (بيتر زنجير) من أصل هولندي ، مات أبوه بالحمى الصفراء في الباخرة أثناء هجرته الى أمريكا ، عمل الفتى صبيا في مطبعة السيد برادفورد ثم استقل بمطبعته الخاصة . وعندما يصل الى نيويورك حاكم انجليزى مستبد يدعى (جوسبي) تشتعل حركة معارضة سياسية ، يقودها بعض الشباب المستعربين ، وهنا يبدأ وعي بيتر يتفتح على معنى الحريات الديمقراطية ، من خلال طبع المنشورات المعارضة لحكم جوسبي ، ويشرع باصدار صحيفة معارضة بعنوان (النيويورك جرنال الاسبوعي) التي تحظى باقبال شعبي ، لدعوتها للحرية والعدالة ، مما يستفز الحكومة ، فتسجنه الا أن الصحيفة تواصل الظهور بجهود زوجته المتفانية كاترين .

وتأخذ عملية محاكمة بيتر زنجير الجانب الأكبر من القصة ، وتبرز ملابساتها القانونية والشعبية تطور الوعي الديمقراطي لدى مواطني نيويورك وغيرهم من أحرار أمريكا ، عبر حرية التعبير ، يقول محاميه السيد (هاميلتون)

(١) توم جالت : بيتر زنجير مؤسس حرية الطباعة في العالم الجديد ، ترجمة

نجاتي صدقي (بيروت : دار الكتاب ، ١٩٥٥) .

عنوانه الاصلي Peter Zenger. Fighter for Freedom

صدر في نيويورك ١٩٥١ .

أمام المحكمة :

" القضية التي تنظرون اليها أيها السادة ، ليست قضية بسيطة تتعلق بطبّاع مسكين ، أو أنها تخص مدينة نيويورك وحدها . . . كلاً ، انها قضية كل انسان حر في أمريكا . . . انها قضية الحرية اطلاقاً " (١)

الكتاب من حيث بنيته الفنية ، يراوح بين أسلوب القصة ، وأسلوب السيرة الأدبية ، ولكن مضمونه واقعي ، والشخص معروفيون في التاريخ الأمريكي ، ومنهم (بنيامين فرانكلين) ، وقد أولى الكاتب عنايته لكشف تبلور الوعي الديمقراطي لدى سكان الولايات المتحدة أيام كانت مستعمرة انجليزية ، قال (لويس موريس) وقد اختير ليفزع النصر النهائي لدستور الولايات المتحدة : " لقد كانت محاكمة بيتر زنجر النبتة الأولى للحرية الأمريكية " (٢)

٢٠ الحصادون ، صورة من البطولة في الحب والجهاد : (٣)

تشارك هذه القصة ، مع القصة السابقة ، من حيث التأريخ للولايات المتحدة ، وتدور أحداثها في بداية النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وهي

(١) المصدر نفسه : ص ١٦١ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ص ١٦٧ .

(٣) كانون الابن ، لوغراند : الحصادون ، صورة من البطولة في الحب والجهاد ،

ترجمة نجاتي صدقي ، (بيروت : ١٩٥٠) صدر في نيويورك ١٩٤١ .

عنوانها الأصلي : (التطلع الى الجبل ،

Look to the mountain .

تتحدث عن أسرة أمريكية من الرواد الأوائل ، رأسها الشاب (وايت ليفنجستون) من ولاية (همشاير) يرتاد لنفسه أرضا ويبتني كوخا عند قدمي جبل (كـوـراي) الشاهق الخصب التربة ، حيث يعيش وزوجته (أليسا) حياة بسيطة قوامها — الزراعة والصيد ، وتسير حياتهما رضىة هانية ، وكأنهما لا يحسّان بالعالم الخارجي ، إلا عبر عائلة صديقيهما (جوناس مور) ، التي تقيم على بعد خمسة عشر ميلا عنهما ، وتدور الأحداث هادئة عادية الى أن تتراعى الى أسماع (وايت) أنباء عن حركة (جورج واشنطن) قائد حركة التحرر الأمريكي من الاستعمار الانجليزي ، فيحمل بندقيته ويذهب للمشاركة في رعى الممارك التي تدور على بعد مئة وعشرين ميلا عن منزله ، حيث يجرح ، فيحتني به الحداد (جوى فيليب) غريمه ومنافسه القديم على حب أليسا ، الذي يبدى تجاهه روحا طيبة ، وبعد الانتصار يعود وايت الى زوجته .

هذه ببساطة حوادث هذه القصة البسيطة في أحداثها ولحلتها وشخصياتها ، ولكنها تشير بشكل هادئ* عفو الى بداية تحسس الشعب الأمريكي لذاته —هـ وشخصيته ، واستقلاله ، فوايت وزوجته يبدوان في آخر القصة ، شخصيين ناضجين ، و " عضوين متلائمين متجانسين في الأمة الأمريكية الطالعة " (١)

٠٢ معركة شيلوة : (٢)

ترجمها نجاتي عن الانجليزية أيضا ، دون أن يقدم لها ، وتشترك

(١) المصدر السابق : ص ٤ .

(٢) فوت ، شلبي : معركة شيلوة ، ترجمة نجاتي صدقي (بيروت : دار

الكاتب ، ١٩٥٠) .

مع القصتين السابقتين من حيث تفطيتها لفترة من فترات التاريخ الأمريكي ، ولكنها تختلف من حيث بنيتها الفنية ، إذ أنها رواية مكتوبة بطريقة وجهات النظر ، ومن هنا تتبع صعوبة تلخيص أحداثها التي تحكي عن الحرب الأهلية الأمريكية في ستينات القرن الماضي ، بين الفيدراليين (الشماليين) ، والكونفدراليين (الجنوبيين) والأحداث تروى على السنة ثمانية من جنود الفريقين ، كل جندي يروى جزءاً من الأحداث انطلاقاً من زاويته الشخصية ، ويبدو هؤلاء جنوداً فقط ، دون أية قناعات شخصية أو أيديولوجية ملموسة ، فالشماليون المدافعون عن حرية العبيد ووحدة أمريكا ، والجنوبيون المدافعون عن النظام الإقطاعي ، يقاتلون وحسب ، وهم يهربون من المعركة جبناءً وجرحى وأنصاف موتى ، وفاقدى المعنويات ويختلطون شماليين وجنوبيين لا فرق ، فالمعركة لم تمتد تهممهم ، ولعل هذا بعض ما قصد إليه الكاتب ، فالحرب ويل مهما كانت مقدسة الأهداف .

" انهم يأتون من أعلى الجرف حيث تدور رحى المعركة ،
والخجل مرتسم على وجوههم ، غير أنهم بعد ساعة من الزمن
يشرعون بالمباهاة عن المقاومة التي أبدوها في ميدان القتال ،
ويقولون : لقد عملنا ما هو مطلوب منا أن نعمله ، هذا ما
يتفوهون به ، ألا أن كل واحد منهم يقول في ضميره : بوسعي
أن أكون ممقوتاً في وطني ، وبوسعي أن أكون جباناً ، ولكنني
لم أجيء الى هذه الغابات لأكون هدفاً للنيران " (١)

يغلب على أسلوب هذه الرواية الوصف الخارجي الموضوعي أكثر مما تحتل
البنية الفنية الروائية ، ومع أنها تتحدث عن حرب ضارية — كما يقول التاريخ —
لأن إيقاعها ظل بطيئاً هادئاً ، بل فاتراً .

٤٠ كارمن : (١)

ترجم نجاتي هذه الرواية ، لمؤلفها الشهير بروسير ميرمييه ، عن الفرنسية ، وأضاف الى ترجمته هذه الفصل الرابع الخاص بحياة الخجرفي اسبانيا في القرن التاسع عشر ، وهو فصل يسقطه المترجمون عادة ، لاعتقادهم أنه بعيد عن جو القصة . (٢)

تبدأ أحداثها في منطقة قرطبة الاسبانية ، مروية على لسان الكاتب الذي يشوع في سياحة في اسبانيا لأسباب جغرافية تاريخية ، بقصد التأكد من موقع معركة (موندرا) ، وأثناء سياحته يلتقي بفارس تبدو عليه معالم الشقاء والقسوة هو (دون جوزيه) وهنا تبدأ قصة (كارمن) بعد سلسلة من الحوادث التي وقعت للراوية برفقة (دون جوزيه) الذي اعتقل بتهمة القتل وقطع الطرقة .

ودون جوزيه هذا ، شاب نبيل المحدث ، يلتقي بفجيرة حسناء ، تدعى (كارمن) ، جمالها يسيطر على أعنى الرجال ، فيقع في غرامها عندما يخلصها من السجن في أثناء فترة خفاره ، ولكنه يسجن بدلا منها ، مما يتسبب في احساسه أن شرفه العسكري قد مسّ بسوء ، وان طموحه للترقيع الى رتبة أعلى قد ذهب هدرا ، فتتدخل الفجيرة الحسنة كارمن أو كارمنيتسا ، وتدبر أمره هربه من المعتقل ، وهنا تبدأ حياة التشرد والصعلة ، ويوما اثر يوم ، يزداد

(١) ميرمييه ، بروسير : كارمن ، ترجمة نجاتي صدقي (بيروت : منشورات عويدات ١٩٦٢) عنوانها الأصلي بالفرنسية :

(٢) المصدر نفسه : ص ٢٠

تعلّقه بها وسيطرتها على لبّه ، حتى يصل به الأمر إلى قتل زوجها
الأعمور (غارسيا) (١) ويتزوجها ، لكنه يظلّ فريسة الشكوك بعدم اخلاصها ،
وتعصف الخيرة بروحه ، فيقترح عليها الهجرة إلى أمريكا وهجر حياة التهريب
وقطع الطرق ، ولكنها ترفض فيعلن أنه تعب من قتل عشاقها ، وأن الأوان ليقتلها
هي ، وفعلا ينفذ ذلك بأن يطعنها بالخنجر في مشهد عاطفي درامي مؤثر (٢) ،
قابله كارمن بطقوس عجزية خاصة ، ومن ثم يذهب ليسلم نفسه للشرطة ، حيث
يعدم .

وقد ألحق نجاتي بترجمته هذه { أوبرا كارمن } من ترجمته أيضا ،
والأوبرا لا تختلف من حيث المضمون عن الرواية إلا بما يقتضيه التطوير الفني
الخاص بالأوبرا ، ويمكن القول ان ترجمة نجاتي لهذه الأوبرا هي ترجمة وصفية
لمشاهدتها ، ان جاز التعبير . (٣)

ثالثا - الشـمـر :

كان اهتمام نجاتي بمدقي بالشعر قليلا على ما يبدو ، ومع ذلك ،
فقد ترجم إلى العربية عددا من القصائد عن الروسية والانجليزية . ففي أثناء

(١) المصدر نفسه : ٨٠ - ٨١ .

(٢ ، ٣) تجدر الإشارة هنا إلى أن فرح أنطون ، كان قد عرّب أوبرا كارمن ، ولحنها
كامل الخلعي ، وأنفق على اخراجها محمود جبر ، ومثلتها منيرة
المهدية في ١٠ فبراير ١٩١٧ على مسرح الحمراء بالاسكندرية .
أنظر : محمد يوسف نجم : " مسرح منيرة المهدية " مجلس
(آفاق عربية) عدد (٣) ١٩٧٨ ، ص ٨٣ .

الدراسة التي وضعها عن بوشكين ، ترجم له بسفر المقاطع الشعرية ، وقصيدتين قصيرتين ، الأولى بعنوان (النبي)^(١) والثانية بعنوان (اطلسم) ، ومن الأخيرة :

" هناك حيث البحر
يفسل دائما الصخور الجرداء
هناك حيث القمر
يسطح دائما في كبد السماء
هناك حيث ابن القوقاز . . الخ " (٢)

كما ترجم عن الروسية أيضا ، عددا من القصائد لمكسيم غوركي ، مثل
قصيدة " الفتاة والموت " وقصيدة " الشمس " وقصيدة " واه يا مارا " وقصيدة " قلب الأم " وغيرها . (٣)

وعن الروسية كذلك ، ترجم ثلاث قصائد للشاعر الروسي " يورى ميخائيل ليرمنتوف " ، الأولى بعنوان " موت الشاعر " تتحدث عن مصرع بوشكين في المباراة المدبرة ، عام ١٨٣٧ ، ومنها :

" مات الشاعر أسير الشرف
أحنى رأسه الفخور ، وفي صدره رماصة وتعطش للانتقام

-
- (١) نجاتي صدقي : بوشكين ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .
(٢) المصدر نفسه : ص ١٢٨ - ١٢٦ .
(٣) نجاتي صدقي : مكسيم غوركي ، ص ١٠٢ - ١١٢ .

لم تتحمل نفس الشاعر ذل صفائر الاهانات
تمرّد على الأوساط بمفرده . . . وقتل
... الخ " (١)

والثالثة بعنوان " النخلات الثلاث " تتحدث عن نخلات ثلاث وحيدات
وقفن في صحراء الحرب النائية ، (٢) أما الثالثة ، فهي بعنوان " غصن
فلسطين " ومنها :

" قل لي يا غصن فلسطين
أين نبتّ وأين ازدهرت
وأى تلال وأى وهاد
زخرفت وزينت
أداعتك أشعة الشمس
عند مياه الاردن الصافية ؟
... الخ " (٣)

أما عن الانجليزية ، فقد ترجم نجاتي قصيدة واحدة للشاعر الأمريكي
ادغار ألن بو ، عنوانها (الخراب) ، ومنها :

" في منتصف ليلة مريسة
كنت أنعم النظر تمسكاً مكسوداً
في مؤلف مثير أنيق من الفنون المنسية
نكست رأسي من النحاس

(١) مجلة (الكتاب) ، حزيران ١٩٤٨ ، مجلد ٦ ، ص ٤٢٠ - ٤٢٢ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ص ٤٢٢ - ٤٢٤ .

(٣) مجلة (الأديب) فبراير ١٩٦٢ ، مجلد ٣١ ، ص ٣٢ - ٣٣ .

بـل كـدت مـه أـفو
حين بلغ مسمي فجأة نقر خفيف، كأن أحدهم
على باب غرفتي بلطف يدق
تتمت قائلًا : لعله زائر غريب على باب غرفتي بلطف يدق
ولا شيء غـير ذلك أبدا
واه . . انني أذكر ذلك جليلا
. . . الخ " (١)

رابعاً - المسرح :

لم يترجم نجاتي الى العربية ، سوى أربع مسرحيات من ذات
الفصل الواحد ، جميعها لتشخوف :

المسرحية الأولى بعنوان (أغنية التم) (٢) ، وهي من مسرحيات تشخوف
الهامة ، كتبها عام ١٨٨٧ ، وينطوي عنوانها على استحارة مقصودة ، اذ يرمز
الى الشهقات الأخيرة من عمر هذا الطائر الجميل (التم) ، وكان تشخوف
يسمىها " دراسة درامية من فصل واحد " - (٣)

وهذه المسرحية هي فعلا دراسة درامية لشخصية الممثل الكوميدي
(سفتلوفيدوف) البالغ من العمر ثمان وستين سنة ، الذي يفيق من سكره

(١) مجلة (الأديب) السنة العاشرة ، ديسمبر ١٩٥١ ، مجلد ١٢ ، ص ١١ .

(٢) نجاتي صدقي : تشخوف ، ص ٥١ - ٦٦ .

(٣) صبرى حافظ : مسرح تشخوف ، (بغداد : وزارة

الاعلام ، ١٩٧٣) ص ٦٣ .

تدرجيا وهو واقف على خشبة مسرح مظلم خاو مرتديا ملابس المهرجين ، وكلمة أفاق من سكره ، كلما ازداد وعيا بواقعه ، ويكونه ممثلا هرما لا قيمة له ، عاشر حياة تافهة تؤدي الى القبر ، دون أن تمنحه سوى المجد الزائف وتصفيق الجمهور ، وهكذا يظل ايقاء ذكرياته يتصاعد كاشفا عن زوايا جديدة من رؤسـه ووحدته ، ويشاركه بعض هذا التداعي الملقن (ايفانفتشر) الذي يختفي في المسرح لعدم وجود مكان آخر يأتى اليه ، ويبلغ هذا التصاعد ذروته في ترديد الممثل الشيخ لمقاطع من (الملك لير) و (هاملت) و (عطيل) وغيرها من المسرحيات الشهيرة ، في محاولة أخيرة يائسة محكمة بالاخفاق سلفا لأن يدرأ عن نفسه هوة الظلام والوحدة ، والبؤس ، والموت ، يقدمها لصالة خاوية انصرف عنها الجمهور ، " انها استغاثة حب من أجل الحياة بكل ما تنطوى عليه من مهزلة ومن مفارقة مؤلمة معا . " (١)

والمرحلية الثانية هي (الدب) ، وهي أيضا دراسة ولكن للعلاقات الانسانية التي تبدو خلالها الانفعالات الزاعقة دليلا صارخا على زيفها ، فالأرملة الشابة (ايفانوف) مات زوجها قبل عام ، ولكنها ما زالت غارقة في ملابس الحداد ، وان لم يمنعها ذلك من أخذ زينتها وعطورها ، ترفض مقابلة الناس وتحتجب في غرفتها ، وكلما جاء ذكر زوجها المرحوم ، نزلت دموعها وأمرت خادما بأن يضعف كمية العلف لحصانه (توبي) . وتظل هكذا حتى يأتي اليوم الذي يكتمل به

(١) المرجع السابق نفسه : ص ٦٤ . وتجدر الإشارة هنا الى أن الدكتور

أبو بكر قد ترجم هذه المسرحية على شكل قصة قصيرة يراوح أسلوبها

بين السرد والحوار والتداعي ، بعنوان (كلخاس) أنظر :

أنطون تشيخوف : أعمال مختارة في ٤ مجلدات (موسكو :

دار التقدم ، ١٩٨١) المجلد الاول ص ٢٣٦ - ٢٤٢ .

(٢) نجاتي صدقي : تشيخوف ، ص ٦٧ - ٩٨ .

العام على وفاة زوجها ، حين يقرع بابها زائر يدعى (سمير نوف) بحجة المطالبة بدين له على زوجها ، فترفض مقابلته ، ولكنه يصر ، وعندما تأتي لطرده يرفض الخروج ، فيتشاجران ، ويصل الأمر بينهما للمبارزة ، فتحضر مسدسين ولكنه فجأة يصارحها بحبه ويصر عليها الزواج ، فتبدي وتمنح ولكنه يأخذها في حضنه ، حتى ان الخادم الذي خرج يستدعي أناسا يحولون دون وقوع المبارزة ، يكاد يخشى عليه من شدة الدهشة عندما يجدهما متماننين ، ولكن السيدة تأمره أن لا يقدم أو يلف للحصان توبي .

لقد جاءت هذه النهاية بعد اشارات ذكية لخياتها الزوجية السابقة أما (سمير نوف) فهو يمثل الفلاح الروسي بكل ما تنطوى عليه شخصيته من طيبة ونصوع ومباشرة بل وجلافة (١) أمام هذه السيدة المدللة التي يشير نفاقها وتكلفها الى طبيعة أخلاق شريحتها الطبقية .

أما مسرحية (مفجوع رغم أنه) (٢) فتقدم أتمودجا ساطعا للانسان البسيط المسحوق ، فالموظف المرهق (تولكاتشوف) ، يقضي طوال يومه في وظيفته ، وطوال المساء متنقلا بين المخازن والحوانيت ليلبي حاجيات زوجته وجيرانها ، ثم راكضا الى محطة القطار ، وحين يصل بيته - وقد تقدم الليل - منهوكا ، يأتي مدرب الموسيقى ليعطي زوجته دروسا ، ثم يعقبه مدرب الرقص ، وعندما

(١) ذكر صبرى حافظ أن (الجلف) هو العنوان الآخر لهذه المسرحية ، أنظر :

مسرح تشيخوف : مرجع سابق ، ص ٦٥ .

(٢) نجاتي صدقي : تشيخوف ، ص ٩٦ - ١١١ ، وقد أعد نجاتي هذه

المسرحية للاذاعة اللبنانية في مساميل (مسرح الجيب) ولم

يغير منها شيئا سوى الاسماء . كما ذكرها صبرى حافظ في كتابه

المذكور بعنوان (شهيد رغم أنه) أو (الحياة في الريف) ص ٦٦ .

ينصرف الأخير قبل الفجر ، ويظن (تولكاتشوف) أن باستطاعته أن يختلس غفوة بسيطة ، حتى يبدأ البعوض في أزيزه ، فتمنعه لسعته المؤلمة من النوم التي أن ينهض إلى القطار ، فالحمل ، فالسوق ، فالقطار ، فمدرب الموسيقى ، فمدرب الرقص ، فالبعوض ، وهكذا في حلقة مفرغة ، ولهذا جاء يطلب العون من صديقه (موراشكين) في صورة مسدس ينهي به حياته البائسة :

" اني مخلوق حي ، وأرد أن أعيش حياتي ،
وحكايتي هذه ليست مهزلة ، ولكنها مأساة ، وإذا لم تعطني
مسدسك فلا أقل من أن تشملني بحطفاك "

ولكن صديقه يطيب من خاطره حتى يهدأ ، ويسأله عن الريف السذي يصيف به فيحدثه ، ثم يسأله أن كان يعرف قريته التي تصيف في ذلك المكان ، فيجيبه تولكاتشوف أنها جارتهم ، وهنا ينسى موراشكين مصائب صاحبه ويطلب إليه أن يوصلها مدينة " صغيرة " هي مكنة خياطة ، وقص كناري فقط . وعند ذلك تبلغ حالة الموظف المسكين أوجها ، فينهض زائغ البصر ، مكفها يصيح
" أتعطش للدم . . أتعطش للدم " ، وهكذا تنتهي المسرحية " وقد قدمت لنا من خلال هذا الموقف الساخر البسيط دراسة إنسانية في وحدة الإنسان وعزله ، وفي أنانيته وعدم قدرته على مشاركة الآخرين همومهم مشاركة حقيقية . " (١)

وتشبه مأساة (تولكاتشوف) هذا ، شخصية (نيوهين) في مسرحية تشيخوف الرابعة (مزار التبغ) (٢) ، فنيوهين أيضا يتوق للانطلاق من حياته الفظة القاسية السقيمة ، تحت سيطرة زوجته المتسلطة ، التي تجبره على تقديم

(١) مسرح تشيخوف : مرجع سابق ، ص ٧٠ .

(٢) تشيخوف : ص ١١١ وما يليها .

أعمال مختلفة لا يؤمن بها ، في مدرستها للبنات :

" انني أفهم أن أكون شهيد فكرة ما ، ولكن أن استشهد
ضحية الأثواب النسائية ، وزجاجات المصابيح ، فالله لا يرضى
هذا ، دعني اذن أجهز على حياتي ، وكفاني هذا ، كفاني " .

بهذه الكلمات ، يصبح الزوج البائس (نيوهين) ، أمام الجمهور الذي
أجبرته زوجته أن يلقي عليه محاضرة عن ضرر التبغ في مدرستها ، ويحرب عن
رغبته في الانطلاق بعيدا الى الريف ، أو الى أى مكان آخر لا تكون فيه زوجته
التي أذاقته الأهوال طوال ثلاث وثلاثين سنة :

" كل ما أبغضه أن أهرب بعيدا عن تلك الحياة المنحطة
العفنة السوقية ، التي حولتني الى عجوز أبله أحرق ، هــرم ،
حقير ، مأفون . أهرب من تلك الزوجة الحقودة الشريرة
المشقية التي عذبتني طوال ثلاثة وثلاثين عاما . . أريد
أن أفر من مطبخها ، ومن موسيقاها ومن نقودها ، ومن
كل صغائرها وتفاعاتها . . "

وهكذا يجد (نيوهين) البائس في جمهور مدرسة زوجته متنفسا لهـمومـهـ ،
فيواصل بث شكواه له ، ولكنـه ما ان يلحـم زوجته تدخل من طرف المسرح ، حتى
يرتعد فرقا ، فيسـلـ ويـقـول :

" وأسمح لنفسي أن آمل على وجه من الوجوه ، ان
محاضرتي عن مضار التبغ سوف تفيد الحاضرين . . لقد
قلت كل شيء وأرحت ضميري " .

وهكذا تنتهي المسرحية ، ونيوهين في سجن الاستبداد والقهر ، لا يستطيع
انفلاتـه .

منذ نهايات القرن الماضي، (١) إلا ان نجاتي صدقي ، كما أشار الدكتور عبد الرحمن ياغي ، وكما نوه أيضا الدكتور ناصر الدين الاسد ، كان من كبار المترجمين عن اللغة الروسية في فلسطين منذ أربعينات هذا القرن . (٢) وقبلهما أشاد ميخائيل نعيمة ، بأهمية جهود نجاتي صدقي في تصريف القارئ العربي بالادب الروسي ، قال في رسالة بحث بها اليه بتاريخ ١٣ آب ١٩٤٤ ، مثنيا على جهوده في التعريف بالادب الروسي في كتابه بوشكين :

"ومما يزيد في قيمة عملك ، أنك وقد حصلت من اللغة الروسية قسطا ليس بالقليل ، تستقي معلوماتك من مصادرها الأصلية . . وفي ذلك ما يخبرني بالامل ، وقد فرغت من بوشكين ، ان أراك تنصرف الى نقل بعض المعالم الادبية الروسية الى العربية " .

وقال ميخائيل نعيمة في رسالته أيضا :

"وأما الفصول التي تلطفت وقرأتها لي من الدراسة التي تعدها عن بوشكين ، فقد تركت في ضميري كثيرا من السرور مع شيء من الامتنان لك . ذاك لأنك قمت ببعض الواجب الذي كان من المفروض أن أقوم به أنا ، نظرا للصلة المتينة بيني وبين الادب الروسي ، وما أنت تأخذ الكسندر بوشكين ، أعظم شعراء الروس وثمة بأسقة ما بين قمم الشعراء الباسقات

(١) د . عبد الرحمن ياغي : حياة الادب الحديث في فلسطين (بيروت : المكتب التجاري ، ١٩٦٨) ، ص ١٠٨ - ١١٨ ، فيها حديث

واف عن حركة الترجمة في فلسطين .

(٢) د . ناصر الدين الاسد : الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والاردن .

على الارض ، فتنقل الى قراء الحربية أخبار حياته القصيرة
المدى ، والحافلة بكل جليل ومدى . " (١)

ولنجاتي نفسه ، رأى في حركة الترجمة الادبية عن الروسية في فلسطين ،
يزيد الامر لنا وضوحا ، يقول في مقدمته لكتابه تشيخوف :

" ويجدري ان اذكر في هذا المجال ، اني لست
أول من يحرق صفحات من الادب الروسي من مصادره مباشرة ،
فهناك فريق من الادباء تخرجوا من المعهد الروسي التبشيري
في الناصرة في أوائل هذا القرن ، قد ترجموا لتشيخوف ،
وتولستوى ، وتورغنيف ، وغيرهم ، إبان الحكم التركي ، الا ان
ترجماتهم كانت يسيرة جدا ، وفيها من حرية التصرف ما فيها ،
زد على ذلك ، ما تركته الخطة التبشيرية التي تمشى عليها
معهد الناصرة من أثر في بعض أولئك الادباء ، والدليل على
ذلك أنه ما ان تدهورت روسيا القيصرية سنة ١٩١٧ ، وزال
شبحها عن الشرق العربي حتى نفض أولئك الادباء أيديهم
من الآداب الروسية ، وبعد ربع قرن من الزمن ، نسوا اللغة
الروسية على وجه التقريب . " (٢)

ولا تقتصر الأهمية التاريخية لترجمات نجاتي الادبية ، على ترجماته عن
الآداب الروسية فحسب ، انما تشمل جمل ترجماته المختلفة ، فان نجاتي كان
مشغلا بتحريف القارئ العربي بمختلف آداب الامم ، ويظهر ذلك في تنوع هذه

(١) نجاتي مدني : بوشكين أمير شعراء روسيا ، انظر المقدمة .

(٢) نجاتي مدني : تشيخوف ، المقدمة ص ٨ .

الترجمات ، وشمولها لآداب أم كثيرة ، كالصينية ، والروسية ، والانجليزية ، والاسبانية ، والامريكية ، ويدعم هذا الرأي ، أسلوب نجاتي في اختيار قصص تمثل عصورا أدبية ممتدة لامة من الامم ، وفي مقدمته لترجماته الادبية ؛ القصصية منها خاصة أشار غير مرة الى انشغاله بتحريف القارئ العربي بالادب العالمي ، واعلامه ، وخصائصه . فهو مثالا يشير في مقدمته لمجموعته (قصص مختارة من الادب الاسباني) الى أنه يهدف من وراء ترجمة هذه القصص التي تمثل تطور القصة الاسبانية منذ (سرفنتس) الى القرن العشرين ، الى اعطاء القارئ العربي نماذج من القصة الشعبية الاسباني . (١) وأشار الى مثل هذا الهدف في مواقع أخرى من ترجماته ، مثل مقدمته لمجموعة (قصص مختارة من الادب الصيني) و (قصص مختارة من الادب الروسي) وغيرها .

ولتحقيق أكبر قدر من التحريف ، كان يترجم القصة ، مع مقدمة قصيرة عن مؤلفها ، وخصائصه ، في اغلب الحالات ، كما هي الحال مثلا في مجموعة (الارملة الملول وقصص من العالم) ومجموعة (الخنفسة الذهبية) ، ومثل (رواية كارمن) التي ملأ حواشيها بشروحات عن مواقع اسبانية ، ومعالم فني حياة الحجر وتاريخهم وعاداتهم . فالهدف التثقيفي كان يشغل نجاتي ويتحكم في اختياراته ، ولحلّ هذا يفسّر اهتمامه بترجمة القصة القصيرة اكثر من سواها ، لان في القصة القصيرة مجالا اوسع للتثقيف من القصة الطويلة أو الرواية ، فالمجموعة القصصية الواحدة يمكن ان تشمل عددا مختلفا من الكتاب ، وبالتالي تحطبي تصورا أوضح وأشمل الى حد ما ، عن أدب هذه الامة أو تلك .

(١) قصص مختارة من الأدب الاسباني : ص ٥ .

ثانيا - القيمة الحياتية :

لقد فتح نجاتي صدقي بوعي ، نوافذ على الأدب العربي لتتسرب من خلالها
بسمات أدبية عالمية ، كالأدب الروسي الخفي بقيم الجماعة وحب الخير ،
وكالأدب الصيني الخفي بالقيم الأخلاقية الانسانية الخالدة ، وكالأدب الاسباني
الثري بأجوائه الشعبية .

وأغلب الكتب الأدبية التي ترجمها - باستثناء قصص ادغار ألن بـو ،
التي شغلت نجاتي برقيتها الفني - غنية بمضامين انسانية رفيعة ، تحرض على
الحب والخير ، ورفعة الانسان وكرامته ، وتحرضه على تجاوز واقعه وتخطيه
اذا كان بائسا أو تافها ، وتكريسه اذا كان خيرا .

فلو أخذنا على سبيل المثال (تشيخوف) ، وهو أكثر أديب روسي ورثا
عالمي احتش به نجاتي (١) ، لوجدنا جميع قصصه ومسرحياته تهتم بالانسان
المعادي ، في علاقته مع واقعه اليومي بجزئياته وتفاصيله التي لا يكاد أحد يلتفت
اليها ، ولكنها في النهاية هي مجمل حياة الانسان . ولوجدنا أيضا أن (تشيخوف)
كان يحرض باستمرار دون زعيق ولا ضوضاء على وجوب تخطي مثل هذه الحياة التي
تستغرق الانسان بتفاصيلها الباهتة والتافهة غالبا ، وهكذا تذهب هدرا .
فتصوير تشيخوف " للتفاهة والنفاق والاهتمام بالقضايا الصغيرة والأشياء الزهيدة ،
كان في الواقع نوعا من النقد المرير الساخر لما وصلت اليه الحياة القائمة " (٢)

(١) ترجم له ست قصص وأربع مسرحيات ، في كتابه (تشيخوف) ، وقصتين في مجموعة
(قصص مختارة من الادب الروسي) وقصة واحدة في مجموعة (الارملة الطول)

(٢) بيلكين أ. ، وآخرون : تشيخوف بين القصة والمسرح . ترجمة حياة شرارة .

(بيروت : دار القلم ، ١٩٧٥) ص ٦ .

فقصة تشيخوف التي بعنوان (فانكا) تصور شوق صبي بائس فسي التاسعة من عمره ، يعمل أجيرا عند اسكاف ، للانطلاق من حياته القاسية ، ولذلك يكتب رسالة الى جده المقيم في قرية بعيدة عن موسكو حتى يأتي ويخلصه ، وبعد أن يخطمها ، يضعها في مغلف ، ويكتب عليه :

" الى قرية جدي " ثم يضيف بعد تفكير " كوستانتين ماكارتيش " ويضعها في صندوق البريد دون طوايح ، ويأوي الى سريره سعيدا ليحلم بأن الرسالة وصلت جده ، وهو الآن يقرأها على زملائه من الخدم بسرور بالسخ . (١)

هذه هي حال شخص تشيخوف ، مسحوقون يودون التحرر من اسار حياتهم القذرة ، ولكنهم لا يستطيعون ، فان (فانكا) لن يتخلص من وضعه ، فالرسالة بدون طوايح ، والحنوان ساذج غير صحيح . وكذا الحال في قصة (تريد النوم) ، فبطلتها فتاة صغيرة تعمل خادمة في منزل يسومها أهلها من العذاب من الفجر الباكر حتى آخر الليل ، دون غذاء كاف ، وبعد ذلك يحصد لها أمر العناية بدافلتهم التي تبدأ في المصراخ في الوقت الذي تريد هي أن تأخذ قسطا من النوم ، وهكذا تمضي الأيام حتى تصل هذه الخادمة المسكينة الى حالة من الانهيار العصبي تدفعها الى قتل الطفلة خنقا فتصمت الى الابد ، وبذلك يتاح لها ان تنام دون يزعجها صراخ الطفلة المتواصل ، ودون أن تعي أنها بذلك قد فتحت بابا جديدا لبؤسها . (٢)

وكذا الحال أيضا مع أبطال مسرحياته الثلاث (أغنية التم) و (ضرر

(١) تشيخوف : ص ١١٩ - ١٢٦ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٢٧ - ١٣٨ .

المتبغ) و (مفجوع رغم أنفه) الذين مضت حياتهم دون أن يستطيعوا الإمساك بلحظة فرح انسانية حقيقية • انهم يعيشون حيوات فارغة مجردة من المضمون، ويتوقون لتغييرها ولكنهم لا يستطيعون • فنيومين بطل (ضرب التبع) يظبل ملتصقا بوحول حياته تحت سيطرة زوجته القاسية ، وكذا (تولكاتشوف) بطل (مفجوع رغم أنفه) الذي لم يجد صدرا واحدا يستند اليه ، وكذلك الحال أيضا للمثل الشيخ (سفتلوفيدوف) الذي ذهبت حياته هدرا على خشبة مسرح يتركه عليه الجمهور وحيدا بعد ان امتصوه طوال أربعين عاما • وفي آخر الامر يجد نفسه وحيدا أمام الموت • لقد كان تشيخوف ذا حس مرهف على معاناة جيله في الحقوق القليلة التي سبقت الثورة الاشتراكية ١٩١٧ • واننا في هذه العجالة المبتسرة ، لا نستطيع الحديث عن تشيخوف بصورة توفيه جزءا يسيرا من حقه ، وليس هذا هدفنا ، انما نريد الاشارة الى نوع الادب الذي حوّر نجاتي صدقي أن يضعه بين يدي القارئ العربي • ثم ان تشيخوف ليس الأنموذج الوحيد الذي قدمه ، فقد قدم أيضا ثلاثة أعمال لكتاب من أمريكا تركز على فكرة الحرية والديمقراطية ، والنضال من أجلها ، وهي (الحصادون) و (بيترزنجر) و (معركة شيلوه) •

وباختصار ، فان نجاتي قد قدم ادبا عالميا انسانيا غنيا بمضامينه الباقية الداعية لخير الانسان ورفعته وحيثيته •

ثالثا - القيمة الفنية :

تتبع القيمة الفنية الكبرى لترجمات نجاتي صدقي الأدبية ، ولا سيما القصة القصيرة ، (١) من ترسيخها للقيمة الاصولية المحكمة من حيث المعمار الفني ، فمن

(١) بلغ عدد القصة القصيرة التي ترجمها نجاتي أربعة وأربعين قصة •

الملاحظ ان جميع القصص القصيرة التي ترجمها ، تقريبا ، تقع ضمن المحمار الاصولي المحكم من حيث احتواء القصة على العناصر الاساسية للقصة الاصولية من مقدمة وحادثة وعقدة وخاتمة ، ومن حيث حبكتها التي توظف هذه العناصر ضمن سياق زمني مكاني محدد .

وقد كان نجاتي على وعي بهذا الجانب عند اختياره للقصص التي ترجمها ، يقول في مقدمته لمجموعة (قصص مختارة من الادب الروسي) :

" هذه قصص قصيرة مختارة من الأدب الروسي الكلاسيكي ، وأصحابها عمالقة ذاع صيتهم في العالم بأسره ، ترجمتها لك عن اللغة الروسية مباشرة ، وفي ترجمتي لها لم أكن موظفا ، بل تقمصت نفوس أولئك الكتاب وعشت تفكيرهم ، ودقائق احساسهم . " (١) هؤلاء العمالقة الذين يقصد بهم هم : تولستوى ، وتشخوف ، وبوشكين ، وغوركي ، ودستوفسكي وبارثيس . ومع أن نجاتي كان واعيا على ان رؤية هؤلاء الكتاب الحياتية هي رؤية انتقادية ، الا أعمالهم كانت كلاسيكية من حيث بنيتها الفنية .

ولكن أصولية القصة القصيرة بشكلها الكامل الذي أرضى نجاتي ، وحقق قناعته ، وجدما عند الكاتب الأمريكي (ادغار ألن بو) الذي احتفى به نجاتي احتفاء بالغا ، واعتبره " أبا للقصة القصيرة الحديثة " ، فنقل له ثلاث عشرة قصة قصيرة ، هادفا من وراء هذه " القصص المختارة من عيون قصص الكاتب الكلاسيكي الأمريكي الكبير ادغار ألن بو " الى " رفع مستوى القصة العربية . " (٢)

(١) قصص مختارة من الادب الروسي : ص ٣ .

(٢) الخنفسة الذهبية : ص ٣ .

فقصص (بو) هذه ، تمثل نماذج رفيعة لفن القصص السردى الاصولي المحكم البناء ، وهي تتشابه في تحقيقها لعناصر القصة الاصولية من مقدمة وحادثة وعقدة وحل ، وحبكة . وقد بنيت جميعا بحيث تشمل راية وبطلا ، ومصحح أن أغلب القصص فيها استعراض لثقافة الكاتب المنطقية والتاريخية والعلمية ، ومع ما فيها من مقدمات تبدو أحيانا طويلة ، كما في قصة (جريمة في شارع مورغ) (١) الا ان القاص كان بارعا جدا في توظيف كل كلمة يأتي بها ، بحيث ان هذه المقدمات التي قد تبدو للوهلة الاولى كأنها مقدمات من أجل أبحاث أكاديمية ، تأتي في النهاية منسجمة مع بنية القصة ، وذات ضرورة فنية موضوعية ، استطاع الكاتب توظيفها ببراعة ، بحيث تأتي في النهاية كالبناء المحكم المنسجم العناصر .

وقصصه المترجمة الاخرى ، ولا سيما القصص الاسبانية ، مثل قصة سيرفنتس (رينو كنيته وكورتا ديللو) ، والقصص الروسية ، قصة تولستوى (المنفى) تقع أيضا ضمن القصص الاصولي المتفوق ، وكذلك أيضا قصص (تشيخوف) التي تقع ضمن هذا البناء الفني ، مع أنها لا تمتاز بالطابع الحقلى الفريد الذى امتازت به قصص (ادغار ألن بو) ذات الحبكة البوليسية . فقد كان تشيخوف يبحث عن عمق المضمون في بساطة الشكل ، وهو في تركيزه على تفاصيل الحياة وجزئياتها البسيطة ، استطاع أن يجد الشكل الفني الملائم لتفجير هذه الجزئيات ، بحيث تصبح في تركيبها الفني النهائي ، ذات قوة صادمية ،

تجعل المرء ينكشء ليفكر بصمق في حياته ومفزاها ، حتى يرفضها ليحيشها
بشكلها الاكثر عمقا وجدوى • قال الناقد بيلنسكي :

" اذا وجدت أفكار العصر ، فسنجد الشكل أيضا " (١) فقد ابتكر
تشخوف الشكل الفني الملائم الذي يتسع للمادة الحياتية الفنية التي عبر بها
عن عصره •

(١) تشخوف بين القصة والمسرح • مرجع سابق : ص ١٠ •

لغته في الترجمة :

ان التصدي لترجمات نجاتي صدقي ، والحديث عن لغتها ، وأمانتها ودقتها ، دون اتقان اللغات الاصلية التي نقل عنها ، يشكل خطأ منهجيا في الاساس .

ومع ذلك ، فيمكن تجاوز هذه الصعوبة بتقديماً ، عن طريق مقارنة القطع الادبية التي ترجمها نجاتي ، بترجمة أخرى أو أكثر للعمل ذاته انجزها بحمر الادباء العرب بعد نجاتي صدقي ، ونحن هنا لا نريد ، بل لا نستطيع مقارنة جميع ترجماته بترجمات مماثلة لادباء عرب آخرين ، بل سنكتفي بنماذج استطعنا حصرها في الشعر والقصة والمسرح .

٠١ في الشعر :

يتحدد منهج نجاتي في ترجمة الشعر بقوله التالي :

" وليس من الضروري طبعا ان يترجم الشعر بشعر ، ولكن يتحتم على المترجم ان يحافظ على جمال الصورة ، ودقة المعنى ، والربيع الموسيقي . . وهذا لا يتأتى الا لمن يطالع الشعر بلغته الاصلية ، ويتذوقه ، ويـدرك كنه معانيه . . " (١)

ومع ذلك ، فان نجاتي في كثير من القصائد التي ترجمها الى اللغة العربية ،
كان يحاول تحقيق قافية في نهاية الاشطر الشعرية دون الاعتناء باتامة الوزن
الشعري ، ولذلك جاءت أواخر أشطره مسجوعة أضحت السياق الشعري
للقصيدة المترجمة ، ومثال ذلك ترجمته لقصيدة (الطلسم) لبوشكين :

" هناك حيث البحر
يفسل دائما الصخور السوداء
هناك حيث القمر
يسطاع دائما في كبد السماء
هناك حيث ابن القوقاز
يقضي الايام مع غادته الهيفاء . . الخ " (١)

وكما في قصيدة (غصن فلسطين) للشاعر الروسي ليرمنتوف :

" قل لي يا غصن فلسطين
أين نبت وأين ازدهرت
وأى تسلال وأى وهج
زخرفت وزينت
أداعتك أشعة الشرق
عند مياه الاردن الصافية
أهزتك رياح جبل لبنان
حانة عاتية
أكانت أوراقك الخضراء
ترنم بهدوء وحنين

(١) المصدر نفسه ، مريض ، ١٢٨ - ١٢٩ .

أم كانت ترسل أغاني الاقدمين
لأبناء القديس الساكنين
... الخ " (١)

ولكن بصرف القوائد التي ترجمها نجاتي مثل قصائد غوري ، وقصيدة
(الخراب) لادغار ألن بو ، سلمت من سجع أو آخرها فجاءت أصفى وأسلم ،
ومن أجل أن نأخذ فكرة أوضح عن دقة ترجمته وأمانتها ، نختار قصيدة لبوشكين
بعنوان (النبي) ترجمها نجاتي سنة ١٩٤٥ ، وترجمها بعده بمدة تزيد
عن الثلاثين عاما الدكتور جميل نصيف التكريتي ، وترجمة نجاتي هي :

"جئت القفر القاتم متمشرا
وأنا تب من نفسي الظامئة
وعند ملتقى الطرق ومفرقها
ظهر لي مسلك يستترة أجحة
مرّ بأصابعه على عيني
فكان لمسّه رفيقا كالعلم
فتحت عينيّ وجلا
وكأنني سر قد بوغت في وكره
... .

ثم شق صدرى بسيف
ونزع منه قلبي الخافق
وأثبت مكانه فحمة تتأجج بالنار
استلقيت في القفر كأنني جثة هامدة

وسمعت صوت الله يقول : قم أيها النبي
طفف القفار والبحار
وبكلمتي أوقد النار في قلوب الناس . " (١)

أما ترجمة الدكتور التكريتي ، فهي :

" لقد جبت القفر الكثيب متعثرا
يحذبني ظمأً روحي
وعند مفترق الطرق
ظهر لي ملاك بسة أجنحة
وبأصابع خفيفة كالحرير
مسرّ علي عيني
فانفتحت عيناؤ المتبئسان
كما تفعل أنثى نسر مرمومة
. . .

وشقّ صدرى بالسيوف
ونزع منه قلبي الخافق
ووضع في الصدر المفتوح
فحمة تتأجج بالنار
وكجثة هامة استلقيت في القفر
وناداني صوت السرب
انهض أيها النبي
وامسح وراقب

ونفـذ مشيئـتي
وطـف القـار والبحـار
وبكلمتي آجـج قـلوب النـاس . " (١)

وتجدر الإشارة هنا الى أن بعض القصائد التي ترجمها نجاتي عن الشعر الروسي ، مثل قصيدتي (الطلسم) و (النبي) لبوشكين ، وقصيدتي (غصن فلسطين) و (موت شاعر) ليورى ميخائيل ليرمنتوف ، قد ترجمتها أيضا الدكتورة حياة شرارة بعد نجاتي صدقي بمدة تقارب الثلاثين عاما . (٢)

٢ . في القصة والمسرحية :

يمكن القول ان نجاتي كان موفقا الى حد كبير في ترجمة القصص والمسرحيات ، وبخاصة قصص تشيخوف ومسرحياته وقصص ادغار ألن بو ، وهذا الرأي جاء بعد الاطلاع على الأعمال التي ترجمها ، وعلى الاعمال نفسها التي أنجز ترجمتها

(١) بتروف . س . م : الكساندر سركييفتش بوشكين . ترجمة د . جميل نصيف

التكريتي (بغداد : وزارة الاعـلام ، ١٦٨١)

ص ٢٦٤ - ٢٦٦ .

(٢) من أراد المقارنة بين ترجمات نجاتي وترجمات الدكتورة حياة شرارة

ينظر حواشي الصفحات السابقة ، وكتاب الدكتورة حياة شرارة :

(من ديوان الشعر الروسي الحديث) ، بيروت :

المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٣ الصفحات التالية :

١٨١ - ١٨٢ ، ١٨٥ - ١٨٦ ، ٢٦٦ - ٢٦٧ .

٢٧٢ - ٢٧٦ .

بعض الادباء العرب بعده ، اذ ان موهبة نجاتي القصصية ، وسعة ثروته اللغوية واتقانه الجيد للغات الاصلية التي نقل عنها ، وتمثله لادبها ، ساعده على المحافظة على روح النص ، ونقله بدقة وأمانة ، وقد أشار هو الى انه لم يكن في نقله للقصص مترجما آليا ، بل كان يدرك الفكر الذي يترجم عنه ، والمواقع التي يصدر عنها كتاب القصة ، والمواقف التي يقفون عليها . (١)

ومن مقارنة الاعمال التي حصرناها بخيرها ، نستطيع القول ان نجاتي كان دقيقا وأميناً الى حد بعيد في ترجمته ، اذ تماثلت ترجماته مع غيرها لمتترجمين آخرين ، تماثلا كبيرا ، وهذا دليل على دقة الترجمة ، وان وجد بعض الاختلاف ، فهو اختلاف بسيط غالبا ما يكون في استخدام مفردة بدل مفردة أخرى ، ولكن نجاتي كان دائما يستعمل المفردات الفصيحة ، في حين أن بعض المترجمين سواء استعملوا مفردات عامية في بعض الاحيان . (٢)

وقد استطعنا حصر الاعمال التالية ، في مجال القصة والمسرحية ، ترجمها نجاتي ، ووجدنا لها ترجمات أخرى أنجزت فيما بعد ، مما يحفظ له فضل السبق الى ترجمتها ، وسيجد المهتم اثباتا لبعض هذه الاعمال في ملحق هذا البحث ، وهي :

١ . قصة (فانكا) لتشخوف ، ترجمها نجاتي ، وترجمها بعده

(١) قصص مختارة من الادب الروسي ، ص ٣ .

(٢) انظر مثلاً قصة (فانكا) التي ترجمها نجاتي ، وترجمها أيضا الدكتور

أبو بكر يوسف . نجاتي صدقي : تشخوف ، ص ١٥٣ — ١٦٠ .

أنطون تشخوف : قصص مختارة في ٤ مجلدات . ترجمة أبو بكر

يوسف (موسكو : دار التقدم ١٩٨١) المجلد الاول ص ٢٤٨ — ٢٥٢ .

- بثلاثين عاما الدكتور أبوبكر يوسف ، بالعنوان ذاته . (١)
- ٢ • قصة (دعاية) لتشيوخوف أيضا ، ترجمها نجاتي ، وترجمها
كذلك الدكتور أبوبكر يوسف بعنوان (مزحة) . (٢)
- ٣ • قصة (صبي شرير) لتشيوخوف أيضا ، ترجمها نجاتي وترجمها أيضا
الدكتور أبوبكر يوسف بعنوان (الصبي الشرير) . (٣)
- ٤ • مسرحية (أغنية التم) لتشيوخوف ، ترجمها نجاتي ، وترجمها
بعده بثلاثين عاما الدكتور وليد مصطفى بعنوان (أغنية البجعة
أو أغنية الأوج) . (٤)
- ٥ • مسرحية (الدب) لتشيوخوف ، ترجمها نجاتي ، وترجمها أيضا
سميد قزمانى بالعنوان ذاته . (٥)

-
- (١) انظر هامش رقم (٢) من الصفحة السابقة .
- (٢) قصص مختارة من الادب الروسي : ص ص ، وانظر أيضا ،
مؤلفات مختارة في ٤ مجلدات ، المجلد الاول ص ص ١٦٣ — ١٦٧ .
- (٣) نجاتي صدقي : تشيوخوف ، ص ص ، وانظر أيضا
مؤلفات مختارة في ٤ مجلدات ، المجلد الاول ص ص ٣٢ — ٣٤ .
- (٤) نجاتي صدقي : تشيوخوف ، ص ص ٥١ — ٦٦ وانظر أيضا
د • وليد مصطفى : موت فتاة صغيرة وقصص أخرى (عمان : رابطة
الكتاب الاردنيين ، ١٩٨٠) ص ص ٢٧ — ٣٩ .
- (٥) نجاتي صدقي : تشيوخوف ، ص ص ٦٧ — ٩٧ ، وانظر أيضا
سميد قزمانى وسميد جوعدار : مسرحيات مختارة (دمشق :
وزارة الاعلام ، ١٩٧٤) ص ص ١٠٧ — ١١٧ .

٠٦ قصة (القلب الراوي) لادغار ألن بو ، ترجمها نجاتي صدقي ،
ووجدنا لها ترجمة أخرى من انجاز (سميرة حسان) و (سمير
رفيق حسن) بعنوان (القلب الواشي) . (١)

٠٧ قصة (قناع الموت الأحمر) لادغار ألن بو أيضا ، ترجمة نجاتي
ووجدنا لها ترجمة أخرى انجزها القاص مؤنس الوزاز بعد نجاتي
بحوالي عشرين عاما . (٢)

(١) الخنفسة الذهبية ، صدر سابق ، ص.ص ١٢٥ - ١٣٠ ، وانظر أيضا :

سميرة حسان وسميرة رفيق حسن : القلب الواشي وقصص أخرى ،
(بيروت : المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر ١٩٦٠)

ص.ص ٣١ - ٣٩ .

(٢) الخنفسة الذهبية ، ص.ص ١٦٩ - ١٧٥ وانظر أيضا :

جريدة (الرأى) الاردنية عدد (٤٨١٢) تاريخ ١٢/٨/٨٣ .

ثالثا : نجاتي صدقي ناقدًا

— مدخل

— الاساس النظرى

— دراساته الادبيّة

— التّقديم :

— اهتمام بالمضمون

— مصادر أحكامه النقدية

النقد الادبي جانب هام في نشاط نجاتي صدقي الثقافي وفيضه الادبي ،
فقد ترك هذا الرجل دراسات أدبية ، ومقالات نقدية مختلفة ، بين مطبوع أو
منشور في الصحف والمجلات الادبية ، من منتصف الثلاثينات ، حتى أوائل
السبعينات من هذا القرن ، على فترات متباعدة .

ففي سنة ١٩٤٥ أصدر كتابه " بوشكين أمير شعراء روسيا " ثم أتبعه
بكتابه " تشيخوف " سنة ١٩٤٧ ، ثم كتابه " مكسيم غوركي " سنة
١٩٥٦ . (١)

أما الدراسات الادبية ، والمقالات النقدية التي نشرها في المجلات ، فأهم
ما استطلعنا الحصول عليه منها :

- ١ . مقال بعنوان " وهل يخفى القمر " عن عمر بن أبي ربيعة ، والكتاب
الذي أصدره رثيف خوري بهذا العنوان عن الشاعر المذكور . (٢)
- ٢ . مقال بعنوان " المدرسة المادية العربية " . (٣)
- ٣ . دراسة بعنوان " موباسان في مبادئه وفنه " . (٤)
- ٤ . دراسة بعنوان " دين كيشوت ، ميكل سرفنتس سافدرا " . (٥)

(١) صدرت هذه الكتب الثلاثة في القاهرة عن دار المعارف في السنوات
المذكورة أعلاه ، وقد صدر كتاب " تشيخوف " عن الدار نفسها
مرة ثانية سنة ١٩٥٦ .

- (٢) مجلة (الجمهور) السنة الثالثة ، العدد (١١٠) شباط / فبراير ١٩٣٦ ص ٢٠ .
- (٣) مجلة (الأمل) السنة الاولى ، العدد (٤) أيلول / سبتمبر ١٩٣٨ ص ٢٦ .
- (٤) مجلة (الكتاب) السنة الثالثة ، ج (٦) حزيران ١٩٤٨ ، ص ٧٥ وما بعدها .
- (٥) مجلة (الكتاب) السنة السابعة ج (٥) مايو ١٩٥٢ ، ص ٥٦٤ .

٥٥ دراسة عن قمة مجنون ليلي بين الأدبين العربي والفارسي بعنوان :
"النظامي الكنجوري ومجنون ليلي" . (١)

وله أيضا عدد من المقالات النقدية ، في مراجعة الكتب الصادرة ونقدها ،
ومنها :

- ١ . القضية العربية في رواية الرغبة . (٢)
- ٢ . أناشيد المهزلة العربية ، قراءة في مطوّلة الشاعر الفلسطيني
محمود الحوت . (٣)
- ٣ . القصة العربية في الادب الروسي . (٤)

أما عدا ذلك ، فان مواقف ناجاتي صدقي النقدية ، قد تعدّت النشاط
الادبي ، الى الموسيقى ، والنحت ، والرسم ، فقد كتب عن السمفونية التاسعة
لبتهوفن ، (٥) وعن تماثيل الفنان الفرنسي أوغست رودان ، (٦) وغيرها .

-
- (١) مجلة (قافلة الزيت) مجلد ١٩ ، عدد (٢) صفر ١٣٩١ هـ . ابريل
١٩٧١ ، ص ٣١ - ٣٥ .
 - (٢) مجلة (المكشوف) ، السنة الخامسة ، عدد (٢١٥) ص ٥ .
 - (٣) مجلة (الرسالة) السنة ١٩ ، عدد ٩٦٢ ، ديسمبر ١٩٥١ ، ص ١٤٣٣ .
 - (٤) مجلة (الرائد العربي) السنة الرابعة ، عدد ٣٧ ، نوفمبر / تشرين
ثاني ١٩٦٣ ، ص ٤١ - ٤٥ .
 - (٥) مجلة (الطلیحة) السنة الثالثة ، العددان (٢ و ٣) معا عن شهر
شباط وآذار ١٩٣٧ ، ص ١٢٧ - ١٣٢ .
 - (٦) مجلة (الرائد العربي) السنة الرابعة ، عدد ٤٥ ، يوليو / تموز
١٩٦٤ ، ص ٣٢ - ٣٧ .

وفي الصفحات التالية ، سحاول أن نستخلص رؤية نجاتي صدقي النقدية ، وذلك من خلال تتبع مواقفه النقدية بين النظرية والتطبيق ، أي أننا سنقف أولاً على التطويرات النقدية ، والاسس النظرية التي انطلق منها واستند اليها ، في مجال النقد الأدبي ، ثم نتبع هذه الأسس في دراساته الأدبية ، لنرى مدى التزامه بنظريته النقدية في مواقفه التطبيقية .

الأساس النظري :

يمكن القول ، ان أيديولوجية نجاتي صدقي التقدمية ، من حيث فهمه المادى لحركة التاريخ ، قد انسحبت على رؤيته لجميع مجالات الحياة ونشاطها ، بما فيها الفكر والادب . فقد كان يرى أن الأدب مرتبط بحركة المجتمع التاريخية ، اقتصاديا وسياسيا ، وليس معزولا عنها ، يقول مثلا :

"والصرف المتبع في التطور التاريخي أن الطبقة الثائرة توجد لها دائما الكتاب والشعراء والموسيقيين الذين يحبرون عن حالتها الروحية ، من حيث يشعرون أنهم يقومون بهذه المهمة أولا يشعرون على الاطلاق . " (١)

فالفكر في رؤيته اذن ، متصل بحالة المجتمع سواء في التقدم أو في التراجع ، يقول في حديثه عن (الخزالي) الذي يعبر في رأيه عن مرحلة انحطاط في التاريخ العربي ، بصرف النظر عن عبقرية اللاهوتية ، مشيرا الى جدلية الارتباط

(١) مجلة (الطليعة) ، العددان (٢ ، ٣) معا ، شباط وآذار ١٩٢٧ ، ص ١٢٨ .

بين الحياة الفكرية ، والحالة الانتاجية للأمم :

" والمعروف في التاريخ أن انحطاط الحكم يتسبب في الغالب عن انحطاط حالة البلاد الانتاجية والمالية والاقتصادية ، ومتى بلغت هذه المرحلة في حكمها ، وفي اقتصادياتها ، تنتقل الحدود الى حياتها الروحية والفكرية ، ويظهر فيها علماء يدعون الى مجارة تيار الانحطاط . " (١)

لقد دعا نجاتي بقوة الى تبني الاتجاه المادي في الادب وفي التفكير العربي اطلاقا ، يقول :

" الحقيقة ان المدرسة المادية الحديثة لم تتبوأ بمكانتها في الأدب العربي الحديث ، غير ان هناك مساعي أكيدة يقوم بها بعض الادباء العرب الذين تثقفوا ثقافة مادية ، الخاية منها خلق اتجاه جديد في التفكير العربي على الاجمال . " (٢)

ويقول أيضا في ختام مقالته هذه :

" ورأبي الشخصي أنه لا تقوم لنا قائمة الا متى طرحنا عن عائقنا رداء الخيال والتصوف ، وأخذنا بتلابيب المادية القوية والبيان الشديد الأسر ، فالمادية تظهر الحقائق ، وتحفز على الكفاح ، ومن كافح عاش . " (٣)

(١) مجلة (الطلبة) ، العدد (٧) تموز / يوليو ١٩٣٨ ، ص

(٢) مجلة (الامالي) : " المدرسة المادية العربية " بقلم نجاتي صدقي .

السنة الاولى . العدد (٤) أيلول / سبتمبر ١٩٣٨ ، ص ٢٦ .

(٣) المصدر السابق نفسه ، المكان نفسه .

أما فهمه للنظرية المادية في الادب ، فيكمن في جانبين :

الأول : واقعية الأدب من حيث محتواه ومصادره ؛

والمقصود بذلك أن الادب المادى يصدر في مضامينه عن واقع الحياة

الاجتماعية ، فالادب المادى عنده :

" • • يستمد مادته من الحياة المحيطة ، ويتطلب

من الاديب أن يغادر صومعته وينزل الى معترك الحياة

الاجتماعية ، ويبحث عن أبطاله وأهدافه في القصص —

الشامخة أو في الأكواخ الحقبية ، وفي أسواق المدن الصاخبة ،

أو في أزقة القرى الوادعة • " (١)

الثاني : عملية الابداع هي واقع مادى ؛

نظر نجاتي الى الابداع الادبي على أنه عملية تتحكم فيها الظروف

المادية للمبدع والمجتمع ، ليس من زاوية أن هذه الظروف تؤثر فيها فحسب ، بل

من زاوية ان هذه الظروف تشكلها أساسا • ويسوق على ذلك مثالا نوعين من

الانتاج البشرى ، كالحبّ الذى ينتجه الزارع أو الحذاء الذى ينتجه الصانع من

جهة ، والانتاج " العقلي " كالادب من الجهة الاخرى ، ويميز بينهما —

بالخصائص الذاتية التي يتضمنها النتاج العقلي الابداعي كالادب ، ويفتقر اليها

الانتاج المادى كالحبّ أو الحذاء ، فالحذاء يبقى حذاءً والحب يبقى حبا ،

بعكس الادب الذى يشف عن شخصية صاحبه • ويخلص الى القول بأن عجز

بعضهم عن تلمس الاسس المادية للابداع الفنى — قد أوقعهم في حيرة أدّت بهم

الى مناهات منها اعتبار الادب من نتاج داخلية النفس الانسانية ، ولذلك

(١) المصدر السابق نفسه ، المكان نفسه •

انشغلوا بالتحديق في دواخل نفوسهم وعزلها عن المؤثرات الخارجية كـي لا تفسدها . (١) يقول محاورا هذه النظرة ومؤكدا الاسس المادية للابداع :

" فالادب المادى ينقض هذه النظرية من أساسها ،
ويقول بأن شعورنا بالكتابة لا يولد باطنيا ، بل هو مظهر
لما يحيط بنا ، ولما نراه ونلمسه ونسمعه ، ونقرأه ونختبره
بذاتنا أو نتأثر به من غيرنا ، شعورنا بالكتابة مظهر لحالات
الشعب الفكرية ، وهو تعبير لمظامحه وحاجاته ، وليأسسه
وتفاؤله ، ولسخطه وسروره . " (٢)

واستنادا الى هذه المفاهيم التي يبيثها ، فان وظيفة الادب عنده قد
اختلفت بين الادب المادى (الواقعي) وبين الادب الذى يسميه الادب
الخيالى ، (٣) فالادب في المنظور المادى لم يعد تسليية لتزجية الوقت ، يقول :

" والاديب المادى ينكر على كل من يقول بأن الادب ما
هو الا ألـهية وجد ليقتل بها الاديب سأمه ، فيتسلى به
كما يشاء ، غير مكترث لآراء الناس واحتفاليهم به ، وينكسر

(١) المصدر السابق نفسه : ص ٢٦ . ولعل نجاتي يشير هنا الى الرومانسيين

الذين كانوا يقولون أن الابداع الفنى هو نتاج الذات العبقريّة .

(٢) المصدر السابق نفسه : ص ٢٦ .

(٣) لاحظ الدكتور هاشم ياغي أن نجاتي يقصد بالأدب الخيالى الاتجاه الرومانسي

في بعض رساماته أحيانا ، وأحيانا أخرى يحني الاوهام لا الخيال الفنى .

أنظر : النقد الادبى الحديث فى فلسطين (القاهرة : المنظمة

العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٢) ص ١٦٦ و ١٨١ .

على الاديب قوله بأنه كتب لنفسه وأرضى وجدانه فقط ، أو
أنه كتب للفن ليس الآ . " (١)

ولذلك ، فالاديب ، عنده يجب أن يكون ملتزما بقضايا أمته ، منتميا لها ،
والخبرة التي يشعر بها الفنان الروماني ، تشير الى ضعف هذا الانتماء ، أو
انعدامه ، والذنب فيها يقع على الكاتب نفسه ، لا على المجتمع الذي لفظ هذا
الكاتب وسزله . لان الكاتب هو الذي عزل نفسه عن واقع شعبه وقضاياه ، ولم
يخاطب مجتمعه باللغة التي يفهمها ، بقدر ما يخاطب ذاته ، ويعبر عن
تهويماته في عوالمه الخاصة ، ويسوق مثالا على ذلك شكوى (جبران خليل جبران)
من غربته في هذا العالم حين يقول :

"أنا غريب في هذا العالم غريب ، وفي الخبرة وحسنة
قاسية ، أنا غريب وقد جبت مشارق الارض ومفاريها فلم أجـد
مسقط رأسي ، ولا لقيت من يعرفني ويسمع بي . . أنا
غريب وليس في العالم من يحرف كلمة من لغة نفسي . " (٢)

فنجاتي يروى أن الحياة بأبصارها المختلفة ، لا بد أن تنعكس في ابداع
المبدع ، يقول :

"ثم ان القول بأن الادب بعيد عن النزعات السياسية
والاجتماعية ، قول خاطئ لا يوافق الحقيقة والواقع ، فالكاتب
لا يكتب شيئا ، الا ونرى من خلال سطورهِ بأنه يحبر عن
نزعة ما ، فاما ان يدافع عن وطنه ، واما أن يهجو جماعة من

(١) مجلة (الأمالى) . مصدر سابق : ص ٢٧ .

(٢) المكان السابق نفسه .

الجماعات ، أو يطعن بمذهب من المذاهب ، أو يناصر
أحد هذه ، ويؤيده . " (١)

هذا الالتزام الذي تحدث عنه نجاتي ، لا بد أن يكون موجودا ، حتى
لو لم يشمر به المبدع ، ولكن في الوقت ذاته ، لا يمكن لأحد أن يفرضه من
الخارج ، بقدر ما هو انعكاس للعالم الخارجي (الموضوعي) في وعي المبدع
(ذاتيه) ، وبالتالي في ابداعه ، يقول :

" لا يحق لأحد ان يملي على الكاتب أو الفنان الخطّة
التي عليه ان يسلكها ، غير أنه لا يحق لهذا الكاتب أن يثتزه
على خطوط النار فيحرق نفسه للأخطار وسمحته للانحطاط . " (٢)

هذه هي الاسس النظرية التي ارتكز اليها نجاتي صدقي في دراساته
الادبية ، وفي مواقفه النقدية . وهذا — كما لاحظنا — اتجاه واقعي يضع
الحياة الاقتصادية الاجتماعية وحركتها ، أساسا في النظر إلى الادب ، من أجل
ذلك اعتبره الدكتور عبدالرحمن ياغي من الذين رسموا جذور المدرسة المادية في
حياة فلسطين الفكرية قبل النكبة ، وكان إلى جانبه أدباء منهم عبدالله مخلص
ومحمود سيف الدين الإيراني ، وعبدالله البندك ، وعارف الحزوني ، وخليل
البديرو ، وسواهم . هذه المدرسة التي عملت على " اشاعة مفاهيمها في
السياسة والاقتصاد والاجتماع والفن ، وكانت مواقفها في قضايا البلاد واضحة ،

(١) المكان السابق نفسه .

(٢) المصدر السابق نفسه : ص ٢٧ .

وقد رقت وثقة جريئة في وجه الرجعية العربية ، وفي وجه الاستعمار ، وفي وجه الفاشستية . " (١)

ولذلك أيضا ، اعتبره الدكتور هاشم ياغي " ناقد اليسار الاكبر " في فلسطين في النصف الاول من هذا القرن ، وقال عنه :

" فهو صاحب فلسفة في نقده تتسع حتى تشمل مختلف ألوان نشاط الانسان عامة ، والنقد الادبي ، والادب منه خاصة . " (٢)

دراساته الادبية :

انطلق نجاتي في دراساته الادبية ، ولا سيما في كتبه الثلاثة ، بوشكين ، وتشخوف ، ومكسيم غوركي ، وبعذر الدراسات الاخرى مثل ، " موباسان في مبادئه وفنّه " و " دون كيشوت " وغيرها ، من الاسس النظرية التي عرضنا لها في الصفحات السابقة ، وقد ظل وفيًا لمنهجه الاجتماعي الذي ينظر الى الادب على أنه بناء علوي لنظام اجتماعي أساسه حكمة التاريخ الاقتصادي ، وطبيعة هذه الحركة .

(١) حياة الادب الفلسطيني الحديث في فلسطين ، مرجع سابق ، ص. ٥٦١ و ٥٧٣ .

(٢) النقد الادبي الحديث في فلسطين ، مرجع سابق ، ص. ١٥٢ .

بوشكين : —————

في كتابه " بوشكين أمير شعراء روسيا " يؤكد نجاتي أهمية الربط الجدلي بين حياة بوشكين في جميع مناحيها ، وبين محركات المجتمع الروسي اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، ولذلك نجده يتتبع في دراسته هذه ، حياة بوشكين من خلال تتبعه لتطور الحياة الاجتماعية في روسيا ، يقول :

" فدراسة هذا الشاعر الكبير تدفع المرء لأن يستعرض الادب الروسي جملة ، وأن يتتبع مراحل القيصرية الروسية من بطرس الأكبر ، حتى نقولا الاول . . فكيفما ولى المرء وجهه في التاريخ الروسي ، وجد اسم بوشكين بارزا في كل باب ومضمار ، ومهما طالع من نظم الشاعر ونثره ، وجد التاريخ الروسي جليا وواضحا . " (١)

ويقول أيضا عن عصر بوشكين :

" عرف زمن بوشكين بالاستبداد الاجتماعي ، زمن كان يباح به لمالك الارض أن يملك الفلاحين كما يملك الماشية ، وكانت السلطات كلها مركزة بيد القيصر ، ونبل المملكة ، واذ بدأت الارستقراطية تتراجع أمام التطور الصناعي في البلاد وتتقهقر أمام المدنية الأوروبية ، برز من هذه الفئة الآخذة بالانحلال رجال ينشدون الحرية السياسية والاستقلال الفكري ، وكان

(١) نجاتي صدقي : بوشكين أمير شعراء روسيا . (القاهرة : دار المعارف

بمصر ، سلسلة اقرأ ، ٢٨٠) ص ٩ .

بوشكين المنحدر من أسرة نبيلة ، أول من أعرب عن انحلال
وسطه وطالب الاقرار بالشعب بوصفه المرجح — مع الاول
والاخير للسلطة . " (١)

بمثل هذه الرؤية ، يدخل نجاتي صدقي الى دراسة شخصية بوشكين
وأدبه ، ثم يلتفت الى ثقافة بوشكين ، وتأثره بالادب الانجليزي والادب الفرنسي ،
فيرو أن بوشكين تأثر برومانسية بايرون Byron ولا سيما في الناحية الاحتجاجية ،
فبايرون في نظر نجاتي ، أعرب في شعره عن خيبة الآمال التي عقدها مثقفو أوروبا
على تحسين الحالة الاجتماعية ، اثر قيام الثورة الفرنسية الكبرى ، ولذلك عكس
شعره مظاهر الاحتجاج الصارخ على الطغيان الذي ساد أوروبا منذ الثلث الاول
من القرن التاسع عشر ، يقول نجاتي عن بايرون :

" . . ودافع عن حقوق الفرد ، وكان يحطف المطف
كله على شعوب شرقي أوروبا ، فأكثر من وصف آدابها وعاداتها ،
وتقاليدها ، وأيد نضال الشعوب المضطهدة منها ، وكفى
فخرا أنه استشهد في سبيل حرية اليونان واستقلالها . " (٢)

ويلاحظ نجاتي أن هذه الناحية موجودة في شعر بوشكين ، ولكن الاختلاف
بينه وبين بايرون ، يكمن في أن احتجاج الاخير كان فرديا ، أي أنه جعل الفرد
ضد المجتمع كله ، لأن الفردية عند بايرون تحمل لواء الحرية ، بينما المجتمع يمثل
الظلم والاستبداد ، يقول نجاتي :

" فنزوع بايرون هذا خاطيء من أساسه ، وقد أدى به

(١) المصدر السابق نفسه : ص ١٠ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٤٩ .

الى الوقوع في الفردية الضيقة ، فجاء أبطاله متكبرين أنانيين ، يستصغرون غيرهم من الناس ، ويشعرون بميزة ترفعهم عنهم . لقد كان بايرون متشائما ، يعتقد باستحالة تسوية الخلاف بين الفرد والمجتمع تسوية مرضية ، وبالتالي استحالة بلوغ السعادة في الحياة الدنيا . " (١)

وهنا يبرز الاختلاف في نظرتي بين بايرون ، وبين الشاعر الروسي المتفائل الذي " يرفع عقيرته محتجا على المساوؤ الاجتماعية باسم السعادة للناس أجمعين ، وما أنانية أبطاله اليائسين ، الا أنانية سلبية لا ايجابية ، ونضوب مثالا على ذلك قصيدته (النور) التي حمل فيها على بطله (أليكو) متهما إياه بأنه يريد الحرية لنفسه فقط ، فأليكو هذا أناني ، الا أن بوشكين لم يغتفر له أنانيته ، وعنفه عليها . " (٢)

ثم يقول :

" وصفوة القول اذا ما طالعنا قصائد بوشكين البايرونية الرومانطيقية التي نظمها في جنوب روسيا ، نراها تمتاز على شعر بايرون بكونها تقوم على الاقرار بقيم كل انسان على حده ، وتهتم بالمجموع كما تهتم بالفرد ، وتستمد مادتها من حقائق الحياة المحيطة . " (٣)

(١) المصدر نفسه : ص ٥٠ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٥١ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٥٢ .

ويركز نجاتي في دراسته هذه ، على اعلاء بوشكين من مكانة الشعب ، وذلك من خلال انتقاد بوشكين للمسرحيات " البلاطية " مثل مسرحيات كورني ، وراسين ، ويعتبرها ضربا من العبث لانها لا تجعل للشعب المقام الاول ، ولا تعكس مراحل حياته ، وتطوره ومضائره ، ويرى أنه كان يهدف من وراء ذلك الى احداث انقلاب في المسرح الروسي ، وهذا ما يفسر سبب اهتمام بوشكين بالمسرح الشكسبيرى الذى وجد فيه شيئا من الانطلاق والاخلاص للحقائق السامية . (١)

أما نزوع هذا الشاعر ، الذى كان ينظر الى الشعب مصدرا أول للفنان نحو مبدأ الفن للفن ، فان نجاتي يفسر ذلك بخيبة أمل بوشكين اثر الاخفاق الذى أصاب حركة المجددين المعروفة بـ (الديسميرية) (٢) في عهد نقولا الاول ، وهذا قريب من تفسيره لتحول (موباسان) نحو مبدأ (القدرة البيولوجية " الذى يبشر ببطلان المجهود البشرى ، وبخذلان الانسان في جميع مساعيه ما دامت نهايته الموت ، مهما يكن عظيما أو حقيرا ، غنيا أو فقيرا ، ظالما أو مظلوما ، ويرى أن هذا التحول أصاب موباسان نتيجة عدم ايمانه بالمستقبل التاريخي ، وانه (أى موباسان) كان يعتقد بأن العلاقات الاجتماعية بين الناس غير قابلة للتحويل

(١) المصدر نفسه : ص ٥٩ .

(٢) الديسميرية : نسبة الى الديسميريين ، وهم فريق من الضباط النبلاء تأثروا بمبادئ الثورة الفرنسية الكبرى وحاولوا الانقلاب على نقولا الاول في ١٤ ديسمبر (كانون أول) ١٨٢٥ ، ولكنهم فشلوا .
فأعدم قسما منهم ، وسجن الباقي .

أنظر المصدر نفسه : ص

والتبدل ، فوصل الى الايمان بهذا المذهب الحتمي لا سيّما بعد القضاء على كومونة باريس سنة ١٨٧٠ ، (١) وانتقال السلطة الى أيدي عناصر انتهازية ، وسيادة الروح الاستعمارية التي أوصلت فرنسا الى القيام بحربين في تونس والهند الصينية ، دون استشارة مجلس النواب فيها . (٢)

وبرى نجاتي أن قصيدة " الشاعر " (٣) التي نظمها بوشكين بعد القضاء على ثورة الديسمبريين ، هي تعبير عن بداية نزوع هذا الشاعر نحو مبدأ الفن للفن ، وبعدها غدا بوشكين يفكر بالتأليف خارج المجتمع ، بعيدا عنه بقدر المستطاع " يريد أن يكون شاعرا بلا صدى ، شاعرا لنفسه ومن أجل فنه فقط " وكلما اشتد الخلاف بين بوشكين ، والقيصر نقولا الاول وحاشيته ، كلما تأصلت فيه فكرة التناقض بين الفن والمجتمع . (٤)

(١) كومونة باريس : أول تجربة في التاريخ لديكتاتورية البروليتاريا ، حكومة ثورية للطبقة العاملة ، أنشأتها الثورة البروليتارية في باريس ، دامت ٧٢ يوما ، من ١٨ آذار (مارس) الى ٢٨ مايو ١٨٧١ ، وليس ١٨٧٠ كما ذكر نجاتي . أنظر :

لينين . ف . ل . : الاعمال الكاملة (موسكو : دار التقدم ، ١٩٧٨)

مجلد ٧ ، ص ٥٥٠ .

(٢) مجلة (الكتاب) ، السنة الثالثة ، ج ٦ ، حزيران ١٩٤٨ ، ص ٧٥ .

(٣) لمن شاء ترجمة كاملة لهذه القصيدة بعنوان " الشاعر والجمع " ينظر : بتروف . س . م : بوشكين ، ترجمة د . جميل نصيف التكريتي (بغداد :

وزارة الاعلام ، ١٩٨١) ص ٢٨٧ - ٢٩١ .

(٤) نجاتي صدقي : بوشكين ، ص ٧٩ .

ولكن نجاتي يستدرك مميزا بين مذهب " الفن للفن " عند بوشكين ، وهذا المبدأ نفسه عند بعض الأدباء الذين يطلق عليهم اسم (الشكليين) أو (الاتباعيين) ، الذين يدعون الى تحويل الفن الى الوهمية شكلية مجردة من كل مضمون أو هدف أو معنى . " انهم في حياتهم الفنية لا ينزعون نزعة ديمقراطية لانهم يحتقرون عامة الشعب ، بعد ان يكونوا قد انتزعوا منهم المادة لفنهم ، وشوهوها بتحويلهم اياها الى ألوهية يتحكمون فيها ، ويتحسفون " . (١)

ثم يقول عن بوشكين :

" ولم ينس بوشكين في جميع أدوار حياته انه انما يكتب للشعب ، وان عليه توخي الدقة والبساطة ووضوح الفكرة في فنّه ، أما اكثاره من التحدث عن (الفن من أجل الفن) ، فما كان الا ليضع نفسه ضد الكتاب والشعراء النغميين ، الذين كانوا ينشدون ويتحسسون وفاقا لارشادات

تأتيهم من عل ، و يقيسون قيمة الانتاج الفني بمقياس الامر
الرسمية التي تصدر اليهم من المراجع ذات الاختصاص . " (١)

ومع ذلك ، فان نجاتي صدقي يخلص الى القول بأن بوشكين هو أول من مهد
الطريق للمذهب الواقعي في الادب بين الادباء الروس عموما ، باقدام هذا الشاعر
على تصوير سائر طبقات المجتمع الروسي ، من أشرف وأعيان وصناع وفلاحين ، في
حين أن الادباء النبلاء في عصره كانوا يعتقدون أن طبقات الشعب الفقيرة لا يجوز
الرجوع اليها كمادة للابداع الادبي الشعري ، فجاء بوشكين ونقض هذه القاعدة في
كتاب (قصص بيككين) ، الذي يتضمن قصصا عن ناظر المحطة وحفار القبور والموظف
الصغير . . . الخ . (٢)

- (١) المصدر نفسه : ص ٨٠ - ٨١ ، يلاحظ أن هذا التفسير يشبه تفسير
أرنست فيشر لنزوع بودلير نحو (الفن للفن) ، فهو يرى أيضا أن
بودلير نادى بالفن للفن ارتفاعا بأدبه عن قيم السوق الرأسمالية ،
وهنا يكمن الجانب التقدمي - في فترة تاريخية بعينها - لهذا
المذهب الذي منع العالم الرأسمالي من " شراء انتاج بودلير ولو
بشكل غير مباشر " . ويرى فيشر أيضا أن شعار الفن للفن هو محاولة
وهمية للهلات الفردي من الدنيا البرجوازية الرأسمالية . أنظر :
أرنست فيشر : الاشتراكية والفن ، ترجمة أسعد حليم (بيروت : دار القلم ،
١٩٧٥) ص ١١١ - ١١٣ .

- (٢) تضم مجموعة " قصص بيككين " أو " قصص المرحوم بيككين " كما سماها
بوشكين ، القصص التالية : الطلقة ، العاصفة الثلجية ،
حفار القبور (الحانوتي) ، ناظر المحطة ،
النبيلة - الفلاحية . أنظر :
بetroف : بوشكين ، مرجع سابق ، ص ١٧٧ .

ويرى نجاتي أن هذه المجموعة هي التي ألهمت غريغور يفيتش أن يضع روايته
(أنطون البائس) وألهمت غوفول أن يضع قصة (المعطف) ، ونبهت
دستيوفسكي ونيكراسوف الى تأليف مجموعة من القصص والروايات التي تصور حياة
أبناء الشعب . (١)

ثم يقول عن بوشكين وواقعيته أيضا :

ان اطلام بوشكين على الحقائق الروسية اطلعا واسعا ،
وتعرفه الى مختلف نواحي بلاده ، وتبحره في تاريخها ،
وتتبعه للعلاقات القائمة بين عموم طبقات الشعب الروسي ،
وتثقيف نفسه تثقيفا عاليا متواصلا استمر طوال حياته ، كل
هذه الامور آتت ثمارها في تبلور نزعة بوشكين الواقعية في
الادب والشعر . " (٢)

(١) نجاتي صدقي : بوشكين ، ص ٨٦ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٨٦ - ٨٧ .

تشيوخوف :

في دراسته هذه ، لم يكن نجاني صدقي معنيا كثيرا بمتابعة حياة تشيوخوف بدقة وتفصيل كما فعل مع بوشكين ، انما كان حديثه عن حياة تشيوخوف وأدبه سريعا لم يحتمل البحث والتحري والتقيب والاستنتاج ، وقد اجتزأ بذكر بعض روايات وحوادث للتدليل على مكانة تشيوخوف ، وشخصيته . (١) وقد صبّ بجاني اهتمامه في هذا الكتاب على ترجمة ست من قصص تشيوخوف القصيرة ، وأربع من مسرحياته ذات الفصل الواحد .

ومع ذلك ، ففي الصفحات التي تزيد عن الثلاثين قليلا ، من هذا الكتاب المشتمل على مئة وسبع وستين صفحة ، نحثر على بعض الاحكام النقدية ، وأهمها التركيز على شخصيات تشيوخوف البسيطة في قصصه ومسرحياته ، هذه الشخصيات التي يسميها الناقد الروسي (ليرموف) الشخصيات "اللابطة" حين يقول :

" اذا استطاع غوركي أن يبين بلغة النماذج الفنية من هو بطل الحصر ، فان تشيوخوف أظهر الالبطل الذي لا يجب السير وراءه ، لقد خلق مجموعة كاملة من النماذج غير الابطال . " (٢)

(١) أنظر مقالا لسهيل ادريس عن هذا الكتاب في : مجلة (الأديب)

السنة السادسة ، عدد (٥) نوار ١٩٤٧ ، ص ٥٠ .

(٢) بيكلين ، أ . وزميلاه : تشيوخوف بين القصة والمسرح ، ترجمة د . حياة

شرارة (بيروت : دار القلم ، ١٩٧٥) ص ٧ .

يقول نجاتي حول هذه الناحية في أدب تشيخوف :

" وشخصيات تشيخوف في مسرحياته خلّو من كل صباغ ، هم أناس بسطاء ، يتحدثون عن أبسط الأمور بلغة بسيطة فليس فيهم نّداب بّكاء ، ولا من يتعلّق بأمداد المثل العليا الخيالية ، وليس بينهم أبطال يتباهون بجلال الأعمال ، بل على النقيض من هذا كله فالمؤلف يحزى شخصياته ، ويكشف عن نواحيها السيئة ، ويشير إلى نزعتها الانانية ، فيحسّ قارؤ مسرحياته والناظر إليها أن قلبه يميل إلى الحنان والتعطف على أناس غير واضحين ، وأن أحلاماً غير واضحة تدغدغه ، وتنبيهه إلى حياة أفضل وأن كانت غير واضحة " (١)

ويقول أيضاً :

" فتشيخوف نظر إلى الناس بعينه ، لا بأعين تولستوى وتورغنيف . . فلا أبطال لديه ، وإنما أمزجة مختلفة من الناس " (٢)

لقد استطاع نجاتي أن يفهم تشيخوف كما ينبغي ، في حين أن النقاد الروس قبل الاربعينات ، كانوا يقدرونه تقديرا خاطئاً عندما اعتبروه (أو تشيخوف) يمثل الحقبة التشاؤمية في الحياة الروسية . (٣) أما نجاتي فقد انتبه للمبدأ الرئيسي الذي تقوم عليه بساطة تشيخوف ، هذا المبدأ الذي عبّر

(١) نجاتي صدقي : تشيخوف ، (القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٦) ص ٢٧ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٢٨ .

(٣) تشيخوف بين القصة والمسرح ، مرجع سابق : ص ٦ .

عنه تشيخوف نفسه حين قال :

"ليكن كل شيء على المسرح محقدا ، وفي نفس الوقت بسيطا ، كما هو الحال في الحياة ذاتها ، ان الناس يتناولون الغداء ، وفي هذا الوقت تنبثق سعادتهم ، أو تنهشهم حياتهم . " (١)

يقول نجاتي عن ذلك :

"فتشيخوف صاحب اتجاه خاص في تأليفه ، فهو كما ألمعنا يصور أمزجة الناس وحالاتهم النفسية على مختلف أشكالها كما يصف طباعهم وسلوكهم وعاداتهم ، ويتناول وخزات الحياة الدقيقة التي لا ينتبه لها المرء ، لكنها هي التي تولد بالتدريج حالات شتى من التعقيدات النفسية والفكرية . . فالوخزة — أو أتعف متاعب الحياة — هي محور شخصيات تشيخوف ، وهي المقياس الذي يقيس به قيم الحياة الانسانية . " (٢)

(١) المرجع السابق نفسه : ص ١٣ .

(٢) نجاتي صدقي : تشيخوف ، ص ٢٩ .

مكسيم غوركي :

يدرس نجاتي شخصية غوركي وأدبه ، من خلال تقسيم حياة غوركي
الى مراحل :

— المرحلة الاولى (غوركي منشء الحفاة والصاليك) ١٨١٢ — ١١٠٠ •

وهي مرحلة اتسام غوركي بطابع الادب الروسي الكلاسيكي التقدمي ،
وظهوره مجددا في الادب الروسي ، وأبرز ناحية تطرق اليها في
قصصه التألم من أجل الانسان ، واحتجاجة على ظروف الحياة التي
جعلت منه مخلوقا شقيا • (١)

— المرحلة الثانية ، غوركي الكاتب الروائي ١٩٠٠ — ١٩٠٧ ، وهي

المرحلة التي انصب فيها غوركي على كتابة الرواية ، وانتج فيها رواية
(الأم) ، أشهر رواياته •

— المرحلة الثالثة : غوركي بين الادب والسياسة ١٩٠٨ — ١٩١٧ ، وفيها

أصدر غوركي رواية (الضيف) ورواية (بلدة أكورف) •

— المرحلة الأخيرة : غوركي الاديب المؤرخ ١٩١٨ — ١٩٣٦ ، وفيها

أصدر روايته (سيرة أرتاموف) ورواية (حياة كليما سامفيينا) •

(١) نجاتي صدقي : مكسيم غوركي ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٦)

ويقدم نجاتي لهذه الدراسة بمقدمة عامة عن الادب الروسي ، فيرى أنه يتراوح بين ما يسميه الواقعية الكلاسيكية ، والرومانسية . أما العوامل المؤثرة في الكلاسيكية الروسية ، فيجملها في انعدام العدالة الاجتماعية ، وفي الطبيعة الشمالية القاسية ، وفي الحوادث التاريخية الدامية التي مرت بها روسيا .

والرومانسية عند نجاتي هي : " الاعراب عما لم تحدده الحياة بحد ، وإنما الكاتب يسمي اليه بقوة احلامه ، ان يحول المرغوب فيه الى حقيقة راهنة . . . وكانت تأليف بوشكين ، ولرمنتوف وغيرها في حقل الرومانسية ، وهي مكملية للواقعية . " (١)

ويقول عن الرومانسية أيضا :

" والمهم في الشخصية الرومانسية أنها عندما تتحلل من مؤثرات الحياة اليومية ، تجعل القارئ يتحسس السلوك الانساني الذي يؤمن به الكاتب ، ويستقد بقيمته فسي الحياة . " (٢)

وأبرز ناحية في هذه الدراسة ، تركيز نجاتي صدقي نتاج مكسيم غوركي الشعري ، فقد اعتبره من الشعراء الكبار ، يقول :

" ويني ان غوركي لو انصرف الى الشعر لكان من شعراء الطبيعة العالمية ، لكن حياته الاليمة الخاصة ، طوحت به الى مواطن البؤس والتشرد ، وصار أروع فنان

(١) المصدر نفسه : ص ١٦ — ١٧ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٣٣ .

قصاص، لحياة الفقر والحرمان . " (١)

ولحل اهتمام نجاتي بشوركي ناعرا ، واختيار عدد من قصائده وترجمتها
في كتابه هذا ، آت من أن القارئ العربي كان يجهل هذا الجانب في ابداع
مكسيم غوركي . " (٢)

وفي دراساته الاخرى المتفرقة ، لم يخرج نجاتي صدقي عن رؤيته الواقعية
المادية في فهم حركة المجتمع والتاريخ ، وانعكاس ذلك على الادب ، وأهم
دراساته المنشورة في الصحف ، دراسة بعنوان : " دون كيشوت ، ميغل سرفنتس
سافدرا " ؛ ففي هذه الدراسة وضع نجاتي صدقي نصب عينيه الظروف
الاقتصادية ، والاجتماعية ، التي كانت تمر بها اسبانيا ابان مرحلة انتقالها
من القطاعية الى البرجوازية ، وما صاحب ذلك من تغيرات نوعية في الحياة
الاجتماعية الاسبانية ، كظهور اللغات القومية ، وتفتت الملكية القطاعية وغيرها ، (٣)
ويأخذ من دراسته هذه لحركة المجتمع الاسباني ، مدخلا لدراسة شخصية
" دون كيشوت " ، فيرى ان الاصل الاجتماعي (الطبيقي) لهذه الشخصية ،
يعود الى صفار الاشراف الذين حظ بهم النظام الاجتماعي الجديد
(البرجوازي) الى منازل الثاقفة ، فأضحت هذه الطبقة تنظر بعين الحسرة الى
مجد الاقطاع البائد ، الذي هو مجدها ، وتشيح بوجهها عن الواقع الجديد الذي
جردها من امتيازاتها القديمة ، ولذلك قدم سرفنتس شخصية (دون كيشوت)
" المحتوه ، الذي لا يستطيع ، بل لا يريد أن يحسب حسابا لظروف الحياة

(١ ، ٢) المصدر نفسه : ص ٣٣ .

(٣) مجلة (الكتاب) السنة السابعة ، مجلد (١١) ، مايو ١٩٥٢ ،

الواقعية ، وقد أطلق على بطله هذا لقب الفارس ذي الشكل الحزين . " (١)

ويقتنع نجاتي في ضوء منهجه الاجتماعي هذا ، أحداث الرواية ، ومغامرات دون كيشوت ، وتابعه سانشوبانزا ، فيرى ان عبقرية سرفنتس تتجلى في رسم الخطوط الدقيقة لهاتين الشخصيتين ، وسرفنتس في نظر نجاتي هو : أحد ممثلي الانسانية البارزين في عصر الاحياء ، فمن قمة واقعيته يسدد الضربات للفيسارس الحزين ، والى فارس الحياة الرغيدة (سانشوبانزا) على السواء ، ففوة سرفنتس تكمن — عند نجاتي — في قوة خلقه الفني الشعبي بعيد الثور الذي مكنه من أن يسمو على خرافات عصره ، وان يوجه النقدات اللاذعة لجميع مظاهر الحياة الاسبانية ، قديمة وحديثة . (٢)

ويقول أيضا : —

"فقارئ دون كيشوت لا يصثر فيها على روح يائسة أو تساهل ناجم عن ملل ، بل على العكس من ذلك يجد في الكتاب اعتقادا راسخا في قوة الانسان وفي مقدرته على محاربة الخرافات وانشاء حياة جديدة جميلة على الارض . " (٣)

(١) المصدر السابق نفسه ؛ ص ٥٦٩ .

(٢) المصدر السابق نفسه ؛ ص ٥٧٢ .

(٣) المصدر السابق نفسه ؛ ص ٥٧٢ .

التقويم :

أولا - اهتمام بالمضمون :

يلاحظ مما سبق ، ان نجاني قد اهتم في دراساته الادبية ، ومواقفه النقدية بمضمون العمل الادبي ، ولم يلتفت الى البنية الفنية الا في حسابات قليلة نادرة ، ولحل ذلك آت من جهة ان أغلب الاعمال الادبية التي تحدث عنها هي اعمال غير عربية ، وكان اهتمامه الكبير بالمضمون يوقعه احيانا في بعض التحييمات النقدية ، ومن ذلك انه لما تحدث عن عمر بن أبي ربيعة ، لم يلتفت الى تطوير عمر في القصيدة العربية ، وانما ركز في دراسته هذه على ثلاثة أمور أخلاقية ، وهي كما حددها :

"أولا : ما نوع الحب الذي دعا اليه عمر بن أبي ربيعة ؟

ثانيا : هل يصح أن يكون عمر بن أبي ربيعة قدوة للشباب المعاصر ؟

ثالثا : ما هي الفائدة المتوخاة من كتاب عمر بن أبي ربيعة ؟" (١)

وبعد أن يتتبع حياة عمر بن أبي ربيعة ، وأخباره في "الأغاني" وفيما كتبه جبرائيل جبور ، ورثيف خوري عنه ، يقول - مثلا - في محاولة للإجابة عن سؤاله الثاني :

(١) مجلة (الجمهور) السنة الثالثة ، العدد (١١٠) شباط / فبراير

" ان مقدمة " وهل يخفى القمر " لا تعطينا الجواب الشافي على سؤال : هل يصلح ان يكون عمر بن أبي ربيعة قدوة للشباب المعاصر في حياتهم الخاصة ؟ ، وشبابنا اليوم منغمس في اللذات الى أقصى حد ، ويستمرى قراءة الاشعار الغزلية المتهتكة ، ان كانت من النوع الكلاسيكي أو من النوع السخيف ، ولذا يتطلب من الكتاب والادباء والشعراء ان يفكروا بهؤلاء الشباب عندما يصنفون ويؤلفون . " (١)

ثم يقول :

" وأى قابلية للكفاح يجد المرء في شعر يقول : سلام عليها ما أحببت سلامنا فان كرهته فالسلام على الاخرى وهل مطاردة النساء وهتك الاعراض ، وفضح الحواثر يربح الاعصاب ويساعد على بناء العالم المفرح ؟ . . ان قهقهة عمر بن أبي ربيعة صادرة عن الافراط الشهواني ، ويخطىء من يظنها صادرة عن فرحة بالحياة الانسانية . " (٢)

وقد التفت الدكتور هاشم ياغي الى تركيز نجاتي في مقالته هذه على الجانب الاخلاقي ، والمخالطة الآتية من ادراج قيم عصر على عصر آخر ، يقول :

" . . وما أظن هذه النزعة التي تقحم الجوانب الاخلاقية الطائفة من عصر الى أدب عصر آخر بمتمشية مع منهج نجاتي صدقي

(١) المصدر نفسه : ص ٢١ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ص ٢١ .

الحقيق الذي رأيناه ؟ ، وان كان الادب الهادف هو الذي
أوحى الى نجاتي صدقي مثل هذا الكلام الذي هو في حاجة
الى شيء من التحفظ والتدبير . " (١)

وكذلك ، يلاحظ في تحديدات نجاتي للمدارس الادبية من كلاسيكية
ورومانية ، انها كانت نابعة من رؤيته لمضمون العمل الفني في كثير من الاحيان ،
فعندما تحدث عرضا عن الرمزية في مقال له بعنوان " الطلاب طليعة الامة " نجده
يحذر الطلاب من الاتجاه الرمزي في الفن والأدب لبعده عن قضايا الحياة الهامة ، (٢)
دون أن يشير تقريبا ، الى مميزات أي مذهب من المذاهب الادبية التي تحدث
عنها من حيث الشكل الفني ، انما صب اهتمامه على المضامين .

ومع ذلك ، فاننا نجد له بشكل قليل ومتفرق ، بحر الآراء في بنية القصة
القصيرة ومنها قوله ان للقصة القصيرة العصرية خمس قواعد فنية دقيقة وهي : الصدر
والحقدة ، وتطور الحوادث والقمة والخاتمة ، مع ضرورة توفر الموهبة لمن أراد أن
ينتج قصة قصيرة فنية . (٣)

وقال عن القصة القصيرة أيضا ان الشخص فيها يظهر في فترة منعزلة من
حياته ، وتقع في صلب القصة حوادث معينة تشير الى الميزات البارزة في هذا
الشخص ، ومنها نحكم على ظروفه ، ونذكر أسباب الحوادث التي ترافقه ، غير
أننا لا نعرف ، أو على الاصح لا نهتم بمعرفة شيء عن ماضي هذا الشخص ،

(١) النقد الادبي الحديث في فلسطين ، مرجع سابق ، ص ١٧٤ .

(٢) مجلة " الجمهور " ، السنة الثالثة ، عدد ١٢٣ ، ١٩٣٦ ، ص ١٨ — ١٦ .

(٣) نجاتي صدقي : " أمثلة قصصية " ، مجلة (الرسالة) ، السنة ١٤ ،

عدد ٦٦٩ ، نوفمبر ١٩٤٦ ، ص ١٣١٧ — ١٣١٨ .

قبل أن تناله الحوادث ، كما أننا لا نهتم بمعرفة ما حل له بعد وقوعها . (١)

وبذلك تختلف القصة — عنده — عن الرواية ، من حيث أن الرواية
" تصور الحياة في آفاقها الواسعة ، وتصل الى دقائق أطرافها ، ويلجأ الكاتب
الى تأليف الرواية حين يرمي الى تصوير نواح معقدة الجوانب في الحياة ، وحين
يسعى الى عرض مشكلة أكثر تعقيدا من مشاكل القصة . " (٢)

وعلى ندرة مثل هذه الاحكام النقدية التي يوجهها نجاتي للبنية الفنية ،
فانها لا تكاد تميزه بشيء ، فأغلبها قواعد عامة معروفة يكاد يحرفها كل من
له علاقة بالادب .

ثانياً - مصادر أحكامه النقدية :

ليس من الصعب القول ، ان نجاتي صدقي في مجمل مواقفه النقدية السابقة ، سواء في مجال التنظيم أو في مجال التطبيق - قد صدر عن الفلسفة الماركسية من حيث رؤيته المادية لحركة المجتمع ، ولكن يصعب تحديد المصادر والمراجع المباشرة التي اتكأ اليها في مواقفه تلك ، فهو أولاً لم يوثق دراساته ومقالاته المختلفة ، سواء في الحواشي أو في ذكر قائمة للمصادر والمراجع التي استند اليها ، وهو ثانياً ينتفع بمجموعة من لغات كان يتقنها ، كالروسية والانجليزية والفرنسية ، واتقان هذه اللغات وتتنبع آدابها أمان عسيران .

ومع ذلك ، فيمكن القول بشيء من التحرج ان نجاتي قد صدر في كتاباته عن الادب الروسي خاصة ، عن مصادر روسية ودراسات روسية ، فقد قرأ بوشكين الذي دعا بالشعب مصدراً أول وأخيراً للسلطة . (١) وقرأ تشيخوف الذي دعا الادباء ان يصدروا فيما يكتبون عن حياة الشعب اليومية ، وكان ينصح الادباء الشباب أن يسافروا بعربات الدرجة الثالثة من القطار كي يحتكوا بالبسطاء مسن الناس عن قرب ، والا فانهم لن يكتبوا شيئاً ذا قيمة . (٢) وقرأ كذلك مكسيم غوركي ، كاتب الطبقات المسحوقة ، الذي عدّه أرنست فيشر منظر الواقعية الاشتراكية ، ومؤصل أصولها في النقد والادب ، (٣) بلخته الاصلية ، واستمع الى محاضرات له . (٤)

-
- (١) نجاتي صدقي : بوشكين ، مصدر سابق ، ص ١٠ .
 - (٢) نجاتي صدقي : تشيخوف ، مصدر سابق ، ص ٣٢ - ٣٣ .
 - (٣) الاشتراكية والفن ، مرجع سابق ، ص ١٧٣ .
 - (٤) نجاتي صدقي : مكسيم غوركي ، مصدر سابق ، ص ٩ .

ولو أخذنا على سبيل المثال كتابه "بوشكين، أمير شعراء روسيا" لرأينا أن كثيرا من الأحكام النقدية التي بثها نجاتي في ثنايا هذا الكتاب، كانت معروفة ومتداولة في النقد الروسي، قبل ظهور كتاب نجاتي بمدة طويلة.

ومن هذه الأحكام مثلا، ما أتى به نجاتي من حديث عن تأثير بوشكين برومانسية بايرون خاصة، ولا سيما في القصائد التي كتبها في جنوب روسيا، وما فرق به نجاتي بينهما من حيث تشاؤم بايرون وفرديته، وتفاؤل بوشكين وإيمانه بالشعب، (١) قد سبق أن تكلم عن الناقد الروسي الشهير (بيلنسكي ١٨١١ - ١٨٤٨) عندما أكد على التشابه القوي بين قصائد بوشكين التي كتبها في جنوب روسيا، وبين رومانسية بايرون، وفي الوقت ذاته أشار إلى الفرق في جوهر النظرة إلى الحياة عند كلا الشاعرين، حينما قال:

"فمن الصعب أن نجد شاعرين تعارضت طباعهما بهذه الدرجة، وتعارضت بالتالي مفازو أشعارهما، مثل بايرون وبوشكين." (٢)

وقد أكد بيلنسكي، والناقد الروسي (غيرتسن ١٨١٢ - ١٨٧٠) على أن الفحوى التشاؤمي للاتجاه البايروني، يتعارض مع نظرة بوشكين التفاؤلية للعالم، فنزعة الشك، وحب الحرية المجرد، والنزعة الفردية، والهروب من الواقع، كل هذه

(١) نجاتي صدقي: بوشكين، ص ٤٦ - ٥٠.

(٢) بتروف: بوشكين، مرجع سابق، ص ٤٣.

ولمن أراد التوسع في آراء بيلنسكي في بوشكين وشعره ينظر

لافريتسكي: في سبيل الواقعية، ترجمة جميل ناصيف، مراجعة حياة شرارة

(بيروت: عالم المعرفة، بدون تاريخ) ص ١٦٣ - ٢٢٨.

السمات التي طبعت شعر بايرون غريبة على شعر بوشكين الذي أحس دائما بالصلات الحية التي تشده الى الحياة ، فكان يرفض دائما النظرة الى العالم والطبيعة البشرية ، نظرة أحادية الجانب كما فعل يايرون . (١) وقال غيرتسن : " لقد عرف بوشكين معاناة الانسان المتحضر ، لانه كان يتحلى بالايمن بالمستقبل ، وهذا الايمان كان يفتقر اليه الانسان في الغرب . " (٢) وما تكلم به نجاتي عن واقعية بوشكين ، وتمهيدها للواقعية في الادب الروسي عموما ، تحدث به بتروف ، وأشار كذلك الى الاهمية التي تتحلى بها مجموعة " قصص بيلكين " من حيث تأثيرها في غوغول ، وليرمنتوف ودستيوفسكي ، وتشيكوف . (٣)

ان الافكار التي دعا اليها نجاتي صدقي بقوة في مقالته (المدرسة المادية العربية) ، التي سبق الحديث عنها — كانت معروفة بتفصيل كبير في النقد الروسي ، منذ أن تكلم عنها بليخانوف في مقالته الموسعة (الفن والحياة الاجتماعية) سنة ١٩١٢ ، حين عارض بليخانوف في هذه المقالة ، الفهم المثالي للفن ، ودافع عن مطلب المضمون الفكري للابداع الفني . (٤)

وأعطى بليخانوف التفسير نفسه الذي أورده نجاتي فيما بعد ، لنزوع بوشكين نحو مذهب (الفن للفن) ، وقال بليخانوف ما مفاده ان بوشكين نزع

(١) بتروف : بوشكين ، ص ٤٣ .

(٢) المرجع نفسه : ص ص ٤٣ — ٤٤ .

(٣) نجاتي صدقي : بوشكين ، ص ص ٨٦ — ٨٩ ، وانظر في المقابل ،

بـتـروف : بوشكين ، ص ٦٣ .

(٤) بليخانوف : الفن والحياة الاجتماعية ، ترجمة الياس شاهين (موسكو :

دار التقدم ، ١٩٨٣) أنظر المقدمة .

نحو هذا المذهب بعد اخفاق ثورة الديسمبريين (١٨٢٥) ، المطالبة بالغاء
القناتة ، وبادخال تعديلات في النظام الاجتماعي الروسي ، وما تبع هذه الثورة
من تشكيل القيصر نيقولا الاول بزعمائها ، فنزع بوشكين نحو (الفن للفن) استملاء
بفنه أن يكون أداة في يد القيصر الذي كان يدفع مدير شرطته (بنكدوروف)
باستمرار ، من اجل اقناع بوشكين او اجباره على الكتابة " تحت الرقابة والسطرة
البوليسية المناسبة " التي يمكن ان تخدم السلطة ، فيما لو تسنى اقناع بوشكين
بتوجيه أدبه منحى معين يرغب فيه القصر . (١) ولهذا كتب بوشكين قصيدته
(الشاعر والجمع) التي اعتبرها نجاتي بداية التفكير خارج نطاق المجتمع
عند بوشكين .

وقال بليخانوف أيضا ان مذهب " الفن للفن " عند بوشكين يدخل من
أى مذاق متخلف رجعي ، وبهذا يتفوق بوشكين تفوقا هائلا على المدافعين عن
الفن للفن أمثال غوتيه ، ولتفوقه هذا طابع اصلاحي اجتماعي كبير ، (٢) وهذا
ما قاله نجاتي فيما بعد ، تقريبا . (٣)

هذه محاولة متواضعة لتحديد بعض مصادر أحكام نجاتي صدقي النقدية ،
ويجب التنبيه هنا الى ان اضافة أى صفة للتأكيد على ما جئنا به من مقارنة بين
أحكام نجاتي وأحكام من سبقه من النقاد الروس ، هو أمر قد يفتقر الى درجة من
الدقة والموضوعية ولكن كل ذلك جاء في محاولة لمعرفة المصادر التي استقى منها
نجاتي أحكامه النقدية ، مما يساعد على رسم صورة أكثر دقة وشمولا لنجاتي صدقي ،

(١) المرجع نفسه : ص. ٦ - ١٠ .

(٢) الفن والحياة الاجتماعية : ص. ٤١ .

(٣) نجاتي صدقي : بوشكين ، ص. ٧٩ - ٨٢ .

• وشخصيته الثقافية •

ولا بد من التأكيد أيضا ، على ان قيمة ما ورد في دراسات نجاتي الادبية ، ومواقفه النقدية ، لا تنقص بأي حال من الاحوال حتى لو كانت آراؤه مترجمة ترجمة مباشرة عن بيلنسكي ، وفيرتسن ، وبليخانوف ، وسواهم من كبار النقاد الروس ، اذ ان قيمتها الاساسية تكمن في دائرة البدايات لترسيخ جذور مدرسة واقمية مادية في الفكر الادبي ، والتفكير عموما ، في فلسطين والبلاد العربية ، في فترة زمنية جاءت قبل النصف الاول من هذا القرن ، أيام طفيان الرومانسية على النتاج الادبي في فلسطين ، وفي كثير من البلدان العربية أيضا •

نجاتي صدقي قاصا

- مدخل
- قضايا قصصه :
- الموضوع الفلسطيني
- الترجمة الذاتية
- قضايا حياتية متنوعة
- القيمة الحياتية في قصصه
- القيمة الفنية في قصصه :
- نماذج متفوقة
- نماذج أقل نضجا
- لغة القص والحوار

مدخل :

بدأ نجاتي صدقي يكتب القصة القصيرة منذ منتصف الثلاثينات ، ويرجع التاريخ الذي عشنا فيه على أول قصة له الى سنة ١٩٣٥ في باريس ، وهي قصة " كلوديت " ، وتليها قصة " اسطورة ثوقاسية " في بياتيغورسك سنة ١٩٣٦ .

وفي الاربعينات تواصل انتاج نجاتي القصصي وازداد ، وظهرت لـه أقاصيص في مجلات " الرسالة " و " الاديب " و " الكتاب " ، وفي سنة ١٩٥٣ أصدر مجموعته القصصية الاولى بعنوان " الاخوات الحزيبات " (١) التي اشتملت على تسع عشرة قصة قصيرة كتبت في أماكن مختلفة كالقدس وبافا وباريس وبيروت وقبرص وبغداد والاتحاد السوفياتي بين ١٩٣٥ — ١٩٥٢ ، وكان القاص قد نشرها في المجلات المذكورة قبل جمعها في هذه المجموعة .

وظل نجاتي يكتب القصة القصيرة طوال فترة الخمسينات وبداية الستينات وينشرها في المجلات المشار اليها ، وفي بعض المجلات الاخرى مثل " قافلة الزيت " ، وعندما أراد نشر مجموعة قصصية ثانية سنة ١٩٦٣ ، اختار ثلاثا وعشرين قصة قصيرة من بين القصص التي نشرها في المجلات الادبية بين الاربعينات وبداية الستينات ، وضمها مجموعته الثانية " الشيوعي المليونير " (٢) .

(١) صدرت عن دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٣ ، ثم أعيد طبعها في بيروت عن

مركز الابحاث (م . ت . ف .) ١٩٨١ .

(٢) صدرت في بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٣ .

وقد عثرنا له كذلك على احدى عشرة قصة منشورة في المجلات الادبية ولم تتضمنها مجموعته المذكورتان ، وهي تتفاوت من حيث البنية الفنية قوة وضعفا عن المستوى الفني العام لأقاصيص المجموعتين ، ولكن بعضها كان حالة بين القصة الفنية والمقالة القصصية ، وهذا الامر لم يكن غريبا عن عصر القصص المنشورة في مجموعتيه ، كما سنلاحظ ، ولذلك درجناها جميعا في انتاج نجاتي القصصي . وهذه القصص هي :

قصة " الاب غريغوري " و " الحزاب " و " أولفا رومانوف " و " الحابث " و " كاتب المرائض " و " السيدة غريغوري " و " الثام الدكتور ماغنس " (١) ، و " رسول الامير " (٢) ، و " المقامة القمرية " و " من وحي الصيد " (٣) .

وبعد صدور مجموعته الثانية " الشيعي المليونير " عام ١٩٦٣م ، تضائل انتاج نجاتي القصصي بشكل واضح ، وتباعد الزمن بين نشره لقصة وأخرى ، وآخر قصة له عثرنا عليها هي قصة " من وحي الصيد " المنشورة في " الاديب " عام ١٩٧٣. (٤)

وبشكل عام يمكن القول ان نجاتي صدقي اشتهر في المرحلة الثالثة من مسيرته

(١) مجلة (الرسالة) انظر الاعداد ٦٦٢ ، ٦٦٦ ، ٦٨١ ، ٦٩٨ ، من سنة ١٩٤٦ ، والعدد ٧٧١ ، ٧٨٣ من سنة ١٩٤٨ ، والعدد ١٠٧ من سنة ١٩٥٠م .

(٢) مجلة (قافلة الزيت) عدد شوال ١٣٨٧هـ ، ص ٣٧ — ٣٨ .

(٣) مجلة (الاديب) عدد ١٩٧١/٣ ، ص ١٢ ، وعدد ١٩٧٣/٧ ، وستأتي

الاشارة الى هذه القصص ، وسنثبت بعضها في الملحق .

(٤) مجلة (الاديب) ، السنة ٣١ ، عدد ٧ ، ١٩٧٣ .

الحياتية كاتبا للقصة القصيرة ، فقد ازداد اهتمامه بهذا المجال حتى كاد يطفى على اهتماماته الاخرى ، وبخاصة اهتمامه بالدراسة الفكرية ، واهتمام نجاتي بالقصة القصيرة تجلى أيضا في ترجمتها ، ويشعر الدارس ان نجاتي انشغل بترجمة القصة القصيرة الى العربية عن الزيادة في وضعها وتأليفها ، بحيث يمكن الفرز انه كان سيكتب عددا اكبر من القصص لولا انه فعل ذلك بطريقة اخرى مختلفة هي الترجمة .

أما في دراستنا لهذا الجانب الابداعي من فيض نجاتي صدقي الادبي فاننا سنأخذ أولا مواضيع قصصه عبر مسلكها في محاور عامة تشكل القضايا الحياتية التي شغلتها ، ثم ندرسها من خلال البحث عن قيمها الحياتية وقيمها الفنية ، محاولين تلمس موقف القاص وزاوية رؤيته في النظر الى الاشياء وقدرته على اقامة معمار فني ينجح في توصيل رؤيته الحياتية المتضمنة في هذه القصص .

وهنا تجدر الاشارة الى صعوبة تصنيف قضايا هذه القصص الحياتية تصنيفا صارما ، فالقصة القصيرة باعتبارها عملا ابداعيا ، تتضمن القدرة على كشف موقع مبدعها وموقفه وزاوية رؤيته تجاه القضايا الحياتية المختلفة ، وهذه القضايا تتداخل وتتشابك ، ومن هنا فاننا سنأخذ المحاور العامة والقضايا السائدة التي أبرزها :

— الموضوع الفلسطيني .

— الترجمة الذاتية .

— قضايا متنوعة :

أ — النضال الانساني

ب — المرأة

ج — تصوير ظواهر اجتماعية سلبية مثل الفساد والزيف والتكبر

للطبقة .

قضايا قصصه

— الموضوع الفلسطيني :

ربما كان الموضوع الفلسطيني وامتداده في الزمان والمكان هو الأكثر اشغالا لنجاتي في قصصه حتى تاريخ نشر مجموعته الثانية عام ١٩٦٣ ، وبعد ذلك تضاعف انتاجه القصصي بشكل عام ، ولم نعتز له على اية قصة في هذا الموضوع بعد هذا التاريخ .

وقد تضمنت " الاخوات الحزبات " خمس قصص مستوحاة من هذا الموضوع ، وتضمنت مجموعة " الشيوعي المليونير " خمس قصص أخرى في الموضوع نفسه ، كما عثرنا له على سبع قصص أخرى لم تتضمنها مجموعته ، استوحى مواضيعها جميعا من الحياة في فلسطين قبل النكبة . ويمكن تصنيف القصص التي تصوّر موضوع الهيم الفلسطيني في تجلياته المختلفة في محورين رئيسيين هما :

- فلسطين قبل النكبة وابّائها .
- صورة الفلسطيني في الشتات .

أولا — فلسطين قبل النكبة وابّائها :

وقد صور نجاتي صدقي في عدد من قصصه القصيرة المشكلة الفلسطينية قبل النكبة ، ونضال الشعب الفلسطيني في سبيل الدفاع عن أرضه وتمسكه بحقوقه

القومية الوطنية ، فحذّر في قصة " الاخوات الحزنيات " و " العنبر رقم ٥ " من سحب النكبة المقبلة ، وصور نضال الشعب الفلسطيني في دفاعه عن حقوقه وكيانه في قصة " حياة بلا بسي " و " مرضة من فلسطين " و " معركة صبيان " ، أما خطر الهجرة اليهودية فقد صوّره في قصة " المابث " و " أيام من العمر " .

وقصة " الاخوات الحزنيات " (١) التي حملت مجموعته الاولى اسمها لانها ربما كانت — كما أشار الدكتور هاشم ياغي — تشير الى أعلى هموم الكاتب النفسية مرة ، (٢) كتبت في يافا (١٩٤٧) بينما كانت سحب النكبة القائمة تتجمع في الافق الفلسطيني ، وهذه القصة قراءة نافذة في الواقع الفلسطيني استعرض القاص فيها من خلال السرد القصصي التاريخ الفلسطيني الحديث وخصائص الحياة الشعبية في فلسطين ، وهي تحكي عن جميزات خمس كن يقطن في أحد شوارع يافا ، والآن يقطن في شارع من شوارع تل أبيب ، في عالم غريب عليهن دخيل ، بين مقاهي الصهاينة ونواديهم . يجلس القاص تحت احداهن ويسند رأسه الى جذعها فيقفو ويحلم ان الجميزات الخمس قد تحولن الى خمس أخوات متشحات بالسواد ، رأين أن يقضين ليلتهن في السم فتقصر كل واحدة قمرتها ، فتروى الكبرى قصة حب بريئة بين شاب وفتاة من الريف الفلسطيني ، وتروى الثانية حادثة اجتماع جماعة من المصوفيين في ظلالها أثناء رحلة لزيارة الامكن المقدسة ، والحديث الذي دار بين أفراد الجماعة عن فضائل الديار المقدسة ، وتروى الثالثة جانباً من التاريخ الفلسطيني الحافل بالنضال المكتوب بالدم المتمثل في غزوة نابليون لفلسطين ، وذبحه لحامية يافا المكونة من أربعة آلاف رجل ، ذبحهم نابليون بعد أن أعطاهم الامان ، وكيف

(١) نجاتي صدقي ، الاخوات الحزنيات (بيروت : مركز الابحاث الفلسطيني ،

ط ٢ ، ١٩٨١) ص ٢١ — ٣٠ .

(٢) د . هاشم ياغي ، القصة القصيرة في فلسطين والاردن (بيروت : المؤسسة

العربية للدراسات والنشر ، ط ٢ ، ١٩٨١) ص ٢٤٨ .

تصدت له قبيلة بدوية بقيادة زعيمها الشيخ "حسين النواعير" وكبدته خسائر فادحة في معركة أسفرت عن استشهاد رجال القبيلة العربية ما عدا الشيخ حسين وسبعة من رفاقه علقهم نابليون على أغصان هذه الجميزة وشنقهم ولذلك فهي تعرف بجميزة الشهداء . أما الرابعة فتروى جانباً من الحياة الشعبية الفلسطينية المتمثلة في تقاليد الزواج ، وعندما يصل دير الحديث إلى الأخت الصغرى المولودة سنة ١٦١٧ تصمت مطرقة حزينة ، وتحت الحاح شقيقاتها تقول "أحقاً انكن لا تعرفن شيئاً عن ذكرياتي ، ولماذا نحن متشحات بالسواد ، ولماذا ينعتنا الناس بالآخوات الحزنيات ؟" وتضمتم الآخوات عندما يدركهن الصباح فيصحو الكاتب من غفوته ليجد نفسه تحت الجميزات . ومع ما تنذر به هذه القصة من خطر متفاقم جاء به وعد بلفور المشئوم ، إلا أن الأمل بصمود فلسطين العربية شعباً وحضارة يظل قائماً بوضوح في رؤية الكاتب :

" . . . وكانت رياح الخريف تعصف بشدة ، تهز الجمامد والأحياء . . . إلا أنها لم تقو على تلك الشجرات ، فقد ظلت راسخة كالطود . " (١)

ومن القصص التي أُنذرت أيضاً بويلات النكبة المقبلة وحذرت من مخاطر الهجرة اليهودية إلى فلسطين قصة "أيام من العمر" (٢) التي كتبها نجاتي في القدس (١٩٤٧) وحملها رؤيته للدور الغربي في إرهاب العربي الفلسطيني واستلابه مادياً ونفسياً . فماجد كاتب المرائر البسيط يقع في حياثل امرأة مهاجرة من ألمانيا هي "ريتا" التي يقدم لها ماجد خدمات خلصتها من مأزق كبير ، وشيئاً فشيئاً

(١) الآخوات الحزنيات : مصدر سابق ، ص ٣٠ ، وقد كان نجاتي قد نشر هذه

القصة بعنوان "الآخوات الخمس الحزنيات" في مجلة (الكتاب) السنة

٣، مجلد ٤، ج ٧، ١٩٤٨، ص ١١٢٨ .

(٢) الآخوات الحزنيات : ص ٣١ — ٤٠ ، وقد سبق نشرها في مجلة (الكتاب)

السنة ٣، مجلد ٦، ج ٤، ١٩٤٨ ، ص ٨ بعنوان ذاته .

تقوى أو اصر الرابطة بينهما فيتفان على السكنى معا في شقة راقية يدفع ماجد بدل
ايجارها • وتواظب ريتا اللعوب على امتصاص ماجد ماديا وجنسيا مستخدمة لذلك
من الاساليب الانثوية ما يجعل ماجدا يعجز عن الافلات من شراكها ، ويوما اثير
يوم تزداد سيطرتها على لبه بحيث يتصود على نمط حياة جديدة بفضل ما يبذل من
عرق مضاعف وما تبذل ريتا من الاعيب انثوية أوروبية ، وكان يطرب ماجد أيّما
طرب لعبارة بالالمانية تداعبه ريتا بها وفادها " أى ماجد • • انك لحمارى
الصغير " وتمضي حياته هكذا حتى يغرق في الديون ويصبح عاجزا عن العودة الى
شخصيته السابقة وأحلامه المتواضعة القديمة ، حتى ان ريتا أجبرته في احدى
الحفلات التي أقامتها لضيوفها من الاوروبيين ان يزحف على أربع وقد ارتدى جلد
خروف صائحا ماء • • ماء ، فيقهقه الضيوف ويشعر هو بخزى في أعماقه الا أنه
لا يحرك ساكنا ، ويأتي " وولف " زوج ريتا ويشارك ماجدا وريتا في السكن ، ويواظب
مع زوجته على ابتزاز ماجد ، بل ينتشجر منه ويطرده من البيت مدعيا امام الشرطة
أن ماجدا اعتدى على حرمة بيته وانتهك شرفه ، فيخرج ماجد من بيته ذليلا مدحورا ،
ولم ينس " وولف " ان يقول له قبل ان يبتعد : " يا ماجد • • انك لحمار كبير • "

بهذه القصة صور نجاتي الدور الاوروبي في ارهاق العربي ودحوه ، ومسح
ان ماجدا يمثل هنا نموذجا متهاوتا سلبيا من الشعب الفلسطيني الا انه فني
النهاية لم يزد عن كونه ضحية المؤامرات الغربية على فلسطين ، فقد خرج ماجد
من بيته مطرودا ولم يستطع اقناع الشرطة (رمزا لاستعمار البريطاني) ان هذا
البيت (الوطن) انما هو بيته •

أما مسألة الارز الخريبة وتسريبها الى أيدي اليهود ، فقد صورها نجاتي

في قصة "العبر رقم ٥" (١) التي استعرض فيها شريحة ممتدة زمنيا من تاريخ فلسطين في هذا القرن من خلال التأريخ لعائلة الوجيه الملاك حسين أبي السماح وبنجله أديب ، مركزا على مسألة تسرب الاراضي من كبار الملاكين الحرب الى أيدي الجمعيات الصهيونية ، وما استخدم الصهيونية في هذا السبيل من أساليب مختلفة كالسمرة ، ونواصي القمار ، والشركات ، والنساء الفاتنات . . . وحذر القاص على لسان الوجيه أبي السماح من وعد بلفور ومن خطر التفريط بالارض :

"فهلا انتبهتم الى هذا الخطر المحدق بنا . . لا تبيعوا
أراضيكم لانها ركن حياتكم ، فأراضيها ورثناها عن آبائنا ، وآباؤنا
ورثوها عن أجدادنا ، ويجب ان تظل لاحفادنا من بعدنا ، وعلى
ذلك فان أراضيها في الواقع ليست ملكا شخصيا لنا ، وانما هي أمانة
في أعناقنا ولا يحولنا ان نتصرف بها كما نشاء . . " (٢)

ولكن الابن أديب يتتبع منذ الايام الاولى لوفاة أبيه في حبات الخواجا
"خانكي" سمسار الاراضي اليهودي المشهور ، فيبيع جزءا من أراضيهم وينتقل
الى المدينة للعمل في التجارة ، ولكنه لم يفلح ، فيبيع جزءا آخر ، ويفرق في
حياة الله والنواصي الليلية ، وتحرفه ملاهي بيروت وبافا وارثا مبدرا ، فيحيطه
نفر من الجميلات اليهوديات ويدأبن على اغوائه وامتناعه ، حتى يصحسودات
يوم ليجد نفسه معدما لا يملك شيئا ، فيتشرد ، وعندما اندلعت معارك ١٩٤٨م ،
جده قد أصبح من خيرة الشباب الذين أبلوا في الدفاع عن بافا ، أما الآن فقد

(١) الشيوعي المليونير - مصدر سابق : ص ٨٣ - ٩٧ ، وقد سبق نشرها
بعنوان "سيرة شاب فلسطيني" في مجلة (الاديب)

السنة ١٠ ، عدد ١١ ، ١٩٥١ ، ص ٣٩ .

(٢) الشيوعي المليونير : ص ٨٦ .

تركها ليعيش في مخيم القنطرة للاجئين ، شارع المجدل ، عنبر رقم ٥ — ٥ .

وقصة " العايب " المكتوبة في يافا سنة ١٩٤٦ ، (١) تصور أيضا استهتار فئة من الشعب الفلسطيني — رمز لها من خلال شخصية عزيز المثقف العبثي ، والمزارع الثرى — ولا مبالاة هذه الفئة تجاه خطر الهجرة ، ومقابلة ذلك بمحاولة اختلاس اللذة من النساء الوافدات ، والسهر والشراب في نوادي المهاجرين .

أما الحياة الاجتماعية في فلسطين ، فقد شملت نجاتي في عدد آخر من قصصه من جانب الحديث عن المهاجرين الا جانب الذين استقروا في فلسطين بين الحربين العالميتين ، وقبل النكبة اثر تزايد الهجرة اليهودية ، وشخصية " الخواجا " تكررت كثيرا في قصص نجاتي المستوحاة من الحياة الفلسطينية وبخاصة في مدينة القدس قبل النكبة ، ويظهر ذلك في عدد من قصصه مثل " أولجارومانوف " (٢) و " الاب غريغوري " (٣) و " السيدة غريغوري " (٤) و " العزاب " (٥) .

(١) الرسالة ، السنة ١٤ ، عدد ٦٨١ ، يوليو ١٩٤٦ ، ص ص ٨١١ — ٨١٢ .

(٢) الرسالة ، السنة ١٤ .

(٣) الرسالة ، السنة ١٤ ، عدد ٦٦٢ ، مارس (آذار) ١٩٤٦ ،

ص ص ٢٧٧ — ٢٧٩ .

(٤) الرسالة ، السنة ١٦ ، عدد ٧٨٣ ، يوليو ١٩٤٨ ، ص ص ٧٥٧ — ٧٥٦ .

(٥) الرسالة ، السنة ١٤ ، عدد ٦٦٦ ، ابريل (نيسان) ١٩٤٦ ،

ص ص ٣٩١ — ٣٩٢ .

وفي قصة " شمعون بوزاجلو " المكتوبة في القدس سنة ١٩٤٧. (١) صور الشخصية اليهودية التقليدية الجشعة (الشيلوخية) والمجتمع اليهودي التقليدي المفلق (الغيتو) في فلسطين قبل قيام الدولة الصهيونية . وشمعون بوزاجلو هذا كهل يهودي أعزب من جماعة الحاسيد (جماعة يهودية متدينة) يمارس المهام الدينية المختلفة ، وهو الى ذلك مراب معروف يفضل اقراض غير اليهود بفوائد مرتفعة ويقبل رهونات مختلفة . وقد لاحظ سكان الحي ان شمعون يدأب أسبوعيا على الخروج من الحي بملابس رثة فيغيب عدة أيام وبعدها يظهر في الحي ليمارس حياته المعتادة ثم يغيب ويظهر هكذا ، وحاروا في تفسير هذا الامر ولكنهم رجّحوا ان شمعون يخرج لفعل الخير متذكرا . وقد كان شمعون رافضا لفكرة الزواج بخلا وكرها في المرأة ، ولكن جارته سمحة استطاعت اقناعه بفكرة الزواج ، وتحت الحاحها " مشط لحيته وابتسم ابتسامة صفراء " وعقد قرانه على ابنتها ، ولكنه ظل مواظبا على عاداته السابقة في الشيا ب الفاض الى ان تبعت زوجته وأمها فوجدتاه يتسول متسكرا في موقف عام للسيارات .

أما نضال الحرب ضد الصهاينة في سنة النكبة (١٩٤٨) فقد صورته نجاتي في ثلاث من قصصه ، وفي جانب من قصة " الصبر رقم ٥ " كرسه للحديث عن معارك يافا في المنشية وأبي كبير . (٢)

ولعل قصتيه " حياة بلاسي " و " مرضة من فلسطين " ان تكونا من أبرز قصصه حملا للهم الفلسطيني ، وأكثرها حرارة .

(١) الاخوات الحزبنات : ص ٩١ - ٩٦ ، نشرت أيضا بالعنوان نفسه

في مجلة (الاديب) السنة ١١ ، عدد ٢ ، ١٩٥٢

ص ٢٧ وما بعدها .

(٢) الشيوعي الطيونيير : ص ١٤ .

تتحدث قصة " حياة بلايسي " (١) عن فتاة فلسطينية يتيمة الابوين تحمل مدرسة في قرية دير ياسين ، وتشارك في خدمات اجتماعية مختلفة في القرية ، وفي أثناء معارك ١٩٤٨م تطوعت حياة في حامية القرية وشاركت في تقديم الاسعافات للمناضلين الجرحى ، ولكنها سقطت شهيدة الواجب في أثناء اسعافها لاحد المناضلين في مجزة دير ياسين المشهورة .

وقصة " ممرضة من فلسطين " (٢) تشترك مع القصة السابقة في الحديث عن معارك ١٩٤٨ ، وفي رفعها المرأة العربية الى مواقع نضالية متقدمة ، وهي تتحدث عن فتاة فلسطينية من حيفا اسمها (جوليا) تؤسس في بيتها عيادة مؤقتة للجرحى في اثناء اشتداد المعارك عام النكبة ، وتبدى جوليا شجاعة فائقة في انقاذ الجرحى ، ولكنها تسقط أيضا شهيدة الواجب في اثناء مفارقتها بنفسها في محاولة لانقاذ سيدة جريح سقطت قرب بيتها . وقد ووريت جوليا التراب ابلان اشتداد المعارك دون شارة توضح على قبرها ، ولكن عائلتها في المنفى تحتفظ بنصب ستضعه على قبرها في يوم المودة ، وهذا النص يقول :

" هنا ترقد الممرضة المذراء جوليا زكا ، سقطت شهيدة الواجب في يوم سقوط حيفا في الرابع والعشرين من شهر نيسان ١٩٤٨ ، ترحموا على روحها .

(١) الاخوات الحزيبات : ص ٨٠ - ٨٥ ، وهذه القصة منشورة

أيضا مع مقدمة عن حياة القاص في كتاب :

مختارات من القصص الفلسطينية ، تونس : اتحاد الكتاب

التونسيين ، ١٩٧٦ ، ص ٦١ - ٦٦ .

(٢) الشيوعي المليونير : ص ١٦ - ٢٣ .

وفي قصة " معركة صبيان " (١) المكتوبة في القدس سنة ١٩٤٨ ، أشرك بجاتي الاطفال كذلك في الهم الوطني ، اذ أدخل في قصته هذه مجموعة من صبيان القدس في خندق النضال الوطني ، وهذه القصة تتحدث عن هؤلاء الصبيان الصغار ومحاولتهم الايقاع بسيارات البوتاس الصهيونية المارة من القدس تحت حراسة عسكرية انجليزية مشددة ، وبعد مداولات يتفق الصبيان على قذف السيارات بزجاجات حارقة يتعاونون على تحضيرها . وعندما تمر السيارات يكمن لها الصبيان ويقذفونها بزجاجاتهم الحارقة فتشتعل النار في بعضها ويولون هاريين ، وحين مرع الجنود في اثر المهاجمين وجدوهم صبيانا صفارا ، فاعتقلوا زعيمهم موسى ثم أطلقوا سراحه ، أما هؤلاء الصبية فيجتمعون في اليوم التالي يفتشون في جريدة صباحية عن صدى معركتهم .

وفي " ألغام الدكتور ماغنس " (٢) صور نجاتي بأسلوب يواوح بين القصة والمقالة ، أساليب الصهاينة في ازهاق عرب القدس في معارك ١٩٤٨ ، وكيف استخذوا الجامعة العبرية مكانا لتخطيط عملياتهم العسكرية ولتحضير وسائل الفتك والدمار .

ثانيا - صورة الفلسطيني في الشتات :

كان تصوير واقع النفي الفلسطيني من الموضوعات التي شغلت نجاتي في عدد من قصصه ، وبخاصة في مجموعته الثانية " الشيوعي المليونير " فقد صور حياة

(١) الاخوات الحزيبات : ص ٨٦ - ١٠٠ .

(٢) مجلة (الرسالة) السنة ١٦ ، عدد ٧٧١ ، إبريل (نيسان)

١٩٤٨ ، ص ٤١٦ - ٤٢٠ .

الفلسطينيين في الشتات ، ومعاناتهم في منافيهم في ثلاث قصص ، وظل هذا الهم حاضرا في عدد من قصصه الاخرى .

والى جانب اهتمامه بتصوير معاناة الشعب الفلسطيني في المنفى ، اهتم كذلك بتصوير تأزر هذا الشعب في غربته ، واصراره على الاحتفاظ بمقومات شخصيته الوطنية ، ففي قصة " مرضة من فلسطين " مثلا تعرف الكاتب الى حكاية جوليا عندما ذهب لتقديم التمازي لشقيقتها السيدة غ . . بوفاة زوجها العامل في الكويت الذي صرع بحادث عمل ، وجاءت معرفته أساسا بعائلة جوليا عن طريق معرفته بالسيدة غ . . صاحبة الايادي البيضاء في تعليم النشء الفلسطيني في المنفى ، وهذا اشارة الى فاعلية الشعب الفلسطيني في منفاه وقدرته على خلق ظروف ملائمة يصنع فيها غده ، اما مصرع زوج السيدة غ . . بحادث عمل في الكويت بعيدا عن عائلته المقيمة في لبنان ، وبعيدا عن حيفا مسقط رأسه فهو رمز لهذا الشتات الفلسطيني المتواصل الذي أفرزته النكبة ، يقول مؤكدا حضور الهم الفلسطيني في نفس فلسطيني المنفى :

" وبعد أحاديث في مواضيع تناولت الزلازل السياسية والطبيعية التي تجتاح العالم العربي ، وارتفاع أسعار المواد واحتمال ظهور النجم المذنب في هذه السنة الفلكية ، انتهينا الى الموضوع الذي لا بد لكل لاجئ فلسطيني أن يتطرق اليه ، ألا وهو : متى نعود ؟ " (١)

وحتى في قصة " الزلازل " (٢) التي تتحدث عن هزة أرضية ضربت الاراضي

(١) الشيوعي المليونير : ص ١٦ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٤٧ .

اللبنانية ، يصيح أحد اللاجئين الفلسطينيين مفسرا أمارتجاف الارض الذي
حير الناس بأنه من أساليب اليهود الخادرة التي تهدف الى مطاردة الفلسطيني
في مفاه واباتته لحلمس قضيته الى الابد .

وفي قصة " دموع في العيد " (١) بدا هذا الهم حاضرا بوضوح في أدق
تفاصيل الحياة اليومية ، فأُم حبيب التي خرجت من قريتها شفا عمرو في شمال
فلسطين الى لبنان ، تحتذر لمضيئها عن اسبابها في بث همومها الخاصة قائلة :

" لقد أزعجتكم بقصتي هذه ، ولكن لمن أبث شكواي إذا

لم أبثها لمعارفي من اللاجئين ؟ " .

ولكن قصة " العربي النائم " (٢) تعتبر بحق دراما الشتات الفلسطيني
من حيث قدرتها على تصوير هذا الشتات تصويرا واقعيا حارا ، وهي تتحدث عن
أسرة فلسطينية لاجئة في بيروت عميدها أبو حليم عامل البناء الذي ترك كل
ما يملك في يافا ولم يحمل معه سوى مفتاح بيته الذي يصفه بألم قائلا :

" بيت قلعة . . بيت بأربعة طوابق . . بنيته بتعبي

وعرق جبيني . . حصيلة العمر " .

ويعاني أبو حليم واسرته من شعور حاد بالفرية في المجتمع اللبناني ، حيث
لا فرص عمل ولا هوية سوى وصمة لاجئ ، فتبرز الرغبة في نفسه بعد اقتراح من
أحد السماسرة أن يحصل على الجنسية اللبنانية ، ويقوده السماسر الى محام
معروف ، فيطمئنه هذا بالحصول على الجنسية في أسرع وقت ، ولكن الايام تمضي

(١) المصدر نفسه : ص ١٢١ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٥١ — ٧٤ . وقد نشرت في مجلة (الاديب)

السنة ١٧ ، عدد ١٢ ، ١٦٥٨ ، ص ١٤ بعنوان " قصة أبو حليم " .

وأبو حليم يراجع المحامي ، وهذا يستنزف بقية نقوده ، فيسافر ابنه الأكبر حليم الى كندا بعد ان يئس من العمل في لبنان ، ويسافر الابن الثاني الى الكويت تحت ضغط الظروف ذاتها ، ويسافر ابنه الثالث الى عدن وراء العمل ، وهكذا تمضي الشهور وأبو حليم يراجع والمحامي يماطل والاولاد يتشتتون في الارض ، فقد سافر الابن الرابع الى قطر . وفي أحد الايام بلغ اليأس من أبي حليم مبلغه ، فعنّ له أن يراجع المحكمة ليرى اين وصلت قضية الجنسية ، ولكنه لم يجد الملف الخاص بها ، وقال له كاتب المحكمة :

- " لقد خسرت قضيتك يا أبا حليم .
- كيف ؟ . . لماذا . . ؟
- لان قضيتك بلا قضية .
- لا أفهم ما الذي تمنيه .
- أعني لقد وقعت في الفخ وعوضك على الله في الثلاثمائة ليرة .
- ولكن بيدي وصل اقيم الدعوى على المحامي .
- ستخسرها أيضا وتدفع جميع النفقات . "

وهكذا خرج أبو حليم من المحكمة ذليلا منكسرا بعد أن ضاعت نقوده وأخفق في الحصول على الجنسية .

وقصة " اللص " ^(١) تشبه في موضوعها القصة السابقة من حيث تصويرها واقع النفي الفلسطيني ، والغربة التي يحاني منها اللاجئ في المجتمع اللبناني ، فمصطفى اللاجئ الفلسطيني يخفق في هذه القصة أيضا في الاندماج في المجتمع

(١) الشيوعي المليونير : ص ١٨٣ - ١٨٦ ، وهي منشورة أيضا بالعنوان ذاته في مجلة (الاديب) السنة ١٠ ، عدد ١٠ ، ١٦٥١ ، ص ٣٤ .

اللبناني عن طريق اقتناء بيت خاص به ، حيث يحاول السمسار أبو ضبة أن يستر منه نقوده قبل شراء البيت ، وعندما يرجع من معاينة الاراضي التي قاده اليها أبو ضبة يحاول أحد اللصوص سلبه ولكنه ينجح في التخلص منه بعد أن تحرف الى ملامحه ، وفي اليوم التالي كانت مدمته قوية عندما رأى لمن الليلة الفاتنة يضرع رأسه بجانب أبي ضبة وهما يتساران في حديث ذي شجون .

الترجمة الذاتية :

انعكست تجربة نجاتي صدقي الحياتية بشكل واضح في موضوعات قصصه ، فقد كتب ثلاث قصص تترجم لحياته في مرحلتها الاولى ترجمة مباشرة ، فهي لم تزد عن وصف بحرما مربيه في المرحلة الاولى من مسيرته الحياتية من أحداث ومواقف ، ولذلك جاءت هذه القصص أقرب الى المذكرات ، بل تشابهت تشابها كبيرا مع مقتطفات عن طفولته ودمياه كتبها عرضاً في أثناء حديثه عن موضوعات مختلفة ، وهذه القصص الثلاث هي " الشهادة الابتدائية " و " العبد سعد " و " سي محمد الشامي " .

وكذلك فقد انعكست تجربة نجاتي الحياتية بأشكال مختلفة في قصصه من حيث حديثها عن تجارب خاصة خبرها في مراحل حياتها المختلفة ، يقول في مقدمته لمجموعة الشيعي المليونير :

" وليس لي ما أقول بحدود هذه المجموعة سوى هذه العبارة :
ان كل قاصر في الدنيا انما يصور نزعات نفسه في قصص الناس " (١)

(١) الشيعي المليونير : أنظر المقدمة .

ولعل في هذا القول ما يشي بما نحن بصددده ، ولكن نجاتي لم يكن يصور
نزعات في نفسه فقط في قصص الناس ، بل صور نفسه أو حوادث مر بها في قصص
الناس ، وقد تجلى انعكاس خبرات حياته الذاتية على قصصه في جوانب كثيرة
أبرزها :

أزدحام أقاليمه بالبلاد والمواقع التي عاش فيها في فترات مختلفة من حياته ،
كالقدس وبيافا والحجاز وبيروت وقبرص وباريس وغيرها ، ويلحق بهذه النقطة تعدد
جنسيات شخص قصصه فقد كانوا عربا ويهودا ومن الأتراك والأرمن والألمان
والقبارصة والقوقاسيين والفرنسيين .. وأثر ذلك ليس في موضوعات قصصه فحسب ،
بل في بنائها ولغتها أيضا ، فهو كثيرا ما يكون أحد شخص قصصه أو راوية لها
يسردها بلسانه ، كما أن لغة القصة والحوار في قصصه كثيرا ما كانت مطعمة بعبارات
من اللغات الأجنبية التي أتقنها كالروسية والفرنسية والانجليزية ، أو التي ألم بها
المما يقرب من الاتقان مثل العبرية والالمانية والتركية ، ويتجلى ذلك في كثير من
قصصه ولا سيما " أيام من الصمر " و " عند الفجر " و " أقوى من الوشاية " و
" شمعون بوزاجلو " و " الجا رومانوف " .

و " قصة الشهادة الابتدائية " (١) تتحدث عن فترة من حياته عندما كان
في الثالثة عشرة من عمره ، وفيها يروي بضمير المتكلم عن مغامرة قام بها سنة
١٩١٨ عندما التحق بأبيه في حلب حيث سافر من القدس قاطعا كل هذه
المسافة الطويلة دون جواز سفر ، أما زاده من النقود فقد كان نصف جنيه فقط ،
دفع خمسة وثلاثين قرشا منها أجرة القطار من القدس الى حيفا ، وعشرة قروش أجرة
المنام في محطة حيفا ، واستداع مخادعة المراقب بالانتقال من عربة الى أخرى

(١) الاخوات الحزنيات : ص ١٢٦ - ١٣١ ، وقد سبق نشرها بعنوان

" السرتفিকা " في مجلة (الاديب) السنة ١٠ عدد ٦ ،

حتى وصل دمشق ، حيث قضى ليلة " تعرف فيها على كل انواع البق والحشرات في غرفة في فندق المنظر الجميل لقاء القروش الخمسة الباقية لديه " وسافر الى حلب بمساعدة ضابط انجليزى ، وهكذا وصل الى والده الذى عانقه بحارة مؤثرة ، وقال وهو يربت على ظهره : " الآن فقط نلت الشهادة الابتدائية من مدرسة الحياة ، وعليك أن تستعد لنيل الثانوية " .

أما قصة " العبد سعد " (١) فتترجم أيضا بشكل حرفي لمرحلة من طفولته هي بالتحديد الفترة التي لحقت وصوله الى أبيه في حلب ، وتتحدث عن سفره برفقة أبيه في قوات فيصل بن حسين لقمع ثورة الوهابيين في الحجاز سنة ١١١٩م . ويروى أيضا بضمير المتكلم بأسلوب يشبه أسلوب يوميات الرحالة والسائحين ما وقع له في هذه الرحلة ، ويصف المشاهد التي زارها في مكة والمدينة والطائف وجدة ، ويطنب في وصف الصداقة التي ربطته بصبي أسود اسمه " سعد " كما يتحدث بطريقة ساخرة عن هزيمة والده في وقعة تربة ، وكيف قرأ أبوه بعدها ترك الخدمة العسكرية نهائيا ومخادرة الحجاز ، وكيف يتعلق بهما الصبي الاسود ، فيحملانه معا ثم يعتقانه ، فيعمل في أعمال مختلفة ثم تنقطع أخباره نهائيا الى ان يراه نجاتي يتسول المارة وقد فقد بصره . (٢)

(١) الشيوخي الطيوني : ص ١٤٤ - ١٥٠ .

(٢) قارن بين ما رواه نجاتي في هذه القصة ، وبين ذكرياته التي رواها في

مقاله " وهل يخفى القصر " مجلة (الجمهور) السنة ٣ ،

عدد ١١٠ ، شباط ١٩٣٦ ، ص ٢٠ .

وتغطي قصة "سي محمد الشامي" (١) كذلك الفترة اللاحقة لعودة نجاتي وأبيه من الحجاز في نهاية الحرب العالمية الاولى ، وليس "محمد الشامي" في هذه القصة سوى "محمد نجاتي" الذي يروى بضمير المتكلم أيضا عن مرافقته لابيه في تجوال في القاهرة والصعيد ، وما وقع لهما هناك من طرائف ومشاهدات في أثناء بحث أبيه عن عمل واخفاقه في ذلك فيعود الى فلسطين .

ففي هذه القصص الثلاث لم يزد نجاتي على ان استرجع أجزاء من حياته وسجلها تسجيلا حرفيا ، ولذلك فقد وصف الدكتور هاشم ياغي قصة "الشهادة الابتدائية" بأنها تقرير عن رحلة أو سفرة، (٢) و "المبد سمد" لا تزيد عن ذلك ، الا ان قصة "محمد الشامي" — مع تسجيليتها — استطاعت أن ترقى من خلال اعتناء القاص بحبكتها الى مستوى القصة القصيرة الفنية .

وفي بحضر قصصه الاخرى مثل "كلوديت" و "أ محاولة خطيئة" و "سيكفولا" ايهاء شديد بأن حوادثها وقعت لشخص واحد هو نجاتي صدقي نفسه ، فقصة "كلوديت" (٣) شديدة الايهاء بذلك من حيث رسمها لشخصية الشاب الشرقي الذي يقسم في باريس سنة ١٩٣٥ ، وكذلك

(١) الشيوخي المليونير : ص ٧٥ — ٨٢ . وقان بين حوادث

هذه القصة والحوادث التي رواها نجاتي عن نفسه في رسالته الى السيدة "بديعة مصابني" في مجلة

(الاديب) السنة ٣١، عدد ٦، ١٩٧٢ ، ص. ٥٥ .

(٢) القصة القصيرة في فلسطين والاردن ، ص. ٢٥٧ .

(٣) الاخوات الحزيبات : ص. ٧٣ — ٧٩ .

قصة "أ محاولة خطيئة" (١) التي يشابه مسرح حدثها الأماكن التي عاش فيها نجاتي في باريس في أثناء تحريره صحيفة "الشرق العربي" والامر نفسه يجرى على قصة "سيكفولا" (٢) التي توحي ان ذلك الشاب العربي المقيم في ليماسول سنة ١٦٥١ ، ما هو الا نجاتي ، وكان هذه القصص الثلاث الاخيرة ما هي الا اعترافات القاص عن مخاضات عاطفية مبتورة أوقف سيرها وتطورها ما يحمل من أخلاق وضمير حي وإخلاص لاسرته ومبادئه .

وسواء كان نجاتي هو نفسه بطل بعض أقاصيصه ، أو أنه استوحى موضوعات بعضها من تجاربه الخاصة ، فان انعكاس حياته الذاتية يظل واضحا مؤثرا في اختياره لموضوعات أقاصيصه ، وفي بنائها الميال الى السرد بلسان المتكلم أوالذي يقتضي وجود راوية يسرد الاحداث .

-
- (١) الشيوحي المليونير : ص ص ١٧٧ - ١٨٢ ، وقد نشرت بمسـوان
"التجربة" في مجلة (الرسالة) . وقارن بين حوادث
هاتين القصتين ، وبحر جوانب حياة نجاتي في باريس التي رواها
في مذكراته ص ص ١٣٩ - ١٤٢ ، فيما يتعلق بمسرح الحوادث .
(٢) الاخوات الحزینات : ص ص ١١١ - ١١٥ ، نشرت كذلك بالمسـوان
ذاته في (الاديب) السنة ١٠ ، عدد ٤ ، ١٦٥١ ، ص ١٤ .

قضايا حياتية متنوعة :

— النضال الانساني :

صور ناجاتي في أربعة من قصصه قضية النضال الانساني في تجليات مختلفة ، كالنضال في سبيل الحرية السياسية أو في سبيل حرية الكلمة ، والنضال من أجل الحياة ولقمة العيش ، والتضحية بالثمن من أجل منحها للجماعة .

فقصة " عند الفجر " (١) التي تعود في أحداثها الى بداية الحرب العالمية الثانية في باريس عندما اجتاحتها القوات النازية ، تتحدث بأسلوب حار عن الحريات السياسية ، وبطلها محام من أصل عربي اسمه أنطون الحاج اشتهر بحرارته وجراته في الدفاع عن قضايا الحريات السياسية ، وقد ازداد نشاطه في أثناء الاجتياح النازي لفرنسا . وعندما وكل للدفاع عن احد رجال المقاومة الفرنسية السرية استدعاه الحاكم الالمانى وطلب اليه عدم المرافعة عن موكله والا فانه سيحضر نفسه للخطر ، ولكنه أصر على موقفه ، وفي جلسة المحاكمة انبرى يدافع عن موكله متكلما عن الحرية الانسانية عامة بحماسة :

" . . ان الحياة عزيزة والسلم عذب ، ولكنهم لا يشتريان بثمن السلاسل والعبودية ، فالله الذى وهبنا الحياة وهبنا الحرية أيضا ، والحرية هي ضربات تكال ، فمن أرادها فليضرب أو يموت . . ان الذين يتخلون عن الحرية لينعموا

(١) الشيوعي المليونير : ص ٣٨ — ٤٥ .

بأن مؤقت هم اناس لا يستحقون الحرية ولا الامن . . ثم ردد
كلمة مأثورة فاه بها برتراند بارير في المجمع الوطني الفرنسي
سنة ١٧٩٢ ، قال : ان شجرة الحرية لا تنمو الا اذا رويت
بدماء الطغاة . . " (١)

وظل يخطب بمثل هذا الكلام موضحا ان الحرية حق لجميع البشر ، مما دفع
هيئة المحكمة الى رفع الجلسة وتوقيف المحامي ، وفي اليوم التالي صدر الحكم على
رجل المقاومة وعلى المحامي بالاعدام رميا بالرصاص ، وقبل تنفيذ في غابة قرب
باريس ، سئل رجل المقاومة عم سيفصل لو جاءه قرار بالحفو فأجاب : أعود للمقاومة
فورا ، وسئل المحامي السؤال نفسه فقال : انهرى للدفاع عنه دون تردد ، وبعد
ذلك رددت الغابة صدى الرصاصات التي أودت بحياتهما . .

ولحل قضية حرية التعبير عن الرأي وما يلقي المفكرون الاحرار من عنت وقمع في
سبيل ذلك التي عبر عنها نجاتي في قصة من أجمل قصصه هي " ليلة في القبر " (٢)
ان تكون مرتبطة بهذا الموضوع ، وهذه القصة تغترق عالم المعتقل الى اللامعقول
لتصور بأسلوب لاذع السخرية ، القمع الذي يتعرض له الاحرار والمفكرون في البلاد
العربية ، فالاديبي صاحب كتاب " النجاة في الصدق " — لاحظ ما في عنوان
هذا الكتاب من ايهام بنجاتي صدقي — مات بعد ان ترك ثروة فكرية أدبية فسي
ثلاثة عشر كتابا ، وفي ليلته الاولى في القبر زاره الملكان ناكرو وكبر وفتحا سجلا
ضخما يحتوي جميع التهم الموجهة ضده ، ولكنه انكر ان يكون قد حوّل على احداث
بليلة اجتماعية أو نشر أفكارا خطيرة ، فيكيل له ناكرو ضربة من هراوته المرعبة ،

(١) المصدر نفسه : ص ٤٣ .

(٢) الاخوات الحزنيات : ص ١٢١ — ١٢٥ .

أما نكير فيقول :

" اسمع ايها المتهم ، نحن نخاف الحقاب على الكتاب
والمفكرين ، ونجّاهم في المرتبة الاولى بين المتهمين ويليهم
الاشقياء والصوص (. . .) فالشقي عندنا ينتهي أمره بموته . . .
أما الكاتب فجريمته لا تنتهي بموته ، بل على النقيض من ذلك
فان محمول سمومه يزداد جيلا بعد جيل . " (١)

وهكذا يتعرض الكاتب المسكين لوجبة تعذيب دسمة ، وعندما ينتصف الليل
يتركه الملك ليحودا في الليلة القادمة لاستجوابه على مجموعته القصصية " المدينة
الشقية وقصص أخرى " مع وعد بمواصلة الزيارة والتحقيق لمدة ثلاث عشرة ليلة
قادمة -- وهذا عدد كتبه -- ولكن دهشتها كانت عظيمة عندما عاد في الليلة
القادمة ولم يجد الكاتب ، فقد هرب من قبره .

وليس من الصعب الاستشفاف ان هذا القبر ليس الا احدي زنازين الانظمة،
وما المكان الا رمز لا جهزة القمع التي ترهبها الكلمة المكتوبة والمنطوقة اكثر من أي شيء
آخر ، فتلجأ الى القمع وكبت الحريات مستبيحة بذلك أدنى الحقوق الانسانية .

أما النضال المقدس من أجل الحياة ولقمة العيش ، فقد عبر عنها نجاتي فسي
قصتين امتازتا بملاستهما عالم الاسطورة ، " مستفيدا مما في الاسطورة من قوة فسي
الايحاء وحرارة في التعبير " (٢) فقدمة " أسطورة قوقاسية " (٣) التي كتبها في

(١) المصدر نفسه : ص ١٢٣ .

(٢) حياة الادب الفلسطيني الحديث ، مرجع سابق : ص ٤٦٥ .

(٣) الاخوات الحزنيات : ص ١٢٦ - ٤٦٥ ، وقد نشرها أيضا بالمصـ

نفسه في (الاديب) السنة ١١ ، عدد ١ ، ١٩٥٢ ، ص ٢٤ .

الاتحاد السوفييتي ١١٣٦ ، تتحدث بأسلوب يميز الواقع بحرارة الاسطورة عن قرية قوقاسية غضب الله على اهلها فحرمها نعمة المطر حتى جفت زروعهم ونضبت عيونهم ، وهددهم بأن يفنيهم جميعا ما عدا ثلاثة شبان هم (سليم وشاهان وعليك) لاشتقارهم بالفضيلة وحب الآخرين ، ولكن هؤلاء الشبان التمسوا الى الله وتضرعوا أن يرأف بقومهم ويعيد اليهم الماء ، ويقبلهم ضحية عن قومهم ، وبعد ركوع وتضرع استجاب الله لهم ورفعهم الى السماء وقبضهم اليه ، وفي الحال تكاثرت الغيوم وهطل الثلج فحرت الانهار وعادت الحياة الخالدة الى الوادي ، أما هؤلاء الشبان فقد ظلت ذكراهم خالدة :

"والآن . . . كل من يصعد الى أعالي هذه الجبال يسمع وهو في وسط الثلج والاعاصير أغانيها الطويلة ذات اللحن الواحد وهي تقول : أتذكر أيها الانسان سليما وشاهان وعليك . . . وإذا كنت تذكرهم فلماذا تنسى الحقيقة والخير كما أحببهما ثلاثة من الشبان ."

أما نضال الانسان الخالد في سبيل لقمة العيش فقد صوره نجاتي كذلك في قصة " سمكة الحيد " (١) التي تحكي بأسلوب سردي سهل يبدو كأنه مكتوب للصغار عن صياد بسيط اسمه سعد يخامر بنفسه ويركب البحر في ليلة لا يؤمن فيها للبحر كي يصطاد سمكة تشويها عائلته احتفاء بعيد الفطر ، ويتوغل في البحر دون أن يوفق في صيده ، وتداهم عاصفة غاضبة يهيج لها البحر ويدلهم ، ويزداد هيجان البحر عندما ينجح في اصطياد سمكة كبيرة حتى يئس من العودة سالما فيجلس في قاربه الصغير موقفا بالمصير الذي لاقى أباه وجده من قبل ، وبينما هو كذلك يظهر له شبحان أبيضان على الامواج فيقودان القارب بسهولة ويسر

وهما يقولان له : " انشد يا سعد نشيد الحديد فصوتك يقهر ثورة اليم " .

وفي قصة " فتى من الديوانية " صور القاص ثروة النضال الانساني وانتصاره على عناصر الشر ، من خلال أخذ الشابين أحمد ومحمود بثأر أبيهما ، وبذلك خلاصا الناحية من شرور المجرم وأعادا الاعتبار الى امهما رمز العناصر المنجيّة الخيرة . (١)

— المرأة :

كان موضوع المرأة ومكانتها الاجتماعية من الموضوعات التي شغلت نجاتي ، فصورها في ثماني قصص ، ويستطيع ان نلاحظ ثلاث صور للمرأة التي رسمها نجاتي في قصصه :

- صورة المرأة المتعلمة المناهضة (أنموذج متفوق) .
- المرأة ضحية مجتمع شرقي ذكوري متسلط " مجتمع بطريركي " .
- المرأة اللعوب .

كان نجاتي مهتما بابرار صورة مشرقة للمرأة العربية في قصصه في الاربعينات والخمسينات من هذا القرن ، بل انه بشر بميلاد امرأة جديدة نوعيا من بين نساء مجتمعنا الابوى (الذكوري) ، وهي المرأة الذكية المتعلمة المثقفة التي لا تقل

(١) اعتبر الدكتور هاشم ياغي في كتابه " القصة القصيرة في فلسطين والاردن "

هذه القصة أمضى قصص مجموعة " الاخوات الحزيبات " دلالة على

قيم المدرسة الواقعية الجديد : • أنظر ص ٢٤٨ •

بحال من الاحوال عن الرجل سواء في قدرتها على النمو ومواجهة الحياة ، أو استيعاب العلوم المصرية أو قدرتها على أداء واجبها نحو وطنها ومجتمعها ، ولعل ذلك يتضح جليا في تأكيده على سمات المثابرة والثقة بالذات والقدرة على خدمة المجتمع والوطن الى حد التضحية بالذات والاستشهاد ، كما تجلى ذلك في شخصيتي " حياة بلاسي " وجوليا زكا بطلة قصة " ممرضة من فلسطين " — وقد مر الحديث عنهما .

كما التفت الى نضال المرأة في سبيل تجاوز واقعها الصعب في مجتمع لا يرحم ، وصوره في قصة " زنوبيا " (١) ، فنزوبيا في هذه القصة امرأة مكافحة عاشت مع زوجها الطبيب الكهل العرييد مدة انجبت فيها أربعة أولاد ، ثم آثرت الانفصال عنه بعد ان أضحت حياتهما معا مستحيلة الاستمرار ، واضطرت الى مواجهة الحياة مع أطفالها الاربعة دون نصير سوى اصرارها ومثابرتها ، فعملت ممثلة ومغنية على المسارح مستفيدة في ذلك مما لقت من ثقافة قبل زواجها ، وفي النهار كانت تقوم على رعاية ابنائها أحسن رعاية ، وثابرت على ذلك دون أن تتأطىء رأسها وهي المرأة الوحيدة الشابة ، حتى نالوا أرفع الشهادات وحصلوا على مراكز مرموقة ، وهكذا نجحت زنوبيا في اثبات جدارتها وفي تجاوز تعاستها الناجمة عن حياة زوجية بائسة ، بل ان زوجها المطلق الذي أذاقها مر العذاب ، لا يجسد من يحطاف عليه في ضعفه وشيخوخته سوى زوجته السابقة زنوبيا .

ويضع نجاتي مجمل أفكاره حول المجتمع والثقافة والادب في قصته " الجثة الحية " (٢) على لسان الهام نواره بطلة القصة . والهام هذه درست الاداب

(١) الشيوعي المليونير : ص ص ١٣٠ — ١٣٧ .

(٢) الاخوات الحزيبات : ص ص ٤١ — ٥١ ، وقد نشرت بالعنوان ذاته في

مجلة (الكتاب) السنة ٢ ، مجلد ٤ ، ج ٧ ، ١٩٤٧ ، ص ١١٢٨ .

في جامعة الجزيرة وتفوقت فتزوجها استاذها " سليم التدمري " اعجابا بها ولسم يمنحها من اكمال دراستها بل حثها على ذلك ، وثابر على اصطحابها الى نوادي الادب حتى لمع نجمها أديبة مرموقة ، وكانت حياتها مع زوجها في البدايات ندوة ثقافية لا تنتهي .

بهذه الرؤية المشرقة صوره نجاتي المرأة العربية التي اتاحت لها فرصة التعليم فتفوقت وفتحت مواهبها ، ولكن هل كان ذلك يتسنى دائما للمرأة في مجتمعنا وبخاصة في نهاية الاربعينات ؟ يجيب نجاتي على هذا السؤال عبر التطورات التي طرأت على ظروف الهام ، في قصته هذه ، وكأنه يريد القول ان الانسان هو صليحة ظروفه سواء كان رجلاً أو امرأة ، فالزوج الاستاذ أصبح يستشعر الخطر من نبوغ زوجته وذكائها فخشي ان تطمس لمعانه الاجتماعي فحبسها في البيت مستخدماً ما تخوله السلطات الدينية والمدنية من حقوق ، بل منع عنها الكتب وسحق شخصيتها محتجاً ان البيت هو المكان الطبيعي للمرأة ، وما عليها الا ان تعنى بشؤون المطبخ والاولاد أما الثقافة والادب فهما من اختصاص الرجل ، وهكذا تحولت الهام شيئاً فشيئاً تحت ضغط ظروفها الى ربة بيت عادية وانطفاً بريق غريب كان يشع من عينيها :

" وقال لها زوجها ذات مساء غاضباً : ما بالك تذبليين
أأنت سعيدة في مملكتك هذه ؟ فلم تجبه وانما راحت تنظر
اليه ذاملة . . فمط شفثيه وهزكتفيه وغادر البيت وهو يتمتم
قائلاً : مصيبة . . كارثة . . جثة تتحرك . . جثة حية ! " (١)

(١) الاخوات الحزيبات : ص ٥١ ، وقد ترجمت هذه القصة الى اللغة الروسية .
أنظر : نجاتي صدقي ، " القصة العربية في الادب الروسي " مجلة
(الرائد العربي) السنة ٤ ، عدد ٢٧ ، نوفمبر (تشرين الثاني)

وفي قصتين أخريين ، يصور نجاتي وضع المرأة العربية المضطهدة التي يسلبها المجتمع أبسط حقوقها الانسانية متذرعاً بالحفاظ على قيمة الشرف التي يراها متصلة في كبت النساء ، ويحصرها في اطار جنسي ضيق ، ففي قصة " فتاة حائرة " (١) المكتوبة في يافا سنة ١٩٤٦ ، تهرب الفتاة سلمى من بيت زوجها الذي أكرهت على الزواج منه بعد انكشاف قصة حبها مع شاب من الحي ، بل ان رجال عائلتها أحضروا طبيباً ليتأكدوا من عذريتها قبل تزويجها . وتحاول ان تحصل على الطلاق ولكن ذلك كان صعباً في تقاليد طائفتهم المسيحية ، فتلجئ الى المدينة باحثة عن الحمل السينمائي ولكنها تخفق فتتزوج من شاب مسلم أجبرها على ارتداء السواد ، ولم يعد ينحصر عليها سوى ذوها الذين كانوا يزورونها باستمرار متكبرين كي يثأروا لكرامتهم ، وفي أحد الايام طرقت أبوابها الباب وهو يقول : ابشرى يا سلمى لقد جاءك الطلاق من روما . (٢)

وفي قصة " سعدى " (٣) المكتوبة عام ١٩٤٧ ، تذهب المرأة أيضاً ضحية تقاليد متخلفة ، وتدفع حياتها ثمناً للحب الذي ربطها مع شاب من خارج قبيلتها " بني مادح " وعندما علم أبوها بهربها قلب الدلة — كناية عن اظهار الحزن — ورفض استقبال الضيوف في ديوانه الى أن تسنى له ان يغمد خنجره في صدر ابنته التي لم تفعل شيئاً سوى أن تزوجت من شاب أحبته وهربت معه بعد ان رفض اهلها مبدأ الزواج منه ، وهكذا انتشر الخبر بين مضارب القبيلة ان أبا سعدى قد " عدل الدلة " وغسل الحار بالدم ، وكأن الشرف قد تقزّم وانحصر

(١) الاخوات الحزيبات : ص ٦٦ — ٧٢ .

(٢) وقد التفت عيسى الناعوري الى هذا الخلل في قفلة القصة فالطلاق لا يأتي من

روما . انظر ، مجلة (القلم الجديد) السنة الاولى ، عدد ٨ ،

نيسان ١٩٥٣ ، ص ٤٢ .

(٣) الاخوات الحزيبات : ص ٥٢ — ٥٧ وقد سبق نشرها بعنوان " سعدى

التميمية " في مجلة (الرسالة) السنة ١٦ ، عدد ٧٦١ ، فبراير ،

ص ١٥٦ — ١٥٧ .

فقط في هذا الاطار الضيق •

أما صورة المرأة اللعوب بنت الهوى ، فقد رسمها نجاتي في قصتين :

الاولى بعنوان " كلوديت " (١) ، وقد كتبها في باريس ١٩٣٥ ، وهي تحكي عن فتاة باريسية تتجول بين المكتبات ورفوف الكتب القديمة مظهرة انها مهتمة بالفلسفة والثقافة ، وهكذا يكاد شاب عربي اسمه سعيد ان يقع في حبائلها بعد ان ساعدها في التقاط الكتب التي انهارت عن الرف ، ويرتبط معها بصداقة متوهما انها فتاة مثقفة تجادل في روسو والعقد الاجتماعي ، ولكنه سرعان ما يتبين أنها فتاة لصوب كل همها يمحى في اصطياذ الشباب الوافدين من الشرق والاستمتاع بوقتها معهم في غابة قرب باريس ، فيتركها نهائيا ، وفي أحد الايام ، بعد شهر من ذلك كان مارا من امام تلك المكتبة فشهد كلوديت يساعد شاب شرقي في التقاط الكتب المنهارة •

أما قصة " الراقصة مارغو " التي كتبها في بيروت عام ١٩٥٢ ، فانها تصور ابتزاز بنات الهوى لرواد الملاهي الليلية ، وكيدهن في ذلك ، ومارغو هذه شقراء في الثلاثين من عمرها تحمل راقصة في ناد ليلي ، وتحاول بكل الوسائل الانتويبة تجريد الزبون من كل نقوده ، فتلجأ الى اظهار الدلال والحنج أو استدراار العجاف كونها ضحية شاب ثري غرر بها على وعد بالزواج ثم تركها فاضطرت لهذا العمل • وهكذا ينشد اليها رجلان جاءا للسهر والاستمتاع فتشاركهما مائدتهما وتطلب على حسابها عشاء باذخا ومشروبات كثيرة ، وفي نهاية السهرة تكون ورقة الحساب باهظة ، ولكن ذلك لا يؤثر في الزبونين اللذين تعنتتهما الخمر ، فتضرب مارغو موعدا لاحدهما

(١) الاخوات الحزينات : ص ٧٣ — ٧٩ • وانظر : مجلة (الاديب)

في شقتها وعندما يذهب مترجحا تستعدي عليه الشرطة مدعية أنه يتحرش بها ، فيقودونه الى المخفر حيث يقضي ساعات " حمر " حقيقية . (١)

ظواهر اجتماعية سلبية :

صور نجاتي في عدد من قصصه بصر الظواهر الاجتماعية السالبة المتفشية في المجتمع العربي ، مثل الزيف والنش ، والتكر للطبقة الفقيرة ، وظاهرة الفساد الاداري وتفتشي البيروقراطية وسواها .

ففي قصة " من يوميات منسية " (٢) صور نجاتي بأسلوب ساخر يتضمن الادانة فئة من الناس تتخذ من الفن والادب والثقافة سبيلا للوجاهة الاجتماعية والشهرة الجوفاء ، ورمز لهذه الفئة بجماعة " اخوان الفن " الذين لا يربطهم بالفن والادب أي رابط سوى اصباغهم على انفسهم مظاهر كاريكاتورية متوهمين أنها صفات الفلاسفة والمفكرين ، وهذه المظاهر يصفها القاص بقوله :

(١) الاخوات الحزيبات : ص ٩٧ - ١٠٢ ، نشرت أيضا بالمعنوان ذاته في (الاديب) السنة ١٠ ، عدد ٦ ، ص ١٣ . ولا أظن أن لهذه القصة أية علاقة بالحياة في فلسطين أو بالقضية الفلسطينية أو موقف القاص منها كما ذهب الدكتور هاشم ياغي في كتابه " القصة القصيرة في فلسطين والاردن " ص ٢٤٧ . فهي مكتوبة في بيروت سنة ١١٥٠ ، وأغلب الظن أنها تتحدث عن جو الملاهي في بيروت .

(٢) الاخوات الحزيبات : ص ١١٦ - ١٢٠ .

"استقبلني الاخوان بكل ما أعدوه من مظاهر بهلوانية ، فأطلق أحدهم شعر رأسه ، وجعل غيره ربطة العنق واسمعة فضفاضة ، ووضع ثالث نظارة مستحارة على أنفه ، وجعل غيرهم قميصه خارج سرواله ، أو ترك شريط حذائه غير محقود دليلا على الذهول وشروذ الطبع ، أو لبس سروالا مهلهلا وقميصا واسعا أثبت في جيبه عددا من أقلام الحبر من مختلف الماركات ، دلالة على ان ربة الفن تأتي الأخ على حين غرة ولا تدع مجالا ليمسأ قلمه بالحبر اذا ما نضب ، فهو يستعد لمقابلتها بأكثر من قلم واحد . . " (١)

وفي نهاية الامر يظهر هؤلاء المدعون للأدب والفن والفلسفة طبولا جوفاء ، اذ يبدون عند محاورتهم بما يدعون جهلة لا يفقهون شيئا .

أما شخصية المثقف البرجوازي الذي تتناظر مواقفه في الحياة مع مبادئه وأفكاره ، فقد رسمها نجاتي في شخص الاستاذ سليم التدمري زوج الهام نواره في قصة " الجثة الحية " سائلة الذكر ، فالاستاذ التدمري هذا لم يزد ما حصل من ثقافة وعلم وأستاذية على كونها قشرة خارجية سرعان ما انهارت عند مواجهة محك حياتي دقيق مثل التعامل مع المرأة . فهو بدا في أول القصة شخصا متطورا كما ينبغي لاستاذ جامعي ان يكون فدفع زوجته الى اكمال دراستها وانماء شخصيتها ، ولكنه في النهاية انقلب على نفسه وعلى زوجته وارتد الى مواقع متخلفة فكريا واجتماعيا اذ حبس زوجته ومنع عنها كل وسائل التثقيف خوفا من ان تسطر على ما له من رصيد اجتماعي فتطمسه بنبوغها وذكائها ، فأثبت بذلك ان ثقافته ما هي الا قشرة

(١) المصدر نفسه : ص ١١٧ ، وقد نشرت بال عنوان نفسه في (الاديب)

خارجية سطحية ، وما زواجه من تلميذته النابهة الا رغبة في امتلاك ذلك المخلوق
الذكي الجميل ، وبعد ان اطمأن الى ذلك ، ارتد الى مواقفه المستبدة •

وشخصية عماد الصفار في قصة " حياة تافهة " (١) تشبه الى حد ما
شخصية سليم التدمري ، فعماذ أيضا بالرغم من ثقافته العالية واستاذيته في
ميدان علم النفس ، بدا عاجزا عن التخطيط لحياته على المستوى الذي تقتضيه
ثقافته ، بل نجده قد أذعن لعمه فطلق زوجته الامريكية الاستاذة زميلته في
الجامعة ، وتزوج من ابنة عمه الفتاة الغريبة الساذجة مع ادراكه سلفا ما بينهما من
هوة في الثقافة والعمر ، ولما بدت حياته مع ابنة عمه مستحيلة الاستمرار ، طلقها
وحاول العودة الى زوجته السابقة متذعرا بضغوط التقاليد ، ولكنها صدته بما
هو أهل له من قسوة وقظاظلة يشاركها في ذلك صديقها الامريكي الجديد الذي
هدد عمادا بقبضته ، فانسحب ذليلا صاغرا وقد خسر كل شيء ، ولم يجد امامه
سوى الانتحار •

أما شخصية الثوري الانتهازي الذي تنكر لمبادئه في سبيل مصالحه
الذاتية فقد صورها نجاتي بأسلوب لاذع السخرية في قصة " الشيوعي المليونير " (٢)
التي حملت مجموعته الثانية اسمها • ويبدو نجاتي في هذه القصة كأنه يسرد
جزءا من ذكرياته الحقيقية أيام انتمائه لصفوف الحركة الشيوعية العربية ، مع
بعض التحويلات البسيطة في الاسماء ، وبدلا من أن يسرد هو شخصا هــذه
الذكريات ، جعل من نفسه مستمعا لشخص يرويها في أثناء سفره بالطائرة ، وليس
من الصعب الاستشفاف ان هذا الراوية ما هو الا نجاتي نفسه •

(١) الشيوعي المليونير : ص ١٠٤ - ١١٢ •

(٢) الشيوعي المليونير : ص ٧ - ١٥ •

وتتحدث هذه القصة عن مناضل شيوعي اسمه لبيب أفيتيمون درس في موسكو ، قبل كتابة هذه القصة بثلاثين سنة ، أسس الفلسفة الماركسية الليبينية ، وعرف بمراسه الصعب في النضال الشيوعي ومواجهه المتميزة في العمل الحزبي ، ولكنه حال تخرجه من الجامعة انقلب رأسا على عقب فتنكر لجميع مبادئه وخيان أفكاره الثورية في سبيل الاثراء وجمع المال ، بل انه استفاد في ذلك من خبرته النضالية وتمرسه بالعمل الحزبي ، فجنده يستغل جميع الظروف للاثراء ، ويستفيد من مشكلة اللاجئين ويسطو على معوناتهم ويبيعها لحسابه الخاص ، وقد نظم أعوانه بطريقة " حزبية " بحيث أصبحوا شبكة ممتدة تعمل لصالحه في أقطار متعددة ، وقلب المفاهيم الاشتراكية بحيث تتوافق وسلوكه الخاص ، المكرس لجمع المال ، وهو اليوم قد أصبح مليونيرا يقضي وقته بين أوروبا وأمريكا وله عدد كبير من الشركات ويمتلك رأس مال ضخما يوظفه في امور عدة ، ومع ذلك فانه لا يزال يذكر كارل ماركس بالخير وان غدا يختلف معه في نظرية " القيمة الزائدة " .

أما مزلق التكر للطبقة الفقيرة في محاولة للتعلق بأذيال طبقة أعلى فقد صورته نجاتي برشاقة في قصتين من أكثر قصصه حيوية هما " كاتب الحرائر و " مصرف مدام برجوهي " .

في القصة الاولى يخفي كاتب الحرائر الفقير جميل الحكوماوي منبته المتواضع ، ويوهم أسرة دمشقية عريقة انه محام فلسطيني ناجح ثرى ملاك ، له مكتب في القدس مع فروع في المدن المختلفة ، وبيارات وكروم في يافا والرملة والخليل ، وبذلك ينجح في الزواج من ابنة هذه الاسرة وينقلها معه الى غرفته الحقيبة في القدس ، فتستغرب الصروس ، فيوهمها أنه على خلاف مع أهله وقد استأجر هذه " الشقة المفروشة " ريثما ينتهي بناء بيته ذى الشرفات الاربعة ، ولكن الحال تطول بالزوجة في هذه الغرفة ولما ينتهي بناء البيت ، فتقرر زيارته في مكتبه الفخم ، ولكن الناس الذين تسألهم عن جميل بك الحكوماوي يجيبون بأنهم لا يعرفون صاحب هذا الاسم ،

وبدلتها على شخص. يجلس على كرسي قديم أمام صندوق عليه بضعة أوراق بالية اسمه جميل العكرماوي ، وحالما يقف نظرها عليه وتعترف فيه زوجها تسقط مشيا عليها . (١)

وفي قصة " مصرف مدام برجوهي " (٢) يصور نجاتي بأسلوب حيوي لاذع السخرية عاقبة التكرار للطبقة والقفز عنها ، فمدام برجوهي الارمنية الفقيرة التي تتوق للانطلاق من اسار حياتها الفقيرة القاسية تلجأ الى خداع أربعين ألفا من بني قومها الارمن البائسين بعد خروجهم من بلادهم ، في سبيل ان تثري وتتخلص من حياتها الفقيرة بعد ان اخفقت أحلامها المتواضعة اثر زواجها من شاب عاثر الحظ ، فتخدع بني قومها بأن تفتح مصرفا يدخر بفوائد عالية ، ويسلم الارواح فوراً وتنجح في ذلك بما ارتيت من ذكاء فطري وباعتمادها على حاشية من المنافقين ، وفي نهاية الامر تهرب بجميع الودائع فتقبض عليها الشرطة في سيارة تحمل عشرين سبيكة ذهبية ، وهكذا تقضي بقية حياتها في السجن بدلا من القصور وحياة الفخفة التي طالما متت بها النفس .

أما بعض الظواهر الأخرى كالفساد والوصولية والجشع والبيروقراطية ، فقد صورها نجاتي في عدد من قصصه الأخرى ،

-
- (١) مجلة (الرسالة) السنة ١٤ ، عدد ٦٩٨ ، نوفمبر (تشرين الاول) ١٩٤٦ ، ص ١١٦٠ - ١١٦١ ، وهي غير قصة " كاسب العرائر " المنشورة في مجموعة " الشيوعي المليونير " ص ١٦٤ - ١٧١ ، ونلاحظ ان نجاتي كان مهتما بشخصية كاتب العرائر اذ صورها في ثلاث من قصصه ولحل هذا الاهتمام أتاه من كون والده قد مارس هذه المهنة مدة من حياته .
- (٢) الشيوعي المليونير : ص ٢٤ - ٣٧ .

فقصة "أصدقاء المصلحة" (١) تصور الرياء وكأنها تنهي على البشرية امكان قيام صداقة صافية خالية من المآرب الذاتية ، فان الاصدقاء الذين طالما أبسدا واحترامهم وودهم الخالص لرئيس التحرير السيد حاتم سرعان ما ينفذون عنه حالما استقلال من عمله .

وفي قصة " جلد الحمار " (٢) صور نجاتي جملة من مظاهر الفساد مثل الانتهازية والرياء ، وتخلص هذه القصة الى نتيجة مؤداها أن الانسان لن ينجح ماديا الا اذا داس كرامته وضميره ولبس " جلد حمار " ، ويختار لتصوير ذلك صديقه الاستاذ " مخلص " الذي طرد من أربع وظائف لانه كان دائما يتوخى الصدق والاستقامة ، وعندما سابر الفساد والفسر بما يماثله نجح وصعد درجات الجاه والفنى وثبا .

وصور نجاتي ظاهرة الوساطة والبيروقراطية والفساد الادارى في المجتمع اللبناني في قصة " سرّ الاوسمة " فالشرطة التي تخفق في القاء القبض على المذنبين الحقيقيين ، تحتفل بالشهود وتزج بهم في السجن ، ولم يخلصهم من ذلك الا قريب أحدهم المقدم المتقاعد الذي عمد الى بذلته العسكرية فلبسها وعلق عليها نجومه ونياشينه ، وسرعان ما رؤى يخرج من السجن وفي اثره ابن اخته وجميع الشهود الموقوفين . (٣)

(١) الاخوات الحزيبات : صص ١٣٤ - ١٣٨ ، وقد نشرت بالعنوان ذاته

في (الاديب) السنة ١٠ ، عدد ٣ ، ١١٥١ ، ص ٢١ .

(٢) الشيوخي المليونير : صص ١٣٨ - ١٤٣ .

(٣) المصدر نفسه : صص ١٥١ - ١٥٤

أما قصة " لولا الصيدلي " (١) فانها تصور الجشع المتشفي بين بعض
الاطباء الذين يعمدون الى امتصاص المريض موهمين اياه أنه يشكو من مرض عضال
كي يضمنوا مراجعته المستمرة وابتزازاه ، في حين انه قد يكون يعاني من ألم
بسيط قد يشفى منه بمرهم رخيص الثمن مثلما حدث مع بطل هذه القصة الذي
انهارت مصنوياته وكاد يخسر كل ما يملك بين أطباء جشعين لا يرحمون ، ولم
ينقذه من ذلك سوى صديقه الصيدلي الذي أعطاه مرهما بربع ليرة فقط ، شفى
ذراعه الملتهبة نتيجة رطوبة البحر .

وتصور قصة " رسول الامير " بأسلوب تسجيلي عواقب الجشع والاعتداء على
حقوق الآخرين ، فالمزارع " حنا " الذي قتل جاره بعد أن رفض بيعه
قطعة أرض بثمن بخس ، لقي جزاءه وأعدم بعد سنوات طويلة من الهرب والتخفي ،
والقصة توحى بأنها وقعت فعلا ، او ان القاص رمى الى ذلك من خلال حبكةها
التي تحقق شروط الزمان والمكان باهتمام تأريخي واضح . (٢)

(١) الشيوعي المليونير : ص ١٧٢ — ١٧٦ ، وقد سبق نشرها بعنوان

" الضحية " في مجلة (الرسالة) .

(٢) قافلة الزيت ، عدد يناير ١٩٦٨ ، ص ١٦ .

القيمة الحياتية في قصصه :

لعل أبرز ما تمتاز به قصص نجاتي في طابعها العام ، هو ترسيخها للقيم الواقعية في القصر الفلسطيني في فترة مبكرة من هذا القرن تبدأ منذ منتصف الثلاثينات ، وهذه القيم تصدر عن مضامين أيديولوجية أصيلة الجذور في فكر الكاتب وفي سلوكه الحياتي الذي تجلّى في انتمائه لحركة النضال السياسي الاجتماعي في فترة هامة من حياته .

والواقعية " موقف قبل ان تكون أسلوبا " (١) ، انها موقف يكشفه الفن المتشرب بالأيديولوجية الواقعية ، وليست مواقف أيديولوجية مباشرة ، ولقد تمثل نجاتي مواقفه الأيديولوجية تمثالا منحه تلك البصيرة في القدرة على النظر الى الحياة من جوانبها المختلفة نظرة تدل على زاوية رؤية ناضجة ، تمتاز بقدرتها على رؤية الشيء ونقيضه في المواقع المتناحرة ، كما أعطته ذلك الهدوء والتأني وسحرة الصدر التي يمتاز بها من يطمئن الى موقعه الراسخ في الوقوف الى جانب الانسان في سعيه نحو الخير والتقدم ، ومحتته تلك الواقعية العلمية الخالية من الحماسة الزائدة ، أو التفاضل الاعنابطي الساذج " الكانديدي " ، وأبرز تجليات النفس الواقعي الايجابي في قصص نجاتي هي :

— ايمانه بحركة التاريخ الايجابية ايمانا واقعيا راسخا ، ويبدو ذلك بصورة خادمة في قصصه التي كرسها لتصوير الواقع الفلسطيني قبل النكبة وبعدها ، ففي قصة " الاخوات الحزينات " مثلا ، استطاع القاص بما أوتي من نفاذ بصيرة ، ان يقرأ الواقع قراءة مبصرة نافذة تجلت في ادراكه للخصائص الحضارية للحياة الفلسطينية ،

(١) الفن والاشتراكية ، مرجع سابق ، انظر صفحات متفرقة وبخاصة ص ١٧٨ .

ولجدل التاريخ الفلسطيني الخاص ، اذ لم يكن عبثا ان ينطق كل اخت من الاخوات الخمس بما بطقت به بالذات ، فالحديث عن تقاليد الاعراس أو زيارة الصوفيين ، أو غزوة نابليون ، كان تجليا يدل على وعيه للحمق الحضاري التاريخي للقضية الفلسطينية ، وللتفاعلات المختلفة التي شاركت في افرازها في ذلك الوقت بالذات ، وهذا الوعي بحركة التاريخ في مدها وجزرها منحه ذلك التفاؤل الذي ختم به قصته :

"وكانت رياح الخريف تمصف بشدة فتتهز كل شيء ، تهز
الجماد والاحياء . . . الا انها لم تقو على تلك الشجرات ، فقد
ظلت راسغة كالطود . " (١)

ان امورا صعبة ستقع ، وستعصف بكل شيء ، ولكنها لن تزعزع تلك الجميزات الخمس التي هي رمز لمقومات حضارية خاصة في فلسطين ، واختيار شجرة الجميز رمزا لهذه الخصوصية لم يكن صدفة ، فهي شجرة تزدهر في الساحل الفلسطيني وتثمر طويلا ، وتستصمد أمام هذه الرياح المعادية كما صمدت من قبل أمام غزوة نابليون ، وتظل شاهدا على ثبات فلسطين العربية شعبا وحضارة .

وقد تجلى هذا الايمان بالتاريخ أيضا ببراعة واضحة ، في قصته " ممرضة من فلسطين " من خلال نقل القصة بذلك النص الذي تحلم عائلة جوليا بوضعه على قبرها في يوم قادم (٢) ، أما متى سيأتي هذا اليوم فالقاص لا يحدد وليست هذه مهمته ، ولكنه في كل الاحوال ليس سوى يوم التحرير والصودة القادم لا محالة ، فشعب أنجب جوليا سينجب غيرها ، وقد أعلن القاص ذلك لا من خلال الخطاب

(١) الاخوات الحزيبات : ص ٣٠ .

(٢) الشيوعي المليونير : ص ٢٣ .

المباشرا بما من خلال التفاته لدقائق الحياة التي أفرزتها المشكلة الفلسطينية ، كما استطاع من خلال هذه القسفة المؤممة بالتاريخ ايمانا مبررا ان يرسم صورة حيوة واقعية للوطن — القضية ، وليس الوطن الحلم الرومانسي ، انه الوطن الذي يعني الحياة بكل تفاصيلها للفرد والعائلة والشعب .

— كما تجلت الرؤية الايجابية الواقعية في قصص نجاتي ، من خلال ايمانه بالانسان ايمانا راسخا ، ولكنه ايمان واقعي يدرك ان الانسان ما هو الا حميلة ظروفه الحياتية المتناقضة ، وقد بدت صورة الانسان في مجملها صورة مشرقة تشير الى قدرته على فعل الخير ، وتجاوز الواقع الوديء الى واقع أفضل ، كما بدا ذلك في قصصه " اسطورة قوقاسية " و " عند الفجر " و " سمكة العيد " التي ضمنها القاص رؤيته النضالية المباشرة ، ولعل هذه المباشرة جاءت اليها بهذه الحرارة من الخندق الذي كان يقف فيه نجاتي في الخطوط الامامية مسن النضال الوطني الاجتماعي في الثلاثينات ، ومع ذلك فهي مباشرة ببساطة لا اسفاف فيها ولا زعيق .

أو كما تجلى ذلك في موقفه من المرأة في عدد من قصصه مثل " حياة بلايسي " و " ممرضة من فلسطين " و " زسوبا " و " الجثة الحية " ، فان اختيار القاص لهذه النماذج النسائية المشرقة يدل على موقع ورؤية اجتماعية متقدمين . فعندما أراد تصوير دفاع الحرب عن كيانهم في فلسطين عام ١٩٤٨ اختار لذلك النموذجين نسائيتين هما حياة ، وجوليا ، وهذا الاختيار بحسب ذاته موقف ايجابي متقدم من المرأة ، وذلك لان الفن في لبه اختيار ، وهو في هذا الاختيار لم يشذ عن نواحيس الواقع ، فالواقعية في نهاية الامر ما هي الا الصورة

الاختيارية التي يرى القاص أو المبدع بشكل عام ان فيها مصلحة للانسان والمجتمع^(١)، وعلى هذا فان صورة حياة أو جوليا ، تدل بما تتضمن من معاني اختيارها دون غيرها على رؤية واقعية ايجابية ، ترفع المرأة الى موازاة الرجل في وقت كان الاعداء يحاولون زعزعة الصف الفلسطيني من خلال التهديد بانتهاك العرض والشرف ، لدفع العرب الى الرحيل وترك الارض .

كما ان شخصية المرأة فسي قصة " زنوبيا " بدت شخصية ناضجة فاعلة ، استطاعت الصمود واثبات جدارتها الانسانية في مجتمع ذكوري بطش بها . وكذلك شخصية الهام في قصة " الجثة الحية " فان القاص صور في شخص الهام صورة المرأة الحربية في الاربعينات ، هذه المرأة القادرة على النماء والتفوق في المجالات التي يظنها الرجل حكرا له ، وقد استطاعت ذلك عندما اتاحت لها الفرصة ، ولكن حالها مع ذلك ، أصبح حال المرأة الحربية في عمومها في ذلك الوقت ، فقد انكشفت هذه الفتاة النابضة وفقدت بريقها بعد أن سلبها المجتمع الذكوري عناصر التطور والنماء .

وفي قصة " العنبر رقم ٥ " بدا ايمان القاص بقدرة الانسان على النهوض من وحوله واضحا في أخذه بيد أديب أبي السباح والنهوض به من وحول السلبية والضياح ، وجعله يفيق من سكرته ويحي مصالحه الحقيقة المتمثلة في الدفاع عن وطنه ، وما كان أديب ليفيق لولا ان القاص ، حسن الظن بالانسان وقدرته على الخير ، أراد له ذلك ، فسيّر في طريق الدفاع عن ياقا — بالرغم من أنه جاء بعد فوات الاوان — الا انه يظل نابعا من رؤية نضالية مشرقة .

(١) استفدنا في هذه الفكرة من حديث أجراه محمد مندور مع الكاتب

الروسي سيمونوف ، أنظر :

محمد مندور : الادب ومذاهبه (القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ،

ط ٢ ، ١٩٥٧) ص ٩٣ .

— وقد تجلت هذه الرؤية الواقعية كذلك ، في التفات القاص وعنايته بتصوير الانسان العادي البسيط في أثناء ممارساته المختلفة لشئون حياته اليومية ، وهذا الاهتمام بحد ذاته قيمة حياتية ايجابية تشير الى موقع القاص وموقفه من هذا الانسان البسيط في سعيه لحيشر حياته بكرامة انسانية سواء وصل الى ما يصبو اليه أو لم تؤهله ظروفه ومعطياته الذاتية لذلك ، وما قاله الناقد الروسي " بيكلين " عن شخصية " اللابل " في قصص تشيخوف (١) ، يجوز اجراؤه أيضا على شخص نجاتي في قصصه ، فقد كانوا غالبا من هذا النوع " اللابل " الذي لا يهيب بالناس ان يتبعوه ، وهم أناس عاديون يعيشون حيوات عادية ، اهتم القاص بتصوير أمزجتهم ودقائق يومياتهم ، ونجاحاتهم واخفاقاتهم . . وهم غالبا من الشريحة الفقيرة أو من البرجوازيين الصغار . ويظهر ذلك في أغلب قصصه ، مثل " كاتب المراثي " و " أسرة في مهب الريح " و " فتاة حائرة " و " معركة صبيان " و " سمكة الصيد " وكثير غيرها ، وحتى في قصصه التي ضمها رؤيته النضالية الحارة ، مثل " حياة بلابسي " و " موضة من فلسطين " كانت البطولة التي اجترحتها هاتان الفتاتان ليست غريبة عن الواقع الفلسطيني ، وكأن القاص يحلن ان الانسان القادر على النضال والوقوف أمام قوى الظلام ليس بالضرورة شخصا ممتازا عن غيره ، بل هو الانسان العادي الذي يصادفنا في كل مكان ، ولكنه اختار أن يضع نفسه في خندق الانسانية ، وهذه هي روح الواقعية الاشتراكية التي تتخذ مضمونها من حياة عامة الشعب ومشاكله ، وتظل مؤمنة بالانسان وايجابيته وقدرته على ان يأتي الخير وان يضحى في سبيله في غير يأس ولا تشاؤم ولا مودة مسرفة . (٢)

(١) تشيخوف بين القصة والمسرح ، مرجع سابق : انظر في هذه القضية

الصفحتين السادسة والسابعة .

(٢) محمد مندور : الادب ومذاهبه ، مرجع سابق ، ص ٩٦ — ٩٧ .

أما شخصية البطل " الكلاسيكي " القادر على فعل الاعاجيب ، فهي غير موجودة في قصص نجاتي ، أما توضيحات الشبان الثلاثة في قصة " اسطورة قرقاسية " فان الذي جعلهم يقتربون من صورة الانبياء المبشرين هو تماس جو القصة العام بحالم الاسطورة ، ولعل نجاتي استفاد فيها من أسطورة شعبية سمعها في أثناء اقامته في الاتحاد السوفياتي ووظفها هذا التوظيف مسقطا عليها رؤيته الحياتية النضالية . وكذلك الحال في شخصية أنطون الحاج في قصة " عند الفجر " ، فهي أيضا مستوحاة من البطولات التي اجتريها الشعب الفرنسي في تصديه للاجتياح النازي في أثناء الحرب العالمية الثانية .

— ولعل أبرز تجليات هذه الرؤية ، قد تبدى في ادراك نجاتي الواعي على المواقع المتقابلة ، والتناقضات الاجتماعية ، ادراكا منه قدرة متميزة في تحليل السلوك الاجتماعي للفرد والطبقة ، وقد أتته هذه القدرة من رؤيته الايديولوجية المؤمنة بمصالح الجماعة ، وقد تمثلت هذه الناحية في قصة " العربي التائه " و " اللص " و " مصرف مدام برجوهي " وسواها .

فقد أخفق أبو حليم في القصة الاولى ، ومصطفى في الثانية ، وهما من اللاجئين الفلسطينيين في سعيهما للخلاص الذاتي في السنوات الاولى من عمر النكبة (١) ، اذ لم يستطع أبو حليم الحصول على الجنسية اللبنانية ، وأخفق مصطفى كذلك في شراء بيت في بيروت أو خارجها ، وقد أراد لهما القاص هذه النتيجة من خلال الرؤية الفنية القصصية وتصعيد أحداث القصتين تصعيدا مقنعا ، فالفلسطيني سيظل شاء أم أبى مرتبطا بقضيته الوطنية الأم ، وحل مشاكله الخاصة سيظل مرتبطا بالحل العادل لقضيته الوطنية عامة ، فمشكلات اللاجئين الفلسطينيين في منفاه ليست فقط مشكلات اجتماعية عادية ، بل انها فوق ذلك من النوع

(١) كتبت قصة " اللص " سنة ١٩٥١ ، و " العربي التائه " سنة ١٩٥٨ .

المركب الذو أفرزته النكبة ، وهو لن يستطيع في بحثه عن خلاص ذاتي بطريقة فردية أن يتجاوزها ، ومثل هذه الرؤية المشرقة جالاًما نجاتي تجلية بارعة فسي هاتين القصتين ، من خلال تضافر الرؤية الحياتية الثاقبة بفن قصصي ناضج ولا سيما في "الصربي التائه " ، وليس من الصدفة ان يكون المحامي — رمز البرجوازية العربية (١) — هو الذي ابتزأبا حليم في مفاه ، كما ليس صدفة ان يعتقد مثل ذلك التحالف بين السمسار واللص في قصة " اللص " وتعاونهما في تدبير السطو على اللاجئ الفلسطيني " مصطفى " . فأبوضبة السمسار الأعور ، واللص ، في هذا التحالف يرمزان أيضا للبرجوازية العربية التي تخلّت عن برنامجها الوطني فصارت ترى في المشكلة الفلسطينية وافرازاتها المأساوية شكلا من أشكال الاستثمار ، وما اللص الذي تبع مصطفى في تلك الليلة سوى وسيلة للنهب يستخدمها السمسار " رمز البرجوازية " ، ولذلك فليس صدفة أيضا أن يكون أبوضبة أعور ، فذلك رمز للتشوه الروحي عند البرجوازية العربية في رؤية القاص .

وما حصل لمدام برجوهي في قصة " مصرف مدام برجوهي " هو المصير الذي واجه به القاص من يخون طبقته وبني قومه ويبحث عن خلاص ذاتي ، فقد خسرت برجوهي تحاطف شعبها وطبقتها وأضحت مغامرتها النفعية مغامرة غير مضمونة الدواقب فقد أوصلتها السجن بدل حياة الجاه والعز . أما ما هي طريق الخلاص من وحول الفقر ومن جحيم الغربة ، فان القاص لا يرى مهمته تحديد ذلك في حين أنه معني أشد الاعتناء بالسير بشخوصة نحو الخير ، فهو بدا من الخارج محايدا ينظر للامور نظرة موضوعية ، الا انه حقيقة الامر ليس كذلك ، وقد قصد الى تحقيق البعد التحريضي في قصصه هذه من خلال اغلاق مزالق الخلاص الفردي ، دون أن يشير الى طريق محددة واضحة ، وليست هذه مهمة الادب وحده وبخاصة اذا كانت مثل هذه الطرق غير متبلورة على الصعيد الموضوعي .

(١) القصة القصيرة في فلسطين والاردن : ص ٢٦٣ .

وحتى في عصر قصصه التي امتزجت فيها قيم المدرسة الواقعية الجديدة بقيم المدرسة الرومانسية — على حد تعبير الدكتور هاشم ياغي (١) — ظلت الرؤية الحياتية الواقعية واضحة بصورة عامة ، وفي هذا المجال نفضل استعمال مصطلح " الواقعية الانتقادية " بدلا من مصطلح " الرومانسية " الذي استعمله الدكتور ياغي للدلالة على شكل من أشكال رؤية نجاتي الحياتية في قصصه ، وهو الشكل الذي يبدو أقل اشراقا من ناحية ما يتضمن من قيم حياتية ، وذلك لان مصطلح " الواقعية الانتقادية " اكثر دقة من مصطلح الرومانسية في هذا الموقع ، فمع ان الواقعية الانتقادية شكل من اشكال الرومانسية الا انها تختلف عنها بما تتضمن من معاني الانتقاد لمظاهر الفساد في المجتمع " الرأسمالي " ، في حين قد تكتفي الرومانسية بالاحتجاج الذاتي فقط على هذه المساوئ ، يقول فيشر عن ذلك :

" ليست الرومانسية والواقعية (الانتقادية) نقيضين متقابلين بحال من الاحوال ، بل من الاصول ان يقال ان الرومانسية مرحلة مبكرة من مراحل الواقعية الانتقادية ، فالموقف لا يتغير تغييرا جوهريا ، انما الذي يتغير هو الاسلوب ، اذ يصبح الكاتب أكثر برودا و (موضوعية) ، وينظر للأمور من مسافة أبعد . " (٢)

وعلى ذلك فان نجاتي في عدد من قصصه التي صور فيها جملة من المساوئ الاجتماعية كالزيف والفساد والرياء .. لم يكن رومانسيا يبتعد عن المجتمع محتجا نادبا ، بقدر ما كان واقعيا انتقاديا يرى الامور بذلك البرود وتلك الموضوعية التي

(١) المرجع السابق نفسه : أنظر صفحات متفرقة مثل ٢٤٨ ،

و ٢٦٤ ، وغيرها .

(٢) الاشتراكية والفن ، مرجع سابق : ص ١٧٧ .

يمتاز بها الواقعيون الانتقاديون مثل بلزك وستاندال على حد تعبير فيشر .

ففي قصة " الجثة الحية " مثلاً ، صور نجاتي بأسلوب واقعي يبدو في طياته الانتقاد أكثر مما يتضح الاحتجاج — موقف المجتمع من المرأة ، وكذلك الحال في قصة " سعدى " و " فتاة حائرة " فقد صور اضطهاد المرأة الصربية في مجتمع شرقي ذكوري تصويراً موزوعياً وكأن الأمر لا يعني به حال من الأحوال . إن نجاتي في هذه القصص كان واقعياً انتقادياً وليس واقعياً اشتراكياً ، لأنه صور الواقع كما هو لا كما ينبغي أن يكون ، ولم يعد صياغته وتشكيله وفقاً لرؤية حيائية متقدمة .

وكذلك الحال أيضاً في قصصه المكرسة لتصوير الفساد والرياء في قصة " جلد الحمار " و " أصدقاء المصلحة " و " من يوميات منسية " فقد كانت رؤية الكاتب أيضاً رؤية انتقادية محايدة ، أكثر منها رؤية احتجاجية رومانسية منعزلة ، ومع ذلك يمكن القول أن هذه الرؤية الانتقادية يمكن أن تحتسب قيمة تضاف لدور نجاتي صدقي في ترسيخه لأدب فلسطيني واقعي من ناحية أنها تالية للرومانسية الاحتجاجية ، ومن ناحية قدرة الواقعية الانتقادية الخاصة في الدلالة على بعض المساوئ الاجتماعية وادانتها والتنبؤ بها .

القيمة الفنية في قصصه :

يمكن القول ان نجاتي التزم في قصصه ، بشكل عام ، شكلاً فنياً يحقق عناصر
القصة القصيرة الاصولية " التقليدية " التي تحتوى على مقدمة وحدث وعقدة وخاتمة
في حبكة يتضح فيها البعد المكاني والبعد الزماني ، ومع انه حاول في بعض قصصه
مثل " الاخوات الحزينات " ان يلجأ الى اسلوب الحلم بقصد انجاز الرؤية القصصية
التي يريد ، والى تصوير حوادث اقرب الى اللامعقول في عدد من قصصه مثل
" سمكة العبد " و " ليلة في القبر " و " اسطورة قوقاسية " ، الا ان الشكل
الفني في هذه القصص لم يخرج عن بساط المعمار الفني العام الذي التزمه نجاتي
في جل اقصيصه ، وما اسلوب الحلم والاستناد الى عالم الاسطورة الا تنوع ضمن
اطار الشكل الاصولي المشار اليه . ولعل الاتيان بأشكال قصصية جديدة تتجاوز
هذا الشكل لم يكن توجهها ملحوظا بكثرة في القصة العربية في فلسطين وربما في أغلب
الاقطار العربية في الاربعينات والخمسينات . ولهذا فنحن لا نتوقع من نجاتي
أنماطا من التجديد والتجريب على صعيد شكل القصة ، بل تجدر الاشارة هنا الى
ان النظر في قصص نجاتي يجب ان يبقى ضمن اطار القصة القصيرة الاصولية فـي
تحقيقها للعناصر السالفة الذكر . اما الى اي مدى استطاعت قصص نجاتي أن
تحقق شروط الكتابة القصصية . . . ؟ والى اي مدى استطاع نجاتي ان يقيم بناء
قصصيا متماسكا تتضافر أجزاؤه . وعناصره في جسد فني حي وتتعاون جميعا في سبيل
انجاز أثر فني متميز ؟ والى أي مدى نجح في توظيف عناصره وشخصه ولننته في
بنية فنية قصصية ذات شخصية مستقلة ؟ وما هي الخصائص والمميزات العامة للكتابة
القصصية عند نجاتي ؟ فهذا ما ستحاول الصفحات القادمة ان تجيب عليه من خلال
الدراسة الفنية التحليلية لنماذج متفاوتة من قصص نجاتي .

الناظر في قصص نجاتي يلاحظ انها تتفاوت قوة وضعفا في توظيفها عناصر

القصة الاصولية في بناء قصصي متماسك ، يقول واقعه ويخدم فنية القصة بشكلها الكلي الذي لا انفصام بين أجزائه ومكوناته في الشكل والمضمون ، انما تتضافر جميعا من حيث الحدث (١) بدايته ووسطه ونهايته أو الحدث في سيرورته ونمائه ، والنسيج بما فيه من سرد ووصف وحوار ، لتؤدي جميعا عملا فنيا متوحدا متكاملا ، لا حشو فيه ولا لغو ولا تزيد ، له شخصيته المستقلة وذاتيته المتميزة التي تؤدي في نهاية الامر معنى كليا يحقق تأثيره الفني المقصود في نفس المتلقي وذنه . (٢)

في كثير من قصصه نجح نجاتي في فنه القصصي نجاحا متميزا ، فقد استطاع توظيف عناصره ومكوناته في بناء فني متماسك ، تقوم بين أجزائه علاقة عضوية حيية تخدم المعنى الكلي الذي ترمي القصة الى تحقيقه .

ولكن في عدد آخر من قصصه — وهو على كل حال — أقل من عدد قصصه الناجحة المتميزة ، كان نصيب قصص نجاتي من النجاح الفني اقل ، فجاءت بنيتها مفككة مهلهلة ، فاقدة للعلاقة العضوية التي تربط عناصرها ومكوناتها ، فبدت مقدماتها مسلوخة منفصلة عن جسم القصة ، ونهاياتها مفروضة مقحمة اقحاما ، أو مبتسرة لم يستطع القاص فيها اخفاء صنعه ، وجاءت شخصياتها في حالة جمود وتسطيح لم نستطع التعرف الى ملامحهم من خلال التطوير القصصي ونماء الحدث ، بل من خلال الوصف الخارجي المقرر . ويعد قصصه كان أقرب الى خطوط أولية

(١) نقصد بالحدث ما يقصده الدكتور رشاد رشدي ، وهو تصوير الشخصية وهي

تعمل عملا له معنى ، والحدث له بداية ووسط ونهاية وهو ركن هام في بناء القصة . انظر كتابه :

فن القصة القصيرة ، (بيروت : دار العودة ، ط ٢ ،

١٩٧٥) ص ٣٩ ، ص ٥٠ .

(٢) استندنا في هذه التوجيهات المتعلقة ببناء القصة من كتاب الدكتور رشاد رشدي

السابق ، انظر ص ٦٧ ، ص ١٠٠ ، وصفحات متفرقة اخرى .

أو مادة خام يمكن الافادة منها لتطوير قصة قصيرة فنية •

ولا ثبات هذه الفرضية التي ذهبنا اليها ، سنأخذ نماذج من هذين المستويين (المستوى المتفوق والمستوى الهابط) في قصص نجاتي ، وندرس مكوناتها الاساسية وقدرة القاص على الامساك بخيوطه في حبكة قصصية متكاملة — دراسة تحليلية تحاول تفسير أسباب نجاح القصة في قول واقعها أو تفسيرها عن ذلك ، مع التأكيد قبل كل شيء على ان القصة القصيرة كلّ فني واحد لا يمكن تجزئته الى عناصر ومكونات مستقلة ، فكل عنصر منها ما هو الا جزء من النص — الآخر يتداخل معه تداخلا عضويا ، ولا يمكن الفصل بين الحدث والشخصية فهما شيء واحد ، فالحدث — كما سبقت الاشارة — ما هو الا الشخصية وهي تحمل عملا له معنى • وبغير هذه الوحدة العضوية بين جميع مكونات القصة تصبح أشبه بخبر يزودنا بالمعلومات فقط ، ولكن القصة الفنية هي تلك " التي تؤدي فيها كل مرحلة الى المرحلة التي تليها بالضرورة والحتمية ، فتثير الرغبة في نفس القارئ ثم تشبعها وبهذا يتحقق للقصة شكلها وهو ما يميز العمل الفني عن غيره — — — الاعمال " (١) أما اطلاقنا بعض التسميات على عناصر القصة ومكوناتها فانه فقط على سبيل الفرض الدراسي ولا يعني ان هذه العناصر هي وحدات قائمة بذاتها •

نماذج متفوقة :

— في قصص مثل " فتى من الديوانية " و " أيام من العمر " و " ممرضة من فلسطين " و " مصرف مدام برجوهي " و " كاتب المرائض " وكثير غيرها ،

(١) المرجع السابق نفسه : ص ٨٣ •

تبدو البنية الفنية فيها بنية تقليدية يخلب عليها السرد ، بل ان أغلبها لا يبدأ الا بعد مقدمة تمهد للدخول في الحدث أو تتمحور لتصبح جزءا من الحدث نفسه الذي يتطور وينمو حتى يصل الى أوج تصميده وهو ما يسمى بالعقدة ، فتأتي الخاتمة أو لحظة التتويج لتضوء القصة مكسبة الحدث معناه الذي يرمي الكاتب الى الابانة عنه .

ولو أخذنا — على سبيل المثال — قصة "مرضة من فلسطين" ، لوجدنا انها لا تبدأ الا بعد مقدمة ، وهي مقدمة طويلة نسبيا قد تبدو للوهلة الاولى كأنها خارجة عن بناء القصة ومعناها العام ، ومن هذه المقدمة :

" للسيدة غ . . اياد بيضاء في تشقة جيل جديد من أبناء اللاجئين الفلسطينيين . . وهي سيدة وقور ، تبدو على قسما وجهها امارات الجد وقوة الارادة ، مع مسحة من الحزن العميق والالم الدفين .
ولما كانت السيدة غ . . قد هذبت ولدنا وغرست فيه حب الفضيلة ، ووجهته في سبيل الرشاد ، رأينا ان الواجب يحتم علينا زيارتها في بيتها للعزيبها بمصرع زوجها العامل في الكويت ، ولتقدم لها التهاني بمناسبة حلول عيد الفصح المجيد ، والجمع بين الواجبين ليس هينا بالنسبة للتقاليد العربية . " (١)

حتى الآن لا تبدو هذه المقدمة كأن لها علاقة بحدث القصة الرئيسي ، وهو حوادث نكبة ١٩٤٨م من ضوء مشاركة فتاة هي الممرضة جوليا وما أبدت فيها من بطولة توجتها باستشهادها ، ولكن القاص يدخل الى قصته بهدوء ورفق ، فهو واثق من قدرته على توصيل ما يريد ثقة تمنحه هذا التأني لتجميع عناصره ، وأخذ

قافؤه برفق الى لب الرؤية الحياتية التي هوفي سبيل ابداعها فنيا ، فقد مهد في هذه المقدمة بطريقة ذكية تبدو كأنها عفوية غير مقصودة الى جو القصة ، وهياً المتلقي ذهنيا ونفسيا الى حالة معينة من التأثير فقد عرف المتلقي ان القصة ستدور بشكل عام حول القضية الفلسطينية ، وحياة اللاجئين ، وفي قوله واصفا السيدة غ ٠٠ :

" وهي سيّدة وقور تبدو على قسمات وجهها امارات الجد وقوة الارادة ، مع مسحة من الحزن العميق والألم الدفين " ما يمهد بشكل أكثر خصوصية ولكنه لا يزال عاما للجواز الذي سنأتي به القصة في تصاعدها . وكذلك فان في ذهاب رواية القصة لتقديم التمازى للسيدة غ ٠٠ بمصرع زوجها الحامل في الكويت (بحادث عمل كما توحى لفظة مصرع) اشارة ذكية الى موقع القاص ، وزاوية رؤيته البادية في اهتمامه بتصوير دقائق واقع الشتات الفلسطيني وتفصيله ، وابراز شخصية النكبة الفلسطينية في مجرياتها اليومية البسيطة ، ليس عبر التقرير الخارجي انما من خلال السرد الموحى الثرى بالاشارات الذكية المنسوجة بطريقة سلسلة عفوية .

وتستمر المقدمة مقترية برفق من العام الى الاكثر خصوصية ، فالقصة — كما سبق — تتحدث عن فتاة أبلت في حوادث ١٩٤٨ ، ولكن المتلقي لا يزال خارج هذا الموضوع ، فما آن الا وان بعد ، يتابع القاص في مقدمته مقترية بالقارىء الى جوهر الهم الفلسطيني في المنفى :

" وبعد أحاديث في مواضيع تناولت الزلازل السياسية والطبيعية التي تجتاح العالم العربي ، وارتفاع أسعار المواد الغذائية ، واحتمال ظهور النجم المذنب في هذه السنة الفلكية ، انتهينا الى الموضوع الذي لا بد لكل لاجئ فلسطيني ان يتطرق اليه ، ألا وهو : متى نعود ؟

كان اللاجئون يعزّون النفس بقولهم : سنعود بصد
سبعة أسابيع ، أو سبعة أشهر ، أو سبع سنين . . . ولما دخلوا
في السنة التاسعة كفوا عن استكمال هذا المخدر وباتوا يزنون
الامور بموازين أخرى أقرب الى العلم والمنطق . . .

وفجأة رأيت السيدة غ . . . تتطلع الى الجدار والدمع
ينساب على خدها . . . فسددت نظري الى الجدار ولم أجد
في الهدف سوى رسم لفتاة في زي الممرضات " (١)

وهكذا انتقل القاص بالمتلقي من عام الى خاص ، الى أكثر خصوصية ، حتى
وصل الى الحدث فجاءت قصة نضال الممرضة جوليا مربية بطريقة سردية ومتطورة تطورا
قديما مقبعا بحيث يؤدي كل جزء من الحدث الى الذي يليه بالضرورة والحتمية ،
فنحرف أن جوليا شاركت في ترميز الجرحى تطوعا في أوج المهادنة ، واستشهدت
في أثناء ذلك ، ونحرف أشياء أخرى عن غدر الأعداء ودور الانجليز المتواطئ ، ولكن
بطريقة ذكية أخفى القاص فيها شخصيته ، وترك القصة في تنامي أجزائها لتقول واقعها
وتؤدي معناها الكلي عبر الاثر الفني الذي استطاعت ان تحدثه في نفس القارئ
وذهله . . .

وقد يقول قائل ان سياق القصة قد انكسر وتحول تحولا سريعا من المقدمة
الى الحدث من خلال قول القاص :

" وفجأة رأيت السيدة غ . . . تتطلع الى الجدار والدمع ينساب على
خديها . . . الخ " ولكننا نقول ان هذا الانتقال لم يكن فجائيا كما توحي لفظة
" وفجأة " فان القاص الذي كان منهمكا في الحديث هو الذي رأى السيدة غ ،

وليست هي التي تطلعت فجأة ، فلا بد انها كانت تواصل النظر في الصورة لان وضعها النفسي آنذاك كان يؤهلها لذلك ، فان مصرع زوجها العامل في الكويت بعيدا عنها قد ذكرها باستشهاد شقيقتها المدفونة في حيفا بعيدا عن المنفى ، وكما هو معروف فان الاسى يبحث الاسى ، أما القاص فقد كان خالي الذهن من أمر جوليا ، وهنا تجرأ أهمية وصف السيدة غ . . في بداية القصة بأن قسمت وجهها بيدو عليها الالم الدفين والحزن العميق .

ولكن هل الحديث عن فتاة مناضلة واستشهادها هو الذي يرمي القاص الى تحقيقه وتصويره فقط في هذه القصة ؟ ان التحديق في مكونات القصة ولختها يؤدي الى الاجابة بالنفي ، فالقاص لم يهدف الى ذلك فقط بقدر ما هدف الى تصوير الواقع الفلسطيني من ناحية محايدة الفلسطينيين اليومية لقضيتهم ، واصرارهم على العودة ، وما قصة جوليا الا أداة استفاد منها القاص في هذا السبيل ، ولكنه لا يقول ذلك مباشرة ، انه فقط يصور من موقع ذكي وقد استطاع ان يخفي تحالفه المباشر مبتعدا عن الزعيق والخطاب ، فجاءت النهاية التي استطاع القاص فيها ان يجمع كل خيوط النسيج القصصي ، كما يلي :

" ووريت جوليا التراب دون أن توضع على قبرها أية
اشارة أو لوحة . . غير ان الام والسيدة غ . . تحتفظان بنص
ستضعانه في يوم من الايام على قبر جوليا وهذا النص يقول :
هنا تترقد الممرضة العذراء جوليا زكا ، سقطت شهيدة
الواجب في يوم سقوط حيفا في الرابع والعشرين من شهر نيسان
١٩٤٨ ، ترحموا على روحها . " (١)

بهذه القفلة الناجحة ، ختم نجاتي هذه القصة المتفوقة فنيا ، المشرقة
بما تضيف من قيم حياتية ايجابية . ويزداد احساس القارئ بأهمية هذه القفلة
بالذات في قصة كان لها هذا الموضوع ، من خلال سير القصة من أول كلمة فيها حتى
آخر كلمة ، ويتأكد أن المقدمة الطويلة عن الفلسطيني في المنفى وشتاته لم تكن عبثا ،
لكل كلمة في هذه القصة كانت في موقعها الصحيح ولا يمكن الاستغناء عنها ، حتى
لفظة سبعة ، في عبارة " سنعود بعد سبعة أيام أو سبعة شهور أو سبع سنين "
كانت مقصودة تماما بما توحى به من جانب غيبي في تفكير الشعب العربي بما تتضمن
هذه اللفظة من أبعاد مقدسة - . أما سرد حكاية عن فتاة استشهدت فسي
مشارك ١٩٤٨ فانه يظل موضوعا عاما ، والقاص بالضرورة لم يقصد الى اجترار بطولة
اجترحت قبل عشر سنين ، ومع سمو هذه الحادثة فانها لم تغير من الواقع شيئا ،
فقد وقعت النكبة وضاعت فلسطين بالرغم من البطولات الكثيرة ، ولكنه كان - كما
تشي كل كلمة في لحمه القصة - معنيا أشد الاعتناء بتصوير الهم الفلسطيني فسي
صيرورته وتحولاته لا في توقفه عند حادث معين مثل تلك البطولة ، فالنكبة لم
تزل شخصيتها فاعلة تفرز كل يوم تحولا جديدا يبرز في أدق تفاصيل الحياة ، ولو
أنه أراد نقل تلك الحادثة فقط لزلها عن معظم أجزاء القصة فما جاءت المقدمة
بهذا الطول ، ولكانت بطولة جوليا محض خبر لا يتميز كثيرا عن غيره من أخبار الفداء ،
والذي جعل كل عناصر هذه القصة يضيء بالمعنى الذي رمى اليه الكاتب وهو
تصوير جوانب شخصية النكبة وأثرها في حياة الفلسطينيين ، هو هذه القفلة التي
اكتسبت في هذه القصة أهمية خاصة بانتهاء جميع الخيوط والعناصر اليها ، مما
أكسب أيضا الحدث معناه المقصود المتميز . واذا كانت لحظة التنوير - كما
يقول الدكتور رشاد رشدي هي التي تبرز معنى كل ما سبقها من القصة ، (١) فان
هذه النهاية قد استطاعت بحق ان تنضي القصة ، وتشرق بجميع مكوناتها التي
تضافرت في شكلها ومضمونها في عمل فني قصصي متفوق يضع كاتبه في مقدمة كتاب

(١) فن القصة القصيرة ، مرجع سابق ، ص ٩٥ .

القصة القصيرة الحرب في زمانه •

ولبست قصة " ممرضة من فلسطين " هذه هي أعلى قصص نجاتي شأنًا من ناحية البناء الفني المتميز أو من ناحية قيمها الحياتية المشرقة ، فان قصصا أخرى مثل " أيام من العمر " و " فتى من الديوانية " و " كاتب العرائض " و " ليلة في القبر " و " شمعون بوزاجلو " و " مسرف مدام برجوهي " وغيرها ، لا تقل عنها بحال من الاحوال ، وما اختيارها الا على سبيل التمثيل فقط .

وعلى سبيل المثال ، نأخذ أيضا قصة أخرى متميزة لنجاتي ، وهي قصة " أيام من العمر " المكتوبة في القدس عام ١١٤٧ هـ ، وهي أيضا مكتوبة بأسلوب يراوح بين السرد والحوار كأغلب قصص نجاتي ، ولكنها تختلف عن قصة " ممرضة من فلسطين " بعدم وجود رواية واضح يسرد القصة ، كما ان مقدمتها جاءت جزءا مباشرا من الحدث ، وهي تبدأ على النحو التالي :

" جلس السيد ماجد كاتب العرائض وهو يتطلع بمنزلة
وبسرة مفتشا عن شخص يكتب له عريضة ضد مستأجر لم يدفع أجرة
مسكنه ، أو ضد شخص تأخر عن دفع قيمة سند مستحق ، أو ضد
امراة تشاجرت مع جارتها وتهجمت عليها بأقبح الالفاظ أو ضد
مزارع حرم مزارعا آخر الاستفادة من بثر عام ، فنشب بينهما خلاف
كاد يؤدي الى فتنة في القرية •

وبينما هو كذلك ، اذ بسيدة أجنبية تقف أمام لوحة علقها
الى جانبه وقد كتب عليها : نكتب وترجم باللغات العربية
والانكليزية والفرنسية والتركية والالمانية • • وأسعارنا متهاودة • " (١)

فبهذه المقدمة استطاع القاص ان ينتقل بالمتلقي الى الحدث انتقالا ليينا لا تكلف فيه ولا اصطناع ، بل استطاع أيضا ان يرسم بشكل موفق شخصية ماجد من خلال ما يدور من ذهنه مما يتعلق بطبيعة عمله . أما اللوحة المحلفة أمامه ، فان احتشادها بكل هذه اللغات لم يكن عبثا جاءت به الصدفة المحضة ، انما هي اشارة ذكية من الكاتب الى طبيعة الحياة في فلسطين قبل النكبة ، ولا سيما فسي مدينة القدس التي كانت تمج بمختلف الجنسيات نظرا لمكانتها الدينية التاريخية الخاصة . ولهذا فان هذه المقدمة ليست عضوا غريبا عن جسم القصة انما هي جزء من لحمها ، أوصلت القارئ الى الحدث الذي أخذ يتطور تطورا حيويًا مقبعا حتى وصل الى نهاية لا بد ان ينتهي اليها ، دون اشتراك أو تدخل من القاص الذي بدا كأن لا علاقة له بما يجري ، في حين أنه كان مهتما أشد الاهتمام بتصوير مخاطر الهجرة الاجنبية الى فلسطين والتحذير من الدور الأوروبي المتواطئ ، فاستطاع من خلال رسمه لشخصية ريتا اللعوب وماجد البسيط المتعطر لحلاقة مع أنثى ، ان يطور حدثه وينميه من الداخل ، مثيرا القصة باشارات مناسبة أوردتها بحيث تبدو عفوية غير مقصودة ، مما جعل الحدث يتصاعد تصاعدا واقعيا مقبعا ، فما وصل اليه ماجد من خسارة لمخزاته ومقومات شخصيته التي استلبتها ريتا ، كان بالضرورة سيؤدي الى أن يخرج من بيته ذليلا مدحورا ، بعد أن خسر كل شيء . وماجد الذي زحف على أربع صائحا ماء ماء كي يرفه عن ريتا وضيوفها الأوروبيين الذين يعيشون على عرقه وشقائه ، سيشمر بعد فوات الاوان بفارق الوعي بين عبارة ريتا " يا ماجد .. انك لحماري الصغير " وبين عبارة وولف " يا ماجد انك لحمار كبير " التي قالها بعد طرده من البيت ، وهذه العبارة الاخيرة التي لم يختلف فيها شيء سوى ان ماجدا بدأ حمارا صغيرا وبحكم الزمن نما وكبر وصار حمارا كبير — أزال قشرة البراءة التي صيغت شخصية ريتا ، وكشفت عن وجهها المستعمر الحقيقي .

لقد وظف القاص عناصره ولغته ورموزه وتوظيفا أدى المعنى المقصود ، واستطاع

أن يدور الشخص دون أن يطل برأسه من بين السطور متطورا بالحدث الى ما يريد محذرا من الدور الغريب ، قارعا نواقيس الخطر بمطرقة من السخرية اللاذعة •

نماذج أقل نضجا :

مع اننا وجدنا لنجاتي قصصا على مستوى رفيع من الاتقان والنضج الفنيين — كما مرت الاشارة — الا اننا في الوقت نفسه ، نجد له قصصا انحدر فيها الفن وكاد يسقط ، فقد تسرب اليها الضعف من زوايا عدة ، أهمها :

— طغيان الفكرة الذهنية على الفن القصصي مما أدى الى الانفصام بين المضمون والشكل •

— عدم الاعتناء بربط عناصر القصة ومكوناتها ربطا عضويا يوحي بأن الحدث والشخصية شيء واحد ، وأن القصة في جميع مكوناتها كالحدث والحقدة والخاتمة ، أو النسيج بما يحتوي من سرد ووصف وحوار ورمز تشكل في نهاية الامر عملا موحدا مستقلا بذاته ، فجاءت العناصر والاجزاء مفككة مهلهلة ، فالمقدمات منفصلة مصطنعة ، والاحداث معكومة بصنعة خارجية واضحة ، ولم تتطور التطور الداخلي المقنع النابع من سمات شخصها ، والنهايات مفروضة مبتسرة مقحمة اقحاما •

— تسرب الخلل أحيانا الى بعض قصص نجاتي من كون القاص لم يتأن في انجاز العمل الفني واعطاء التجربة القصصية ما يلزمها من النضج والاختصار فأثمرت هذه العجلة قصصا فجة مبتسرة الولادة ، أشبه بخطوط أولية لا تبرق الى مستوى القصة الفنية •

ففي قصر مثل " من يوميات منسية " و " أصدقاء المصلحة " و " جلد الحمار " طغت الفكرة على الفن ولم ينجح القاص في لباس فكرته من الداخل شكلها الفني الملائم ، فسقطت الصنعة الفنية فيها منحدره بالقصة في شكلها ومضمونها . وبدت قيمها الحياتية باهتة مضربة ، وبدا ثوبها الفني خلقا مهلهلا قصر عن أداء دوره في أحداث الاثر الفني المنشود .

وفي قصة مثل " من وحي الحديد " و " حياة بلاسي " جاء الشكل أشبه بخطوط أولية ومواد غير محدودة الملامح يمكن الافادة منها في كتابة قصة قصيرة ، ولكنها بالشكل الذي جاءت عليه لا ترقى الى مستوى القصة القصيرة ، بقدر ما هي خبر أو مجموعة أخبار رصشها القاص بطريقة تسجيلية ، ويلحق بهذه النماذج قصة " العنبر رقم ٥ " التي اعتمد فيها القاص على التجميع والحشد لا على التكثيف وتفجير الرؤية الحياتية الفنية .

قصة " جلد الحمار " مثلاً ، انموذج ساطع على سيطرة الذهنية سيطرة أودت بالفن وأفقده خصائصه ، فعندما تصد القاص الى تصوير عالم الفساد الاداري ، والرياء المسيطر على العلاقات الاجتماعية ، صدر عن فكرة منجزة سلفاً في ذهنه مفادها ان المرء لن ينجح في مجتمع ينخره الفساد والنفاق ، الا اذا طأطأ وتخلّى عن مثله وأخلاقه ، واختار لتصوير هذا الواقع الفاسد شخصية نظيفة تملي أمر المثل وتقيم اعتباراً للأخلاق ، وهذا الانموذج وجدّه في شخص صديقه الاستاذ مخلص الذي ينم اسمه عن فلسفته في الحياة ، ولكن مخلصاً هذا يلقي الامرين بسبب نظافته واستقامته فيطرد من عمله أربع مرات . فيشكو حاله الى القاص الذي طلب منه أن يزوره " غدا " في منزله ، وعندما جاء أعطاه جلد حمار ، وأوصاه أن يرتديه دائماً ، والنجاح مضمون .

أما كيف يلبس القاص فكرته هذه شكلها الفني ، فانه يأتي من بمحيد

مراوغا ، فيشرع في مقدمة عن الطقس وجمال الطبيعة لا علاقة لها بتاتا بمضمون
القصة ومغزاها ، ومنها :

"مطلت الأمطار غزيرة في يوم من أيام الخريف • واجتاحت
المدينة موجة من البرد والرطوبة ، ثم سطعت الشمس وأرسلت
أشعتها لتبخّر المياه الفائضة ، فتطرد الرطوبة ، وتبعث الدفء
في النفوس •

وفي صباح أحد هذه الايام التي كانت الشمس فيها مرغوبة
هرعت الى حديقة المدينة مصطحبا كتابا لتكون الفائدة مزدوجة ،
وأخذت مقعدا أثابيل فيه الشمس وجها لوجه ، وأمتع النظر
بصقار البط وهي تعوم في الحوض الواسع ، والطيور تحوم هنا
وهناك ، وتلتقط الحب ورذاذ المياه الصاعدة من النافورة
المریعة •" (١)

كل هذه المقدمة التي لم تنته بعد جاءت من أجل أن يلتقي القاص
صدفة بصديقه الأستاذ مخلص الذي قصد أيضا هذه الحديقة بهدف النزهة •
وهي — كما يلاحظ — مقدمة مفتعلة ، بعيدة كل البعد عن مغزى القصة وجوها
النفسي ، فلماذا كل هذا الحشو ، وكل هذا الوصف للشمس والبط والطيور الذي
هو أقرب الى لغة التلاميذ عند كتابة موضوع انشاء عن فصل الربيع ، فاذا كان القاص
يرمي الى تصوير الفساد والرياء وتفشي البيروقراطية متخذاً من تجربة الاستاذ
مخلص أداة لذلك ، فانه كان يمكنه الالتقاء به في أي مكان آخر بسرعة ، اذ ان
جو الطبيعة برومانسيته وبرائتها لا يمهد نفسيا لتصوير عالم الرياء والفساد بقدر
ما يشكل نقیضا له • فمثل هذه المقدمة لا يخدم القصة في بنائها ومضمونها بقدر

(١) الشيوعي المليونير : ص ١٣٨ •

يشكل عليها عبئا ثقيلا يرهقها •

أما الحدث فانه بالضرورة سيأتي منبثّا عن هذه المقدمة ، فالحدث في القصة الجيدة ليس جزءا منفصلا عن المقدمة اذ ان المقدمة هي جزء من الحدث نفسه ، ومع أن القاص حاول تصوير ما جرى للاستاذ مخلص متطورا بالحدث أو محاولا ذلك عبر الحوار ، الا ان الحدث ظل عاجزا عن التنامي وظلت الذهنية طاغية عليه ، فبدأ القاص كأنه يمثل شخصيتين قصد سلفا الى ابطال مفعول احداها وهي المتمثلة في مخلص ، ويتضح ذلك من ابتساره للحدث من خلال قطع الحوار والطلب الى مخلص أن يزوره في بيته ، وعندما يأتي يحطيه جلد حمار ، فيستغرب هذا متسائلا عما سيفعل بجلد حمار ، فينصحه القاص بلهجة فوقية ان يرتديه دائما ، أما نهاية القصة ، فقد جاءت على النحو التالي :

" وتنقضي سنة من الزمن ، فبينما كنت أسير في الشارع الرئيسي رأيت صديقي الذي كان يشكو من سوء الطالع ، رأيته يترجل من سيارة فخمة ، ويسير متبخترا ، وفصوص الحجارة الكريمة ترسل من خواتمه اشعاعا يعمي الابصار • " (١)

وهكذا أعلمنا القاص أن جلد الحمار كان له مفعول سحري لا من خلال التطورات والتحويلات التي طرأت على شخصية الاستاذ مخلص ، انما بطريق التقرير الخارجي ، وما هذه النهاية الا لان القاص أرادها منذ بداية القصة لانها أساسا كانت مسيطرة على ذهنه ، فاضطر الى فرضها خارجيا عندما عجزت القصة عن التطور تطورا داخليا مقنعا ، ولجأ الى الصدفة مرتين — الاولى عندما رأى مخلصا في الحديقة ، والثانية عندما رآه يترجل من سيارته — كي يخطط أجزاء هذه القصة المهلهلة •

(١) المصدر نفسه : ص ١٤٣ •

ان الرمز بجلد حمار للطأطأة أمام الفساد قد لا يكون رمزا سيئا في حد ذاته ، ولكن توظيفه بهذا الشكل في هذه القصة التي سارت ذلك السير الاعرج المتلكني* ، زادها ضعفا على ضعف* . أما لماذا كان القاص يحتفظ في منزله بجلد حمار ، وأغلب الظن أنه جلد حمار حقيقي لانه اقتضى مجيء* مخلص الى بيت القاص كي يأخذه — وكيف حدث لمخلص حتى وثب هذه الوثبة السريعة ، فهذا ما عجزت القصة عن الابانة عنه ، مما يدعم الرأي القائل بوحدة الشكل والمضمون فقيمة حياتية باهتة مضببة سالبة مثل التي احتوتها هذه القصة اقتضت أن يكون الشكل هو الآخر ضعيفا مسقفا* .

وما قيل عن هذه القصة يجوز اجراؤه على قصة "أصدقاء المصلحة" و "من يوميات منسية" ففي كل منهما كانت الذهنية طاغية مسيطرة آخرت الفن وقدّمت الفكرة عليه ، ولم يستطع المضمون أن يتلبس البنية الفنية من الداخل ليصبحا معا شيئا واحدا ، يقول واقعه ويؤدى مفزاه بالطريقة التي تميز القصة الفسيحة القصيرة عن غيرها من الفنون* .

فقصة "أصدقاء المصلحة" تنعى على البشرية نقاءها وصدقها ، وتبشر ببطلان اقامة علاقة انسانية لا تحكمها المصلحة وحب الذات* . ومن أجل تحقيق هذه الفكرة يحاول القاص الباسها ثوبا قصصيا فيشرع بمقدمة طويلة تصف اجتماع أصدقاء حول النار في ليلة باردة ، وكان السيد حاتم ، الذي يطنب القاص في وصفه من الخارج والحديث عن تجاربه ، يتصدر الجلسة ، وكل ذلك من أجل الوصول الى موضوعه ، فيجعل أحد الجالسين يقترح أن يقمر عليهم السيد حاتم حكاية ، وبعد مداولات يرسو الاقتراح على موضوع الصداقة ، فيشرع السيد حاتم في رواية نبذة من تجاربه عندما كان رئيسا لتحرير إحدى الصحف الادبية ، وكيف كان الادباء الناشئون يتملقونه باظهار الحب والاحترام حتى حسب ودهم حقيقة ، وبعد ان يستقيل من عمله يمن في باله أن يزور بعض أصدقائه القدامى ، وكم

تكون مدمته عندما يجدهم فاترين في ودهم • ومباشرة يصل الى النتيجة التالية :

" لقد تبخر كل شيء : فليس هناك من أخوة حب أو أعجاب
أو صداقة أو رسالة أدبية ، انما هناك غريزة المصلحة ، مصلحة
القرش والرغيف ..

يقولون ان الانسان هو أسمى المخلوقات ، هذا صحيح اذا
ما نظرنا للانسان من حيث تكوينه الجسماني ولكن هذا الكلام
لا ينطبق على الانسان بحذافيره من حيث سلوكه وروحه . " (١)

هذه النتيجة سيئة الظن بالانسان تصل اليها القصة دون مهربات موضوعية
فنية كافية ، ونحن لا نطلب موازنة العمل الفني بما يقابله من الموضوعات في الواقع ،
انما نريد ان توصلنا القصة الى رؤيتها بطريقة مقبولة ، فليس كافيا ان يكون أصدقاء
السيد حاتم فاترين في ودهم بعد سنوات طويلة حتى تقرر القصة هذه النتيجة
المطلقة ، فالحوادث التي ساقها السيد حاتم لا تنجح في ما هيتهما بما ذهبت اليه
القصة ، ولعل القاص أدرك هذا الضعف فأراد ان يستدركه بحكاية ثانية ساقها
أيضا على لسان السيد حاتم تنحى الصداقة والاصداق ، وهي حكاية ساذجة من
النوع الذي يصلح للصغار ، وتبدأ على طريقة كليله ودمية : " زعموا أن أربنا ..
الخ " وهذه الحكاية أيضا عن الارنب الذي كان له كثير من الاصدقاء الذين
تخلوا عنه عندما وقع في شرك ، فخلصه منه بنو جنسه من الارانب قائلين ان صديقا
واحدا نبيلًا يكفي - لم تنجح في تبرير النتيجة المطلقة التي قررتها القصة سلفا ،
فظلت القصة تعرج هابطة في شكلها ومضمونها ، أما نهايتها فكانت على

على النحو التالي :

"ولما أنهى السيد حاتم قصته هذه كانت النار قد استحالَت إلى رماد ، وكان الحضور ينصتون إليه بانتباه زائد وهم يشعرون بحرارة تدب في أوصالهم أشد أثرا من حرارة النار . " (١)

فالأحداث التي ساقتها القصة ليست مقنعة لا من حيث تطورها فحسب ، إنما من حيث مستواها العقلي المنخفض ، فهي لا تكفي لجعل المتلقي يحس بحرارة أبلغ من حرارة النار إلا إذا كان قد قضى عمره بين الملائكة وليس على الأرض ، ثم ليس للقاص أن يقرر ذلك من الخارج ، إنما ذلك متروك للقصة كي تحدث مثل هذا الأثر الذي أخفقت في إيجازه على المستويين النفسي والذهني .

وقصة " من يوميات منسية " (٢) أخفقت فنياً كذلك في تصوير عالم المدعين للأدب والثقافة ، وظلت الفكرة الذهنية طاغية على العمل ، فبدأ الشكل منفصلاً عن الفكرة الجاهزة سلفاً في ذهن القاص ، ومن أجل ذلك طعمها القاص بحكاية أخرى تبدأ بلفظة " زعموا " . . . " إلا أن ذلك زاد في ضعفها وخلخلتها ، وبقيت القصة قاصرة عن توصيل رؤيتها بالرغم من البناء الجديد نسبياً الذي لجأ إليه القاص ، وهو أسلوب اليوميات ، لأن الحدث كان مفتعلاً لا يقنع ، فأين هو هذا الادييب الذي يترك بيته ويأخذ معه كل شيء ولكنه ينسى سجل مذكراته ؟ . . . مما يؤكد أن الأسلوب مهما اختلف في شكله الخارجي لن يمكنه إنجاح العمل القصصي دون نضوج التجربة واكتمالها في وعي القاص ، وقدرة القاص نفسه على تمثيل رؤيته

(١) المصدر السابق نفسه : ص ١٣٨ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١١٦ - ١٢٠ .

القصصية والامساك بأدواتها امساكا ماهرا حذقا يخفي صنعته .

وهناك نوع آخر من ضعف التركيب في قصص نجاتي ، يتمثل في قصته "النهر رقم ٥" (١) بصورة خاصة ، فالأحداث التي حشرت في ثوب هذه القصة أكبر بكثير من أن تستوعبه قصة قصيرة واحدة . فقد عرف المتلقي كل شيء تقريبا عن بطل القصة "أديب أبي السماح" منذ طفولته حتى خروجه من فلسطين ، بما في ذلك شخصية والده وأملاكه ، وطفولة أديب ودراسته وتخرجه والحفيل الذي أقيم بهذه المناسبة ، ثم تجارته ومغامراته وتشرده وضياع أرضه ونضاله في الدفاع عن يافا ، وأخيرا عرفنا أنه غادر يافا ليقوم في مخيم القنطرة ، شارع المجدل ، عنبر رقم ٥ — ، ومع أن القاص حاول أن ينوع في أساليب هذه القصة فاستعمل السرد والحوار واسلوب الحكاية والرسالة والوصف ، ولكن هذه الأساليب لم تزد على أن أرهقت بنية القصة ، وكما هو واضح فإن نجاتي هنا لم يكتب قصة قصيرة تسلط الضوء على جانب من حياة إنسان ، إنما اختصر رواية طويلة في صفحات قليلة ، وذلك لأن القصة تعتمد في تحقيق المعنى على التركيز وتفجير الرؤية الحياتية المكثفة ، بينما الرواية تعتمد على التجميع ، يقول الدكتور رشاد رشدي :

"والرواية تصور النهر من المنبع الى المصب ، أما القصة القصيرة فتصور دوامة واحدة على سطح النهر . . . وتكتفي بقطاع من الحياة ، بلمحة منها ، بموقف محين أو لحظة معينة تعني شيئا معيناً ولذلك فهي تسلط عليها الضوء بحيث تنتهي نهاية تنم لنا معنى هذه اللحظة ."(٢)

(١) الشيوخي المليونير : ص ٨٢ — ١٦ .

(٢) فن القصة القصيرة : ص ١٦ .

أما في قصة مثل " حياة بلايسي " فهناك — كما يقول الدكتور هاشم ياغي — ميل جارف من القاص نحو أرضاء العالم الخارجي ، (١) فان رسم القاص لشخصية البطلة كان رسماً تسجيلياً خارجياً يعتمد على التجميع والحشد والاضافة ، أكثر من اعتماده على التطوير والنماء من الداخل . ولعل الدكتور ناصر الدين الاسد قصد هذه القصة وما شابها من القصص المشار إليها فيما مر من صفحات عندما قال : " ان بعض هذه الاقاصيص (في مجموعة الاخوات الحزيبات) لا يعدو ان يكون خطوطاً وصوراً لا تكاد تجتمع فيه عناصر القصة " (٢)

وقصة " من وحي الصيد " (٣) مع انها آخر قصة عثرنا عليها لنجاتي ، فانها تكاد تكون أضعف قصصه قاطبة ، اذ أنها تغلو من أي مغزى ولا تعدوان تكون مجموعة انطباعات عادية لشخص يرافق صيادا ويسأله بطريقة صحفية عن طرائف ما وقع له ، وينقل لنا ذلك نقلاً باهتاً نسمعه ولا يضيف لنا شيئاً ، كما أن هذه الانطباعات والخطوط المفككة لا تنمو ولا رابط بينها سور حديثها عن طرائف الصيد التي لم تستطع ان تترك اي اثر على الصيادين النفسي والذهني ، اذ بقيت مجموعة أخبار عادية خالية من المغزى ، ومفتقرة الى حبكة فنية ترفصها السى مستوى القصة .

(١) القصة القصيرة في فلسطين والاردن ، مرجع سابق : ص ٢٥٦ .

(٢) الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والاردن ، مرجع

سابق : ص ٩٧ .

(٣) مجلة (الاديب) السنة ٤١ ، عدد ٧ ، ١١٧٣ ، ص

لغة القصر والحوار:

— لغة القصر:

تبدو لغة القصر عند نجاتي في مجملها لغة واقعية سلسة ، تخلو في أغلب الأحيان من التعقير والتكلف ، وتخلو دائما من الرواكة والضعف ، ابتعد فيها القاص — بشكل عام — عن الانشاء والزخرفة ، وحاول تكريسها لخدمة البنية القصصية ، ومع انه استخدم اللغة الفصيحة لتصوير العالم القصصي الذي يريد ، ولرسم شخوصه ، الا ان ذلك لم يحجب الشخصية ويبعدها عن الواقع ، فالمثقف في قصصه يتكلم بلغة المثقفين ، وكاتب العرائش تدور في ذهنه مصطلحات نابضة من طبيعة عمله ، وكذلك المحامي ، والبنّاء .. وهكذا .

وتبدو اللغة في بعض قصص نجاتي ليست وسيلة لنقل الفكرة فحسب ، بل هي شكل الفكرة أيضا بحيث أننا لو نقلنا جزءا من قصته بلغة ثانية لفقدت جزءا من خصائصها واشراقها الفني ، ومثال ذلك اللغة في قصة " شمعون بوزاجلو " ومنها :

" .. ومن سكان هذا الحي شمعون بوزاجلو ، فهو رجل من جماعة الحاسيد المعروفين بتعصبهم الديني يقوم أحيانا بمهمة شوحيت يذبح الطيور والماشية ، ويقرر فيما اذا كانت اللحوم المذبوحة كاشير أو محللة ، أم هي تاريف أي محرمة ، وزيادة على ذلك فهو من أصحاب الاملاك ومراب معروف يفضل اقراض الجويم (غير اليهود) بفوائد متقلبة ، ويقبل رهونات مثل

الأساور والأقراط . . . " (١)

فاستعمال الكلمات العبرية في هذا الوصف زاد اللغة واقعية ما كانت لتتأتى لولاها ، اذ تعبر هذه المفردات عن معان خاصة لها جذورها وأبعادها في عادات اليهود وشخصياتهم ، مما أضفى على الشخصية دفقا من الحيوية النابضة بالحياة .

وقد تجلت هذه اللغة الواقعية في عدد من قصصه ولا سيما " أيام من العمر " و " أسرة في مهب الريح " وغيرها .

ومع ذلك فقد وقع نجاتي غير مرة في لغة التقرير ، فبدلاً من أن يترك للأحداث والحوار مهمة تحديد سمات الشخصية ، كان يلجأ الى فرض المعنى وتقديره من الخارج ، في حين يقتضي الفن القصصي تجسيم المعنى لا تقريره ، ومن ذلك قوله في وصف شخصية حاتم في قصة " أصدقاء المصلحة " :

" . . وهو رجل عركته الحياة وعركها ، وذاق حلوها ومرها ، واختبر ظاهرها وباطنها ، وسير غور أفضل الناس وأرذلهم ، وخالط العلماء والجهال ، وعاشر المثقفين والاميين ، واحتك بالادباء ومدعي الادب ، فاقتبس خبرة لا تقتبس بالمطالعة ، ولا تشتري بالاصفر الرنان . " (٢)

فمثل هذه اللغة التقريرية ، لم تساعد في تحديد سمات شخصية حاتم التي

(١) الاخوات الحزينات : ص ٦٢ .

(٢) الاخوات الحزينات : ص ١٣٤ .

ظلت عامة ، والصفات التي ساقها هنا يمكن انطباقها على كثيرين ، فهي عبارات جاهزة محفوظة ، ولذلك فان حاتم أو غيره يمكن ان يكون في هذه القصة دون أن يتغير من الامر شي . ما دنا لم نعرف شيئا من سمات الشخصية الداخلية المتميزة .

ومن هذا التقرير أيضا ما أتى به نجاتي في قصته الرائعة " العربي التائه " اذ يقول في وصف أبي حليم :

" ومن طبيعة عامل البناء الصبر والتأني ، فهو لا يضع حجرا على حجر الا بعد ان يتفحص ينظره ، ويدقق بميزانه ، ويقيس بشاقوله ، ويحكم عقله وذوقه ، فاذا ارتاح خاطره واطمأنت نفسه ، وضع الاسمنت بين الحجرين وطرقهما بالمطرقة ، معلنا قوة بنائه ورسوخ أركانه . " (١)

فهذه الفقرة التقريرية لم تزد في اغناء شخصية أبي حليم ، بل هي أشبه بمعتزض كاد يكسر تدفق هذه القصة المثقوقة . وعلى ذلك فهي حشو يمكن الاستغناء عنه دون أن يضر القصة بشي .

أما السخرية فقد كانت طابعا عاما صيغ لغة كثير من قصص نجاتي ، مثل " أسرة في مهب الريح " و " معركة صبيان " و " شمعون بوزاجلو " و " مصرف مدام برجوهي " وغيرها .

والسخرية جاءت غالبا على مستويين :

(١) الشيوعي المليونير : ص ٦٦ .

— مستوى لغوى جزئي تمثل في عبارات ساخرة ، كما في قوله واصفا عبث اطلاق الرصاص على سيارات البوتاس المارة من القدس في قصة " معركة صبيان " :

" وكانت هذه السيارات تتعرض في كل سفرة الى استقبال حار من العرب ، لكنه عديم الجدوى ، لان الرصاص كان يستكين على أذلاع المصفحات حامي الرأس ، منكسر الخاطر . " (١)

أو كما في قوله في قصة " الشهادة الابتدائية " :

" وقضت ليلة في دمشق في فندق المنظر الجميل تصرف فيها الى جميع انواع الحشرات مقابل خمسة قروش فقط " . (٢)

أو كما يتبدى ذلك في مجمل لفظة " شمعون بوزاجلو " و " أسيرة فسي مهيب الريح " وكثير غيرها .

— المستوى الثاني صيغ القصة بطابع عام من السخرية عن طريق الرسم الكاريكاتوري للشخصية ، وقد تجلى ذلك بصورة خاصة في " شمعون بوزاجلو " و " أسيرة في مهيب الريح " أيضا ، وفي شخصية حسين العكرماوى في قصة " كاتب العرائض " وغيرها ، ولعل قصة " أسيرة في مهيب الريح " ان تكون من أبرز قصص نجاتي التي صيغتها السخرية ، فقد تضافرت فيها اللغة مع التطوير القصصي في بث روح من السخرية اللطيفة ، وهذه القصة تصور ما وقع لأسرة مفككة عميدها " فضلو " المهنوز الشخصية الذى لا يثبت على حال ، فيعمل في التدريس ، ثم يفتح فندقا ، ثم يتطوع في الحرب ، وعندما تسقط قبلة قرية ولا تنفجر يظل يحملق فيها وتحلق فيه الى ان يعمد لسانه فيعفى من الخدمة ، فيرجع وينزوج بناته زيجات

(١) الاخوات الحزيبات : ص ٨٧ . (٢) المصدر نفسه : ص ١٣١ .

أخفت جميعا ، ومع ذلك لم ييأس وظل يحلم أحلاما عراضا ، وفي أحد أحلام
يقظته أكب بوجهه ميتا على صحن الشاورمة ، في أثناء تناول الفداء ، وغسطن
رأسه في صحن اللبن ، وبعد موته نعتت أسرته بالاستقرار جاعلة من صحن اللبن
شعارا لها يقول : " من يلسعه الحساء .. ينفخ على اللبن " (١) .

لغة الحوار :

تثير لغة الحوار في القصة جدلا بين النقاد ، فمنهم من يرى في اللغسة
في بنية القصة ما يضي عليها جوا من الواقعية والحيوية ، في حين يرى غيرهم أن
الواقعية لا تعني بالضرورة نقل الواقع وتصويره كما هو ، وان توظيف العامية في
الحوار يضي على القصة طابعا اقليميا ضيقا ، ويحد من انتشارها قوميا . (١)

ويرى الدكتور رشاد رشدي أنه من غير المحقول ان يجعل القاص شخصه
يتحدثون بمستوى لغوى واحد ، ومن الخطأ ان يفرض القاص على شخصه لغته التي
يحب أن يكتب بها ، وكلما كانت اللغة التي يصوغ بها قصته أقرب الى طبيعته
الحدث كلما كان ذلك أفضل . (٢)

وليست المسألة مسألة عامة أو فصيحة ، فان ما يهمننا في هذا المجال قدرة
اللغة على خلق جو من الحيوية والواقعية في القصة وشخصيتها ، وفي قصص نجاتي

(١) محمد مفيد الشوباشي : الفن ومذاهبه من الكلاسيكية الاغريقية الى الواقعية
الاشتراكية . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ،

١٩٧٠) ص ٢٠٢ .

(٢) فن القصة القصيرة — مرجع سابق : ص ١١ ، ص ١٣٠ .

نلاحظ مستويين من لغة الحوار بشكل عام :

- لغة الحوار الفصيحة •
- لغة الحوار العامية •

في أغلب قصصه استخدم نجاتي اللغة الفصيحة في حوارها ، ولكنها غالباً كانت لغة بسيطة لا تقعر فيها ولا خشونة ، ولكن في بعض قصصه مثل " الجثة الحية " و " الفراشة البيضاء " كانت اللغة محتشدة بالمصطلحات الفكرية والادبية ، ولعل ما يبررها في هاتين القصتين ورودها على ألسنة شخصيات مثقفة ، ولكن هذه اللغة كانت غريبة في قصة مثل " معركة صبيان " اذ يدور الحوار فيها بين أطفال لم يتجاوزوا المرحلة الابتدائية بلغة فصيحة متينة ، ومنها :

" •• فقال شكرو وهو في الثاني الابتدائي :

- انني أرتأى أن نفتح فرصة مرور هذه السيارات من هذه الناحية ، ونقفز عليها محدثين ضجة تلقي الملح في قلوب السائقين فيضطرب حبل توازنهم ويصدم بعضهم بعضاً •

فضحك زملاؤه من اقتراحه هذا قائلين :

- وما يحل بنا في هذا الصدام ونحن ممطون ظهور هذه السيارات ••" (١)

ومن الواضح ان هذه اللغة هي لغة القاص نفسه ، وليست لغة الصبيان • ولكن في بعض قصصه نجح نجاتي في استخدام لغة أكثر واقعية ، وهي ما تعرف باللغة الثالثة التي لا تنحدر الى العامية بل تبقى أشبه بالفصيحة المبسطة ، ومنها

الحوار في قصة " العربي التائه " بين المحامي وأبي حليم :

- " — يعني جدك من قرية فدار وأبوك مولود فيها وكذلك أنت ..
ثم رحل أبوك الى فلسطين في سن الرضاعة • مفهوم ؟
— مفهوم •
— اذن وضعنا حجر الزاوية •
— طيب .. والشهود والاثباتات ؟
— أعط خبزك للفران وان أحرق نصفه " (١)

وفي قصة واحدة فقط هي " المقامة القمرية " أدار نجاتي حوارا بين
عباس بن فرناس والفتى كمال ، بلغة مسجوعة • وجاء ذلك واقعيا مقبولا ، لان
جو القصة العام مستوحى من ألف ليلة وليلة ، ولذلك جاءت اللغة مستوحاة
من الجو نفسه ومنها :

- " — قال الفتى : ومن يكون مضيفي ، أمو من أهل القمر أصحاب
القرون المجاس ، أم مو من سكان الكرة الارضية من الناس ؟
— قال الشيخ : أنا يا بني أبو القاسم عباس بن فرناس •
— قال الفتى : من أين أنت أيها الشيخ وما هي منزلتك
بين العباد ؟
— قال الشيخ : أنا من أهل قرطبة بالاندلس ، وعالم فلكي
من القرن التاسع للميلاد • " (٢)

أما الحوار بالعامية فقد كان قليلا في قصص نجاتي ، ولكنه كان حوارا ناجحا

(١) الشيوعي المليونير : ص ٦٤ •

(٢) مجلة (الاديب) السنة ٣٠ ، عدد ٣ ، مارس (آذار) ١٩٧١ ، ص ١٢ •

وربما لا بد منه في اضاء تلك الحيوية على الشخص ، ساعد على ذلك اتقان
نجاتي للهجة الدارجة التي استخدمها ، ومن ذلك قدرته على ادارة الحوار
بلهجة صعيدية أصيلة في قصة " سي محمد الشامي " يقول محمد مخاطبا صديقه :

" — دهنه يا أمين .. يعني المشايخ والحمدة تجي لهم
الجرابين من مصر واحنا نبقى كده . "

أوغي قول ساعي البريد :

" — ايه دا كله يا أمين .. ابنك بقى سياسي كبير انشا الله
منها للحمدية . " (١)

كذلك فقد طعم نجاتي بعض قصصه مثل " فتى من الديوانية " و " سعدى
التميمية " بعبارات عامية من اللهجة العراقية ، وعندما أراد القاص لسعدى ان
ترفع عن نفسها بالثناء ، أنطقها بأغان عراقية باللهجة الدارجة . (٢)

وفي بعض القصص التي دخلتها شخصية غير عربية ، كان نجاتي بارعا في
التقاط لكنة " الخواجا " عندما يتكلم بعربية دارجة ركيكة ، ومن ذلك ما
قاله أحد موظفي الكنيسة معزيا السيدة غريغوري بوفساء

(١) الشيوعي المليونير : ص ٨٠ — ٨١ .

(٢) الاخوات الحزينات : ص ٥٥ ، ص ٥٧ .

زوجها :

" موش لازم يزعل .. مافيش جوزك في أنا " (١)

ومن أمثلة الحوار بالعامية المطعمة بلغة أجنبية هي التركية ، ما دار بين
سمشان البدوي اللبناني ، والضابط التركي في قصة " أقوى من الوشاية " :

- " صحفان
- أفندم .. خير الله
- أنت جاسوس روسي
- أمان أفندم والله جاسوس يون أناسكين تاجر أغنام
- ايه كيف معلم نبيل يكتب بيانات ؟
- أفندم نبيل خرسيز يعني بالعربي حوامي
- ...
- تقسم يمين على مصحف شريف ؟
- أقسم يمين على جميع الكتب المقدسة .. شفاعات أفندم
- .. رحمت احسان بك " (٢)

(١) قصة " الاب غريغوري " مجلة (الرسالة) السنة ١٤ ،

عدد ٦٦٢ ، مارس ١٩٤٦ ، ص ٢٨٧ .

(٢) الشيوعي المليونير : ص ١٦١ - ١٦٢ .

الخاتمة

سارت مباحث هذه الدراسة في ثلاثة فصول : تحدث الباحث في الفصل الاول عن مسيرة نجاتي صدقي الحياتية (١٩٥٥ - ١٩٧٩) عبر تقسيمها الى ثلاثة مراحل هي مرحلة الطفولة والنشأة ، ومرحلة الحمل السياسي ، ومرحلة الانتاج الادبي ، ومع أن هذه المراحل كانت متداخلة إلا أن الباحث اعتمد في هذا التقسيم على المحال الأكثر وضوحاً في طابعها العام في كل مرحلة منها .

أما الفصل الثاني فقد سقده الباحث للحديث عن نجاتي صدقي مفكراً ومترجماً وناقداً ، وحاول أن يحيط بهذه الجوانب الهامة في فيض نجاتي صدقي الادبي ، وأن يجلي دوره في تكوين الثقافة الادبية في فلسطين ، قبل النكبة بوجه خاص .

وأما الفصل الثالث ، فقد أفرده الباحث للحديث عن جهود نجاتي فسي مجال القصة القصيرة من خلال عرضه للقضايا الحياتية التي شغلت نجاتي في قصصه ، ثم من خلال البحث عن القيم الحياتية ، والقيم الفنية فيها . ويمكن في نهاية هذا البحث استخلاص النتائج التالية :

أولاً : أن نجاتي صدقي في تكوينه الشخصي والسياسي والثقافي لم يكن نتاجاً لبيئة جغرافية سياسية ثقافية بعينها ، وإنما تفاعلت بيئات متعددة متنوعة في الوطن الحربي وأوروبا في تكوين شخصيته ، واثراء ثقافته ، وتعميق تجاربه .

ثانياً : كان نجاتي صدقي ذا ثقافة موسوعية عالمية ، فهو متعدد مجالات الاهتمام في انتاجه الادبي الذي تنوع بين الدراسة الفكرية والسياسية والاقتصادية ،

والدراسة الادبية ، والقصة القصيرة ، والترجمة ، والمقالة التاريخية والفنية ، وغيرها ، ساعد في توسيع هذه الثقافة اتقانه لعدد من اللغات العالمية الحية التي أطل من خلالها على ثقافات عالمية هامة ، كما انه في الوقت ذاته ، كان قوياً الاتصال بالثقافة العربية قديمها وحديثها ، وهذا يظهر في عدد من آثاره ولا سيما مقالته عن ابن خلدون وفكره الاجتماعي ، ودراسته عن حالة العلم والعلماء ابان تدهور الدولة العباسية ، وسواها .

ثالثاً : تبرز أهمية نجاتي في المجالات السياسية في مشاركته الفاعلة فسي مسألة تحريض الحزب الشيوعي الفلسطيني في أواخر العشرينات من هذا القرن ، ولكنه اعتزل العمل السياسي سنة ١٩٣٩م ، وأغلب الظن أن نجاتي صدقي لم يكن على اتقار مع السياسة الستالينية وانعكاساتها على نهج المؤسسات اليسارية في فلسطين وبلاد الشام ، ومع ذلك فان اشتغاله بالسياسة كان له أكبر الاثر فسي توجهاته الفكرية عامة ، ولا سيما في انتهاج التفكير الواقعي المستند الى الشهم المادي ، وقد انعكس ذلك في مجمل دراساته الفكرية والاقتصادية والادبية .

رابعاً : ان الاهمية الكبرى التي تبوأها نجاتي في المجالات الادبية تكمن في ترسيخه لجذور مدرسة واقعية في الثقافة الادبية في فلسطين خاصة ، وفي البلاد العربية عامة ، في فترة مبكرة من هذا القرن تبدأ من منتصف الثلاثينات ، سواء في مجال التنظير الفكري والنقدي ، أو الانتاج الادبي في مجال القصة القصيرة ، والدراسة الادبية .

خامساً : تبدو أهمية ترجمات نجاتي صدقي عن الآداب العالمية المختلفة ،

في اطلالتها على الثقافة الادبية الحديثة في فلسطين في أثناء
تشكلها ، ويمكن القول ان نجاتي قد انشغل بالترجمة عن الزيادة في
الانشاء والتأليف ولا سيما في القصة القصيرة ، ومن هنا نزعهم —
بشيء من التحرج — ان ترجماته الادبية ترتفع في قيمتها الثقافية
الى مستوى آثاره الموضوعة •

سادسا : في مجال القصة القصيرة ، يجد نجاتي من أبرز أعلام هذا الفن فسي
فلسطين قبل النكبة ، بل لعله أبرزهم في ترسيخه للقيم الواقعية
في القصة القصيرة بما تضمنته قصصه من قيم حياتية متقدمة ، كرسها
لتصوير قضايا هامة في حياة الانسان العربي في فلسطين وفي بعض
البلدان العربية ، بل انه انطلق في قصصه الى تصوير سمي
الانسان في عمومياته نحو الخير ، ومحاولته الخلاص من واقع الراهن
الى واقع أكثر نبلا واشراقا •

سابعا : تفاوتت قصص نجاتي قوة وضخا في تحقيقها للشروط الفنية في الكتابة
القصصية ومع ذلك يمكن القول بشكل عام ان نجاتي يحد من أبرز
الذين رسّخوا أصول القصة القصيرة في فلسطين في النصف الاول
من هذا القرن بصورة خاصة •

ملاحق البحث

- فهارس (بيبليوغرافيا) لآثاره المنشورة في المجلات •
- كشف بعنوانين أعماله الاذاعية •
- نماذج من ترجمات دجاني صدقي •
- نماذج من قصصه غير المتضمنة في مجموعتيه •

فهارس (بيبليوغرافيا) تتضمن ما استطاعنا الحصول

عليه من آثار نجاتي صدقي المنشورة في المجلات :

أولا : القصص :

<u>القصصة</u>	<u>المجلة</u>	<u>العدد والتاريخ</u>	<u>الصفحة</u>
١- جلد الحمار	الاديب	١٩٥١/١	٧
٢- من يوميات منسية	"	١٩٥١/٢	١٤
٣- أصدقاء المصلحة	"	١٩٥١/٣	٢١
٤- سيكفولا	"	١٩٥١/٤	١٤
٥- سعدى	"	١٩٥١/٥	١٥
٦- السرتيكا	"	١٩٥١/٦	٧
٧- الراقصة مارغو	"	١٩٥١/٨	١٣
٨- اللص	"	١٩٥١/١٠	٣٤
٩- سيرة شاب فلسطيني	"	١٩٥١/١١	٣٦
١٠- أسطورة قوقاسية	"	١٩٥٢/١	٢٤
١١- شمعون بوزاجلو	"	١٩٥٢/٢	٢٧
١٢- كلوديت	"	١٩٥٢/٣	٤٣
١٣- فتى من الديوانية	"	١٩٥٢/٥	٥٠
١٤- أقوى من الوشاية	"	١٩٥٨/٣	٢٥
١٥- قصة أبو حليم	"	١٩٥٨/١٢	٢٤
١٦- المقامة القمرية	"	١٩٧١/٣	١٢
١٧- من وحي الصيد	"	١٩٧٣/٧	
١٨- الاب غريغورى	الرسالة	١٩٤٦/٦٢٢	٢٧٧
١٩- الحزّاب	"	١٩٤٦/٦٦٦	٣٩١
٢٠- كلوديت	"	١٩٤٦/٦٧٨	٧٢٣

٨١١	١٩٤٦/٦٨١	الرسالة	٢١ — العايش
١٢٩٠	١٩٤٦/٦١٨	"	٢٢ — كاتب العرائض
		"	٢٣ — أولغا رومانوف
١٥٦	١٩٤٨/٧٦١	"	٢٤ — سحدي التميمية
٤١٦	١٩٤٨/٧٧١	"	٢٥ — ألفام الدكتور ماغنس
٧٥٧	١٩٤٨/٧٨٣	"	٢٦ — السيدة غريغوري
١٣٢٧	١٩٥٠/٩٠٧	"	٢٧ — قصة التباس
٧	١٩٤٧/٤	الكتاب	٢٨ — أيام من العمر
١١٢٨	١٩٤٧/٧	"	٢٩ — الجنة الحية
٢٢٣	١١٤٨/١	"	٣٠ — الاخوات الخمس الحزينات
٠٥٨	١٩٥٣/٥	القلم الجديد	٣١ — المخترب
١٦	يناير / ١٩٦٨	قافلة الزيت	٣٢ — رسول الامير

ثانيا : الترجمات

الموضوع	المجلة	العدد والتاريخ	الصفحة
١ — غصن فلسطين (شعر)	الاديب	١١٥١/١٢	١١
٢ — الخراب (شعر)	"	١١٦١/٢	٣٢
٣ — موت الشاعر (شعر)	الكتاب	١١٤٨/٦	٤٠
٤ — النخلات الثلاث (شعر)	"	١٩٤٨/٦	٤١
٥ — الارملة الطول (قصة)	"	١١٥٢/١٠	١٢٢٨

ثالثاً : مقالات نقدية وأدبية وفنية •

<u>الموضوع</u>	<u>المجلة</u>	<u>العدد والتاريخ</u>	<u>الصفحة</u>
١ — الايقاع الموسيقي			
التاسع ليهوفن	الطلیحة	١١٣٧/٣، ٢	
٢ — المدرسة المادية			
الحربية	الامالي	١١٣٨/٤	٢٦
٣ — القضية الحربية في			
رواية "الرغيف"	المكشوف	١١٣٩/٢١٥	٥
٤ — كتاب "قوة الارادة"	الجمهور	١١٣٩/١٠٨	٣٦
٥ — "وهل يخفى القمر"	"	١١٣٩/١١٠	٢٥
٦ — موباسان في مبادئه			
وفيه	الكتاب	١١٤٨/٦	٧٣
٧ — دون كيشوت : ميجل			
سرفنتيس ساندرا	"	١١٥٢/٥	١٢٢٨
٨ — أحمد سامح الخالد	الأديب	١١٥١/١١	٥٥
٩ — مقابلة مع الاستاذ			
ميخائيل نعيمة	"	١١٥٣/١	٧٥
١٠ — أمثلة قصصية	الرسالة	١١٤٦/٦٦٩	١٣١٧
١١ — القصة الحربية في			
الادب الروسي	الرائد العربي	١١٦٣/٣٧	٤١
١٢ — الفنانة الاردنية منى			
السعودي	"	١١٦٤/٤٢	٤٨
١٣ — محمود تيمور في بيروت	"	١١٦٤/٤٣	٥٤

الموضوع	المجلة	العدد والتاريخ	الصفحة
١٤ — روائع أوغست رودان في بيروت	الرائد العربي	١٩٦٤/٤٥	٣٢
١٥ — النظامي الكنجور ومجنون ليلي	قافلة الزيت	ابريل / ١٩٧١	٣١
١٦ — العرب وأدب الرحلة	"	نوفمبر / ١٩٧٣	٢٧

رابعاً : مقالات ودراسات فكرية وسياسية واقتصادية :

١ — عبد الرحمن بن خلدون أول فيلسوف يحاول تفسير التاريخ مادياً	الطلليحة	١٩٣٧/١	
٢ — ابن خلدون ضد المثالية	"	١٩٣٧/٤	٢٨٧
٣ — داروين : حياته — نظرياته ، آراء خصومه	"	١٩٣٧/٧ ، ٦	٥٠٤
٤ — رينيه ديكارت والمادية الميكانيكية	"	١٩٣٧/٨	٦٧
٥ — الحركة الوطنية العربية من الانقلاب الاتحادي حتى عهد الكتلة الوطنية	"	١٩٣٧/٨	٧٢٧
٦ — " " " "	"	١٩٣٧/٩	٨٥٨
٧ — " " " "	"	١٩٣٨/٢ ، ١	٤٣
٨ — " " " "	"	١٩٣٨/٣	٢١٤
٩ — " " " "	"	١٩٣٨/٤	٣٢١

<u>الموضوع</u>	<u>المجلدة</u>	<u>العدد والتاريخ</u>	<u>الصفحة</u>
١٠ — اضطراد العلم والعلماء ابان			
انحلال الدولة العباسية	الطليحة	١٩٣٨/٧	٥٧٠
١١ — المراكشيون في بمران الحرب			
الاهلية الاسبانية	المكشوف	١٩٣٨/٤	٧
١٢ — اضطراد العلم والعلماء ابان			
انحلال الدولة العباسية	"	١٩٣٩/١٨٢	١٤
١٣ — شهداء العلم ابان انحلال			
الدولة العباسية	"	١٩٣٩/١٨٢	١٤
١٤ — اضطراد العلم والعلماء في			
الاندلس	"	١٩٣٩/١٨٦	١٥
١٥ — شهداء العلم في الاندلس	"	١٩٣٩/١٨٧	٥
١٦ — تأثير العالم في حياة الامة	"	١٩٣٩/١٨٨	١٥
١٧ — تطور الصناعة الوطنية في			
لبنان	الجمهور	١٩٣٩/٩٨	٨
١٨ — مشكلة الضرائب في لبنان	"	١٩٣٩/٩٩	١٤
١٩ — طريقة ستخانوف في الانتاج	"	١٩٣٩/١٠١	٨
٢٠ — علاقة الازمة المالية بانهاض			
مرافقا الحيوية	"	١٩٣٩/١٠٢	١٨
٢١ — المؤامرة الانكليزية الصهيونية			
بشأن توحيد فلسطين	"	١٩٣٩/١٠٣	١٨
٢٢ — مؤتمر السواقين اللبناني			
السوري	"	١٩٣٩/١٠٤	٩
٢٣ — التطاحن الحزبي للاستيلاء			
على مقدرات الشباب	"	١٩٣٩/١٠٥	١٨

الموضوع	المجلد	العدد والتاريخ	الصفحة
٢٤ — تأثير العامل الاقتصادي في حياتنا اليومية	الجمهور	١٩٢٩/١٠٦	١١
٢٥ — الطلاب طليعة الأمة	"	١٩٢٩/١٢٣	١٨

خامسا : مقالات تاريخية وأثرية وفولكلورية •

١ — مزار أم حوام الانصارية في قبرص	الاديب	١٩٥٢/١٠	٦٢
٢ — فاسكو داغاما وابن ماجد	"	١٩٦٨/٤	٣٠
٣ — هكايه القرون المطعنة بالآلي	الرائد العربي	يناير/١٩٦٣	٣٧
٤ — مجدل عنجر	قافلة الزيت	ديسمبر/١٩٧٠	١٩
٥ — قصر بيت الدين الشهابي في لبنان	"	يوليو/١٩٧١	١٩
٦ — جبيل والقلعة	"	مايو/١٩٧٣	٢٧

سادسا : مقالات متنوعة •

١ — الكتاب في البيت العربي	الاديب	١٩٥٧/١	٩٦
٢ — المركب العلمي أكاديمك في ميناء بمرات	"	١٩٦١/٢	٤٥
٣ — يوبيل مجلة الاديب	"	١٩٦٦/٣	٥٨
٤ — حول جائزة نوبل الادبية	"	١٩٧٢/٣	٥٠
٥ — الى السيدة بديعة مصابني	"	١٩٧٢/٦	٥٥
٦ — خالتي ام أحمد	المكشوف	١٩٣٩/٢١٥	٥

كشف بعناوين أعمال نجاتي الاذاعية التي

حصلنا على نماذج منها *

- ١ — طرف الخيط : برنامج موسيقي في ٢٦ حلقة ، مدة كل حلقة خمس دقائق .
- ٢ — خفايا ادغار ألن بو : تمثيلات في ١٥ حلقة .
- ٣ — قنديل علاء الدين (منوعات) .
- ٤ — رواد الانسانية (١٣ حلقة) .
- ٥ — رحلة ابن جبير (١٥ حلقة) .
- ٦ — رواد المجاهل (١٧ حلقة) هي :
 - ١ — كريستوفر كولومبوس — مكتشف القارة الامريكية .
 - ٢ — جورج أفرست — مكتشف أعالي أفرست .
 - ٣ — جيمس كوك — رائد المحيط الجنوبي .
 - ٤ — فاسكو دا غاما — رائد المحيط الهندي .
 - ٥ — ماركو بولو — رائد مجاهل آسيا .
 - ٦ — الفايكنغ — جواة البحار .
 - ٧ — فرديناند ماجلان — مكتشف مضيق ماجلان .
 - ٨ — روبرت فالكون سكوت — قاهر القطب الجنوبي .
 - ٩ — دافيد ليفنجلستون — رائد القارة الافريقية .
 - ١٠ — مونجو بارك — مكتشف نهر النيجر .
 - ١١ — سترغون — رائد سيريا .
 - ١٢ — جيمس بروس — رائد مجاهل النيل .

* حصلنا على نماذج من هذه الاعمال من مكتبته في أثينا عن طريق ابنته السيدة
هنس *

- ١٣ — روبرت بيرى — قاهر القطب الشمالي •
- ١٤ — ابن خبير — الرحالة الصربي المشهور •
- ١٥ — ابن بطوطة (أ) — " " "
- ١٦ — ابن بطوطة (ب) — " " "
- ١٧ — المقدسي — " " "
- ٧ — رواية " الرغيف " لتوفيق يوسف عواد (٣٠ حلقة) •
- ٨ — أعلام الموسيقى (٢٢ حلقة) •
- ٩ — موعد مع المرح — برنامج فكاكي •
- ١٠ — طريق العودة — برنامج وطني عن فلسطين (١٣ حلقة)
- ١١ — مغامرات دهن كيشوت •
- ١٢ — أحكم وأريح — برنامج قضائي •
- ١٣ — برنامج الفصل الأخير — تمثيليات قصيرة •
- ١٤ — قصة " كارمن " لبروسير ميريه (١٢ حلقة) •

فانكا

قصة لتشيوخوف

ترجمة نجاتي صدقي

فانكا جو كوف صبي في التاسعة من عمره ، مضت عليه ثلاثة اشهر وهو يعمل
أجيرا عند صانع الأحذية المعلم المياخين في موسكو ، وفي عشية عيد الميلاد ، كان
الصبي يتقلب على فراشه قلقا مضطربا يطلب النوم ولا يأتيه ،

وان انبثق الفجر ، وذهب معلمه مع أسرته الى الكنيسة ليؤدوا الصلاة ،
أسرع فانكا الى الخزانة ، وأخرج منها دواة ، وسكبة تقبض على ريشة يخلوها الصدا ،
فوضمها على مقعد خشبي ، وركع على ركبتيه الى جانب المقعد ، ثم نشر عليه ورقة
بالية ، وهم بالكتابة .

وقبل أن يخط الكلمة الأولى ، تطلع الى الباب والنافذة وجلا ، ثم رمس
صورة القدس بطرف عينه ، وأجال النظر في الرفوف التي تكدست عليها قوالب الأحذية ،
وهو يصعد النفس متقطعا .

وسرع يكتب : جدى المميز . . كونستانتين ما كاريتش هأنذا أكتسب لك
كتابا أحبيك فيه تحية عيد الميلاد . وأسأل الله ان يمنحك الخير العميم ، وأن
يطيل حياتك ، ان لم يبق لي سواك بعد أن فقدت أبي وأُمِّي .

وهو فانكا نظره الى النافذة ، وكان نور الشمعة يتلأأ عليها ، فتخيل جده
الذى يعمل حارسا ليليا في بيت السيد جيفاروف ، منتصبا أمامه ، وكان جده هذا ،
رجلا قصير القامة ، نحيف الجسم ، في الخامسة والستين من عمره ، الا انه مافتى رشيقا
نشيظا ، لا تفارق شفره الابتسامة ، ففي النهار يرقد في المطبخ ، أو يداعب الطاهيات ،
وفي الليل يلتف بفروته الملهمة ويدور حول منزل مولا " ضاربا الارض بمصاه " يتبعه
كلباه " كاشتانكا " و " فيون " وهذا الأخير أسود اللون ، طويل الجسم ، قريب

الشبه بابن عرس ، دقيق النظر ، مدلل محبوب ، ويتمتع بسمعة طيبة بين أربابه
والغريبا ، مع أنه كان يخفي تحت لطفه وتواضعه حقدا وخبثا غريبيين ، وليس أقدر منه
في التسلل الى حيث تدفعه حاسة الشم ، كما أنه ماهر جدا في التعلق بأرجل الناس
وسرقة الدجاج من الفلاحين . . . فطالما ركل وجلد عقابا له على وقاحته ، حتى ان
بعضهم علقه من عنقه مرتين ، وبالرغم من ذلك كله ، كان " فيون " ينهض وكأن شيئا
لم يحدث له !

تصور فانكا حده واقفا حسب عادته عند بوابة المنزل ، موجهها نظره الى
نوافذ الكنيسة الحمراء اللون ، وقد انكمش على نفسه من شدة البرد ، فراح يضرب
الأرض بحذائه الفليظ ويفرك يديه ، ويسعل ، ويمزج الطاهيات ، والخادسات ،
ويقرصهن في أيديهن مداعبا مجانا ، ثم يخرج من جيبه علبة السموط ويهرضها
عليهن متسائلا : أنردن الاستنشاق ؟ فتأخذ النسوة القليل من السموط ويستنشقته ،
وسرعان ما ينهمكن في العطس ، وجد فانكا يضحك مسرورا ويصرخ : هلكت من الصقيع .

ثم يضع السموط عند أنف الكلبة " كاشانكا " فتعطس ساخطة مستاءة ، ويضعه
عند أنف الكلب " فيون " فيرى هذا أن من الكياسة والتواضع ألا يعطس ويكتفي بأن
يلوى ذنبه . وكان الطقس ان ذاك جميلا ، والهواء ساكنا نديا . وان يقبل الليل
وتفرق القرية في لجة ، وتبدو البيوت بطوحها البيضاء ، والمدخن تبعث الدخان
أعمدة . . . والأشجار وقد اتشحت بردا فضي ، وتدللت عروقها تحمل درات الصقيع ،
والسما تهمج بالنجوم التي تغامز بعضها فرحة مفتبطة ، والمجرة بدت جلية واضحة ،
وكانها غسلت عشيّة العيد ، وفركت بالثلج ! . .

تنفس فانكا قليلا ، وتابع كتابة رسالته الى حده فقال : " اقتادني معلمسي
أس من شعري الى الحوش ، ونهال علي ضربا بالسبيل أنني هزرت طفله عفوا ففقا .
وحدث يوم الاحد الفاشتان طلبت مني معلمتي ان أنظف لها سمكة ، فبدأت بتنظيفها
من ذنبها ، فحنقت على ، وانزعجتها من يدي ، وزجت رأسها في في . .

" ان غذائي في هذا البيت ، يتألف من خبز في الصباح ، وبرغل عند الظهر ، وخبز في المساء ، ولا أعرف للشاي والحساء طعما ، اما نومي ففي المرح حيث أكون عرضة للبرد القارس .

" واخبرك يا جدي أن أجراء معلمي يهزؤون بي ، ويرسلوني الى الخماره لكي احضر لهم الفودكا ، ويسألوني ان اسرق لهم الخيار من بيت معلمي ، وهذا يضرني بكل شيء يقع في يده لأقل هفوة تيدو مني .

" أر جدي العزيز . . . ارحمني بالله عليك ، وخذني من هذا البيت اليك ، فليس عندي اية حيلة للخلاص ، خذني من هذا المكان ، أنا اقبل قدميك وأدعوك دائما ، وان لم تفعل فاني لا محالة هالك " .

لوى فانكا فمه . ومسح عينيه بقبضته القذرة ، وغص بالبكاء ، ثم واصل الكتابة :

" وسأفرك لك يا جدي الدخان ، وأسأل رضاك ، وان خالفتك كلمة فاضريني ، وان تبين لك انني لن أجد عملا لديك ، فائذن لي بالعمل في مسح أحذية متعهد القرية ، أو أن أرعى المعز بدلا من فيدكا .

" أجل يا جدي العزيز ! ليس لي من منقذ سواك . لقد حاولت الفرار مرة الى قريتك ؛ لكنني عدلت عن ذلك ، لأنني لا أملك حذاء أفي به قدمي من الصقيع . . خذني يا جدي وكن على ثقة بأنني اذا ما بلغت الرشد فسأقبل جميلك بالمثل ، وسأعمل على اعاشتك ، ولا أدع احدا يسيء اليك ، وان توفاك الله ، فانسني سأصلى لروحك كما أصلي لروح امي .

" ان موسكو ولمدينة كبيرة ، وبيوتها فخمة وخيولها كثيرة ، لكنني لا أجد فيها خرافا ، وكلابها غير مؤذية ، واطفالها لا يطوفون بالأحياء في ليالي الأعياد ، ولا يسمح لهم بالاشتراك في التراتيل الكنسية .

" ورأيت مرة في واجهة حانوت ، صانير بمصفيها ، يستطيع المرء ان يصطاد بها أية سمكة كانت ولو بلغ وزنها الرطل . وشا هدت في بعض المخازن أسلحة مختلفة الأشكال بديعة الصنع ، جميلة المنظر ، والله يعلم كم تساوى من مئات الروبلات . . . وشا هدت في بعض حوانيت اللعابين عددا كبيرا من الدراج ، والارانب ، ودجاج الأحرار ، والمجيب ان الناس لا يستفهمون أبدا عن اصطاد هذه الطيور ! . . .

" جدى المميز . أرجوك أن تتذكرني وقت ان ينصب السادة شجرة عيد الميلاد ، واقتطف لي منها جوزة مذهبة ، واحفظها في صندوق أخضر . والسيدة أولغا ايغناطيونا لا تعارضك اذا علمت ان الجوزة لي " .

* * *

وجهة الطفل نظرة مرة أخرى صوب النافذة وعادته الذكريات ، وقت ان كان يذهب مع جده لجلب شجرة عيد الميلاد ، فيالها من ايام طيبة ! كانا يذهبان معا الى الغابة . وسط الثلوج ، فيشمل جده غليونه ، ويستنشق الدخان طويلا ، ويضحك من حفيده الذي يرتعش من البرد ، بينما الشجيرات الفتية المكتسية بالصقيع تقف جامدة لا تدرى من منها سيكون نصيبه الموت . . . وان يمر بها أرنب منطلق كالسهم ، يصرخ جده بأعلى صوته : أمسك ، أمسك . . . آه يا نوب الشيطان ! . . .

وبعد ان يقطع جده الشجرة ، يجرها الى بيت سادته ، وهناك يقبل الكل على تنظيمها وترتيبها ، وتكون أكثرهم اهتماما بها السيدة أولغا ايغناطيونا ، حبيبة فانكا .

كانت أم فانكا تخدم في هذا البيت ، وكانت السيدة أولغا تقدم لطفل مخدومتها اللبن وتعلمه القراءة والكتابة والمد حتى المائة ، والرقص ايضا ، وحسين

وعاد الصبي الى البيت ، واستلقى على فراشه تهدده الأمانسي
العذبة ، وبعد ساعة من الزمن ، أغضت جفنيه ، واستسلم إلى
سلطان الكرى ، فشاهد في نومه جمده يجلس على سطح
الموقد وقد تبدلت قدماه ، وأمسكت بيده رسيمة
فانسكا يقرأها على طاهيات البيت وخادماته . . . بينما
الكلب " فيسون " يسير إلى جانب
الموقد ، وهو يهز ذنبه . . .

فانكا

قصة لتشيهنغوف

ترجمة د . أبو بكر يوسف

في ليلة عيد الميلاد لم ينم الصبي فانكا حوكوف ابن الاعوام التسعة والذي اعطاه منذ ثلاثة اشهر للاسكافي الياخين ليعمل صبيا لديه . وانتظر حتى انصرف اصحاب البيت والاسباوات الى الصلاة فأخرج من صوان الاسكافي مجرة وقلما بسن صدى* ، وفرش أمامه ورقة مجمدة وراح يكتب . وقبل ان يخط اول حرف نظر السى الباب والنوافذ بحدور ، وتطلع بأثر عينه الى الأيقونة الداكنة التي امتدت عن حائبيها أرفف محملة بالنمال ، وزفر زفيرا متقطعا . كانت الورقة مبسوطة على الاركة ، اما هو فقد جثا على ركبتيه أمامها . وكتب : " جدى العزيز قسطنطين مكاريتش ! أنا اكتب اليك خطابا . اجنثكم بعيد الميلاد وارحوا لك من الله كل الخير . انا ليس لدى أب أو أم ، ولم يبق لي غيرك وحدك " .

وحول فانكا بصره الى النافذة العاتلة التي عكست ضوء شمعه المتذبذب ، وتخيل بوضوح حده قسطنطين مكاريتش الذي يعمل حارسا ليليا لدى السادة آل جيفارف . هو محووز صغير نحيل الا انه خفيف الحركة بصورة غير عادية ، في حوالى الخامسة والستين ، ذو وجه باسم دائما وعينين ثلثتين . كان نهارا ينام في مطابخ الخدم أو يشر مع الطاهيات ، أما في الليل فيطوف حول بيت السادة متدثرا بمعطف فضفاض من جلد الحمل ويدق على صفيدة . ومن خلفه يسير مطأطأى الرأسين الكلبة المحووز " كاشتاتكا " والكلب " فيون " الذى سمي هكذا للونه الاسود وحسده الطويل كالنمس . كان هذا ال " فيون " مهذبا ورقيقا بصورة غير عادية ، وكان ينثر بنفس الدرجة من التأثير سواء لأصحابه أم للغرباء* ، ولكنه لم يكن يحاط بالشقة . كان يخفي تحت تهذيبه واستكانته حيث غادرا الى اقصى حد . فلم يكن هناك من هو أحسن منه في التلصص في الوقت المناسب ليعبر الساق ، أو التسلل الى المخزن ، أو سرقة دجاجة من بيت فلاح . وقد حطاموا له ساقيه الخلفيتين غير مرة ، وعلقوه مرتين ، وكانوا يضربونه

كل اسبوع حتى الموت ، ولكنه كان يبعث من جديد .

وربما يقف الحد الآن امام البوابة ويزرع عينية وهو يتطرق الى نوافذ كنيسة القرية السابعة الحزمة ، ويشتر مع الخدم وهو يدق الارض بحذاءه اللباد . والصفحة التي يدق عليها معلقة الى خصوه . ويشيح بيديه ثم يتعلم من البرد ، ويضحك ضحكة عجوز ويقرب الخادم تارة والطاهية تارة اخرى .

ويقول وهو يقدم للفلاحات كيس تبغ :

— ألا ترفين في استنشاق التبغ ؟

وتستنشق الفلاحات ويمطسن ، ويستولى على الحد اعجاب لا يوصف ويقهقه

بمرح ويصيح :

— بقوة والا لزقت !

ويقدمون التبغ للكلاب لتشمه . وتمطس " كاشانكا " ، وتلوى بوزها ، وتبتعد مفضية . اما " فيون " فلا يمتس تأديا ، بل يهز ذيله . والجورائع . الهواء هادى ، وشفاف ومنعش . والليل حالك ومع ذلك تلوح القرية كلها بأسقف منازلها البيضاء واعدة الدخان المنبعثة من المداخن ، والا شجار وقد كساها الثلج ثوبا فضيا ، واكوام الثلج . والسما كلها مرصعة بنجوم تتراقص بمرح ، ويصفو درب التبانة واضحا وكأنما غسلوه قبل العيد ودعوه بالثلج . . .

وتنهذ فانكا ، وغمس الريشة في الحبر ومضى يكتب : " بالأمن ضربوني علقه . شدني المعلم من شعري الى الحوش ، وضربني بقلب الاحذية لأنني كنت أهز ابنه في المهد فنعست غضبا عني . وفي هذا الاسبوع أمرتني المعلمة ان أقشر فسيخة ، فبدأت أقشرها من ذيلها ، فشدت مني الفسيخة وأخذت تحك رأسها في وجهي . والاساوات يسخرون مني ويرسلونني الى الخمارة لشراء الفودكا ويأمروني ان أسرق الخيار من بيت المعلم ، والمعلم يخبرني بكل ما يقع في يده . وليس هناك اى

طعام . في الصباح يعطونني خبزاً ، وفي الفداء عصيدة ، وفي المساء أيضاً خبزاً ،
أما الشاي أو الحساء فالسادة وخدمهم يشربونه . ويأمروني أن أنام في المدخل ،
وعندما يبكي ابنهم لا أنام أبداً وأهز المهد . يا جدي العزيز ، اعمل معروفاً لله .
وخذني من هنا الى البيت في القرية . لم أعد أحتمل ابداً . . . اتوسل اليك وسوف
اصلي لله دائماً ، خذني من هنا والا سأموت . . .

وقلعي فانكا شفتيه ومسح عينيه بقبضته السوداء وأجهش .

ومضى يكتب : سأأخذ لك التبغ ، وأصلي لله ، وإذا بدرمني شيء ، اضربي
كما يضرب الكلب . وإذا كنت تظن انه ليس لي عمل فسأرجو الخولي بحق المسيح
ان يأخذني ولو لتنظيف حذاءه ، أو اعمل راعياً بدلاً من فيدكا . يا جدي العزيز ،
لم أعد أحتمل ابداً ، لا شيء سوى الموت . أردت أن اهرب الى القرية ماشياً
ولكن ليس لدي حذاء ، واخشى الصقيع . وعندما أصبح كبيراً فسوف اناضمك مقابل هذا
ولن أسمح لأحد أن يمسك ، وإذا امت يا جدي فسأصلي من أجل روحك كما أصلي من
أجل أمي بيلاجيا .

وموسكو مدينة كبيرة . والبيوت كلها بيوت اكابر ، والخيل كثيرة ، وليس هناك
غنم ، والكلاب ليست شريرة . والأولاد في العيد لا يطوفون بالبيوت منشدين ولا يسمح
لأحد بالذهاب للترتيل في الكنيسة . ومرة رأيت في أحد الدكاكين ، في الشباك ،
صنانير تباع بخيوطها لصيد كل أنواع السمك ، عذائمة حداً ، بل وتوجد صنارة تتحمل
قروماً وزنه بود . : ورأيت دكاكين فيها مختلف انواع البنادق التي تشبه بنادق
السادة ، ويمكن الواحدة منها تتساوى مائة روبل . . . وفي دكاكين اللحوم يوجد
دجاج الغابة وأرانب ، ولكن الباعة لا يقولون اين يصادونها .

يا جدي العزيز ، عندما يقيم السادة شجرة عيد الميلاد خذ لي جوزة مذهبة

وطاوى فانكا الورقة المكتوبة اربع مرات ووضعها في مطروف كان قد اشتره من قبل بكوبيك . . . وفكر قليلا ثم غمس الريشة وكتب العنوان : الى قرية جدى .

وحك رأسه وفكر ، ثم انخاف : " قسطنطين مكاريتش " . وارتدى غطاء الرأس وهو سعيد لأن احدا لم يعطله عن الكتابة ولم يضع المعطف على كتفيه ، بل انطلق الى الخارج بالقميص فقط . . .

كان الباعة في دكان الجزار الذين سألهم من قبل قد أخبروه أن الرسائل تلقي في صناديق البريد ، ومن الصناديق تنقل الى جميع انحاء الأرض على عربات بريد بحوزية سكارى وأجراس رنانة . وركض فانكا الى أول صندوق بريد صادفه ، ودخل الرسالة الغالية فني فتحة الصندوق .

وبعد ساعة كان يغط في نوم عميق وقد هنت الهدت الآمال الحلوة روحه . . وحلم بالفرن . . كان يده يمسك على الفرن مدليا ساقيه العريانتين وهو يقرأ الرسالة للآلهيات . . . وبحوار الفسرن يسير " فيبون " ويهز ذيله . . .

القلب الراوى
قصة لا دغار ألن بو
ترجمة نجاتي صدقي

كنت وما زلت عصبي المزاج على درجة مروعة ، ولكن ما الذى سيحملك على القول انني مجنون ؟ . . . فالأمراض قد ارهفت أحاسيسي ، ولم تلبد ها او تنوردها موارد التلف . . . وكانت حاسة السمع في ارهف من غيرها ، فتصليني اصوات من اعالي السماء ، ومن اعماق الارض ، ومن جهنم بالذات . . . فمن يقول بعد ذلك انني مجنون ؟ . . . فاصغ الي ، وراقب سلامة عقلي ، من الطريقة الهادئة التي سأروى لك فيها هذه القصة :

يتعذر علي القول كيف جاءني الفكرة بأدى ذى بد ، ولكن ما ان ادركتها حتى استحوذت علي ليل نهار . . . لم يكن في الفكرة اى موضوع او هوى . . . وكل ما في الامر انني ابغضت شيخا ، لم يسألني ، ولم ينهي ، ولم ارغب في ماله . . . ويفلب علي ظني ان السر الدفين يكمن في عينيه ، الشبيهتين بعيني العقاب ، فهما زرقاوان ممتلئتان وتعلوهما غشاوة ، ولا تقعان علي الا واحسان الدم البارد يسرى في عروقي ، وتفاقم الامر حتى بت افكر في قتله والتخلص من عينيه الى الأبد . . .

فهذه هي العقدة . . . وسيدور بخلدك على الفور انني مجنون ، الا ان المجنون لا يمي شيئا . . . وكان عليك ان تراني كيف اقدمت على العمل بحكمة ، وتيقظ ، وبعد نظر . . . اجل ، لقد عاملت الشيخ قبيل اغتياله باسبوع احسن معاملة ، فكنت ازوره عند منتصف الليل فافتح الباب بتؤدة تستغرق أحيانا ساعة من الزمن ، واطفيء الفانوس حتى لا تقع اشعته على عيني العقاب ، واطل على الشيخ النائم من شق الباب وانا اضحك على نفسي لما تحدث به من خبث . . . وهكذا ظللت سبع ليالي ازوره الساعة الثانية عشرة ليلا ، وانا اتردد في تنفيذ العمل لا خشية من الشيخ نفسه وانما خشية من عينيه الشريرتين . . . وما ان يطلع الفجر حتى اهرع اليه ، وأخاطبه بلهجة عاطفية ، واستفسر منه كيف قضى ليله . . . ولم يدر في خلد ابداءني كنت ازوره في منتصف الليل ، واحذر به النظر من شق الباب وهو مستلق على فراشه . . . فهل تقول بعد هذا كله ان في عقلي من المجنون ؟ . . .

وكت في الليلة الثامنة حذرا في فتح الباب أكثر من الليالي السابقة ،
بل ان عقرب دقائق الساعة المعلقة في الغرفة ، كان اسرع مني حركة . . . ولم
اكن لأشعر سابقا بتعاظم في قوتي وحكمتي مثلما شعرت في تلك الليلة . . . وفتحت
الباب شيئا فشيئا والشيخ لا يحلم بما عقدت النية عليه . . . وضحكت من نفسي بلطف ،
وخيلا الي انه قد سمعني ، لانه تعلم في فراشه فجأة . . . ولعلك تظن انني تراجع . . .
كلا انني لم أراجع قيد انملة ، لأن الغرفة كانت متسرلة بالظلام الدالك ، والشيخ
لا يرى شيئا قطعا . . . وظللت أدفع الباب بثبات واستمرار . . . وولجت الغرفة وكت
على وشك فتح القاتون الذي أحمله ، والمفطى بالسواد من كل جانب .

واذا باصبعي ينزلق على مزلاجه ، فيهب الشيخ في فراشه صارخا : منين
هناك ؟ . . .

فالتزمت الصمت ولم افه بكلمة واحدة . . . وانقضت ساعة من الزمن لم نهتر فيها
عضلة من عضلاتي ، ولم اسمع في الوقت ذاته انه عاد الى رقاد . . . لقد كان يجلس في
فراشه مرهف السمع ، وانا صفي الى دقائق الموت الصادرة عن الساعة .

وسمعت في تلك الأثناء زفيرا ضعيفا لم يكن وليد مرض او حزن . . . وانا هو
صادر عن اعماق النفس التي تنوء تحت حمل معنوى ثقيل ، انه زفير الرعب العميت . . .
لقد كنت ادري بما كان يشعر به الشيخ في تلك الآونة ، لانني خبرت هذا الشعور
بذاتي ، فاشفقت عليه ، لكنني كنت اسخو منه بقلبي . . . كان يحاول تهدئة خائره
وتكذيب سمعه فيقول لنفسه : " ليس ما سمعته الا نفخة من الريح في المدخنة " ،
او " انها فأرة تعبر الغرفة " ، او " انه ضروري ناغي نفسه " ، وعينا حاول الشيخ
تهدئة نفسه لان الموت قد اقترب منه ونشر ظلاله امامه .

فلما زال انتاباري عند الباب ، ولم اسمعه قد استلقى على فراشه ثانية ،
ثارت نفسي ، وعزمت على اطلاق بعض اشعاعات من القاتون الذي أحمله ، وما كدت

افعل ذلك حتى وقعت تلك الاشعاعات على عيني العقاب منشرة ويا لهول تلك
الظلمات المروعة .

كانت عيناه حادتين ، مهابعتين باللون الازرق البليد ، وعليهما غشاوة .
تسرى القشعريرة في الجسم ، فتضاعفت ثورتي ، وسلطت الشعاع على وجهه كاملا .

ألم أقل لك ان ما كنت تنظره في جنونا ان هو الا ارهاب في احساسي ؟ . .
ثم التفت ان ناى صرنا سريما خافتا كالصوت الذي يصدر عن الساعة المفلقة بالقطن . .
انني اعرف هذا الصوت جدا . . انه صوت خفقان قلب الشيخ ، فصار يهزني كما
يهز قرع البابول الجنود في ساحة الوغى .

ووقفت ثابتا في مكاني ، وانا اتنفس ببطئا ، واحمل الفانوس بيدي ، واسلط
شعاعا على وجهه . . فتضاعفت دقات قلبه وارتفعت عاليا اكثر فاكثر ، ولقد بلغ الحد
الاعلى من رعبه . . الا تلاحظني الآن جيدا ؟ . . ألم أقل لك انني عصبي المزاج ؟ . .
وما كان لهذا الصوت القريب الا ليزيد في قزعي ، وانا في هذه الساعة المتأخرة
من الليل ، ، ووسط السكون المرعب الذي يسود هذا البيت العتيق .

واستمر الصوت في خفقاته عاليا . . عاليا ، فخيل اليّ انه سينفجر ، فثارت
نفسي من جديد . وبت اخشى ان يبلغ هذا الصوت مسامع الجيران . . لقد حانت
ساعة الشيخ . . . وصدرت غني صرخة فزع ، فالتقيت الفلنوس حائبا ، وقفزت في وسط
الغرفة ، فاطلق الشيخ ايضا صيحة واحدة لا غير . . ثم حذبه على الفور الى الارض .
وقلبت الفراش الثقيل عليه ، وعلت شفتي ابتسامة السرور للسرعة التي انجزت فيها هذا
العمل . . وكان قلبه لا يزال يخفق ضعيفا ، ثم توقف تماما ، فالشيخ قد مات . .
فرفعت عنه الفراش ، وفحصته فتبين لي انه اضحى قطعة من جمان ، ووضعت يدي على
قلبه دقات معدودات ، فوجدته ساكنا الى الأبد ، لقد مات الشيخ ولن يزعجني بعد

الآن بعينيه الشبيهتين بعيني العقاب .

ألا زلت تلخني فاقد العقل ؟ . لا ريب بانك ستتخلنى عن هذا الظن
عندما تطلع على التدابير التي اتخذتها لاخفاء معالم الجريمة . . لقد انقضى الليل ،
واسرعت الى متابعة العمل بهدوء تام ، فأول ما فعلته انني قطعت اوصال الرجل ،
وفعلت رأسه عن جسمه ، ثم خلعت ثلاثة ألواح من ارض الغرفة وحشرت فيها بقايا الشيخ ،
واعدت الألواح الى مكانها بدقة وعناية تامين ، وغسلت آثار الدماء وحففتها تماما .

كانت الساعة قد بلغت الرابعة صباحا حين فرغت من دفته ، والظلام لا يزال
سائدا كما كان عند منتصف الليل ، وسمعت في هذه الاثناء قرعا على باب الدار
الخارجي ، فهرعت الى اسفل لأرى من الطارق بقلب خال من الهموم . . فوجدت
ثلاثة من ضباط الشرطة . . ويبدو ان صرختي وصرخته قد بلغت مسامع الجيران الذين
اسرعوا واشعروا مكتب الشرطة بوساوسهم ، ثم اوفد المكتب هؤلاء الضباط لتفتيش
البيت .

فابتسمت لهم . . ان ليس من شي * اخشاه . . ورحبت بهم ولما استفسروا
عن الصراخ قلت لهم انني انا الذي صرخت في الحلم ، اما جاري الشيخ فقد توجه
الى الريف ، ووجدت معهم الدار كلها ، ثم ولجنا غرفة القتل ، وبينت لهم ان شيئا
لم يتغير فيها ، ولمسا كنيت في غمرة حماستي اسرعت وأحضرت
مقاعد للزائرين وسلاطهم الاسـتراحة قليلا . . أجل
كنيت ثـمـلا بالفوز الضاري الذي حصلت عليه ،
فوضعت مقعدى فوق بقايا الضحية مباشرة
وجلست .

واقنع الضباط بسلامة مسلكي ، وأجبتهم على أسئلتهم ثم
أخذوا يشرثون فيما بينهم في مواضيع شتى ، ومضى وقت طويل وهم على هذا النحو

الى ان طلبتهم ورغبت في ذهابهم . . ثم لزمني وجع في رأسي ، وخيل اليّ آتني اسمع
طنينا في اذني ، وهم لا يزالون يجلسون هادئين ويثرثرون . . وزاد الطنين وصار
أكثر وضوحا ، فانطلقت في الحديث لا تغلب عليه ، لكنني اخفقت وظهر لي في نهاية
الامر أن مصدر الطنين ليس في أذني .

فامتقع وجهي ، وانطلقت في الحديث بصوت عال أكثر من ذي قبل —
والطنين يزداد أكثر فأكثر . . لقد كان طنينا خافتا ، سريعا ، اشبه بصوت الساعة
المغلقة بالقطن . . فحبست نفسي ، واطمئننت ان رأيت الضباط لا يسمعون هذبا
الطنين . . ثم أسرع في الكلام ، وشدت في اللفظ ، والطنين لا يزال في ازدياد
وانتصبت واقفا ، وأخذت اتحدث بمصيبة ظاهرة ، والطنين في ازدياد متواصل . . فما
الذي يحمل هؤلاء الضباط على البقاء في الغرفة . . لماذا لا يفادرونها ؟ . . .
وأخذت أسير في أرض الغرفة جيئة وذهابا ، فنظراتهم المطلقة علي قد اقلقتني ،
والطنين لا يزال في ازدياد . . فما العمل يا رب ؟ . . انني أرغي وازيد . . انني
أكاد أجن من الغيظ . . انني اقسم الايمان المفلضة . . والطنين يتعالى ويتعالى ،
ويتعالى . . والضباط يجلسون ويثرثرون سرورين أيقل الا يكونوا قد سمعوا
الطنين ؟ . . كلا ، كلا يا ايها الاله العلي . . انهم يسمعون الطنين ولا يسيب ،
انهم يشتبهون بأمرى ، بل يعرفون كل شيء ! . . انهم يسخرون من الرعب البادي
على محياى . . فلم أطلق صبرا على همزتهم وسخريتهم . . لم اهتمل أكثر ابتساماتهم
المرائية ، والطنين يتعالى ، ويتعالى الى ان صرخت : ايها الاشرار ،
كفوا عن مراءاتكم . . انني اقرب جريمتي ، فانزعوا اللوح الخشبية ها هنا . . .
ها هنا . . . حيث تجددون قلبه المروع يخفق عاليا ! .

القلب الواشي
قصة لأدغار ألن بو
ترجمة سميرة حسان
وإسمير رفيق حسن

حقاً ! - اني عصبي المزاج . . . كنت وما ازال منفصلاً الى اقصى حدود
الانفعال ، الى درجة مريضة وبصورة رهيبة ! ولكن . . . لم تصمونني بالجنون ؟
ان المرء قد ارهف حواسي فلم يندسفها ولم يشللها ! وفوق كل شيء بقيت حاسة
السمع ادق حواسي واقواها . . . لقد سمعت كل شيء في السماء وعلى الارض وسمعت
اشياء كثيرة من الحميم .

فكيف اذا اكون مجنوناً ؟ . . اصيخوا الي . . استمعوا الي كيف اسرد
لكم القصة كاملة وبكل اتزان وروية .

يتمذرع علي ان اخبركم كيف تغلفت الفكرة الى ذهني . الا انها ما كانت
تصل الى مخيلتي حتى لازمتني ليل نهار . لم يكن لي من ورائها هدف او غاية ؛
ولم يكن ما فكرت به ناجماً عن عاطفة ، قد اوضحفينة . لقد احببت الشيخ فهو لم
يوجه الي اية اهانة ولم اكن ارغب في ذهابه .

اطن ان عينه كانت السبب ! نعم ، انها عينه . . فعين من عينه كانت
تشبه عين الشوحة - عين زرقاء باهتة تشوبها المشاوة . وكلما وقع نظر هذه العين
علي كان الدم يجمد في عروقي ؛ وهكذا قررت - تدريجياً اتخذت قرارى - بان
انهي حياة الشيخ فاتخلص من عينه الى الابد .

والقضية الآن هي انكم تظنونني مجنوناً ! ولكن المجانين لا يعلمون شيئاً . .
كان يجب ان تروني ! ان تروا كيف اعدت الامر بكل حكمة ، بكل عناية وبكل دقة .

لَمْ أَكُنْ قَطُّ مَعَ الشَّيْخِ بِمِثْلِ اللَّطْفِ الَّذِي كُنْتُه خِلَالَ السَّبْعِ السَّابِقِ لِقَتْلِي
أَيَّاهُ . كُنْتُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ، عِنْدَ مُنْتَصَفِهَا ، أَدِيرُ مِزْلاَجَ بَابِهِ وَافْتَحَهُ ، آه - يَرْفُوقُ
شَدِيدٌ ! وَعِنْدَمَا كُنْتُ أَفْتَحُ فَجْوَةً تَتَسَعُّ لِدُخُولِ رَأْسِي كُنْتُ أَدْلِي إِلَى الدَّخْلِ بِمِصْبَاحٍ
مُفْلَقٍ لَا يَنْفُذُ النُّورَ مِنْهُ ثُمَّ أَطْلُبُ رَأْسِي إِلَى دَاخِلِ الْغُرْفَةِ .

لَوْ رَأَيْتُمُ الْعَنَاءَ الَّتِي كُنْتُ أَقُومُ بِهَا فِي عَمَلِي هَذَا لَضَحَكْتُمْ ! كُنْتُ أَدْخُلُ
رَأْسِي بِيْطَاءً وَهَدوءً شَدِيدًا كَيْ لَا أَكْرَنُومَ الشَّيْخَ . كَانَتْ عَمَلِيَّةُ ادِّخَالِ رَأْسِي إِلَى
الْحِجْرَةِ كَيْ أَرَى الرَّجُلَ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَيَّ فَرَأَيْتُهُ تَسْتَغْرِقُ سَاعَةً كَامِلَةً فَهَلْ يُمْكِنُ لِمَجْنُونٍ
أَنْ يَتَصَرَّفَ بِهَذِهِ الْحِكْمَةِ ؟ وَبَعْدَ أَنْ أَدْخُلُ كُلَّ رَأْسِي فِي الْفَجْوَةِ كُنْتُ أَفْتَحُ الْمِصْبَاحَ
بِحَذَرٍ ، بِحَذَرٍ بِالْخ (فَقَدْ كَانَتْ حَوَاجِزُهُ تَحْدُثُ أَزِيزًا) كُنْتُ أَفْتَحُ الْمِصْبَاحَ حَتَّى يَصْدُرَ
مِنْهُ شِمَاعٌ وَاحِدٌ مِنَ النُّورِ يَنْصَبُ عَلَى عَيْنِ الشَّوْحَةِ فَقَط !

قِمْتُ بِهَذَا الْعَمَلِ لِمُدَّةِ سَبْعِ لَيَالٍ - فِي تَمَامِ مُنْتَصَفِ كُلِّ لَيْلَةٍ - وَدَوْمًا
كُنْتُ أَجِدُ الْعَيْنَ مُفْلَقَةً فَاسْتَحَالَ عَلَيَّ أَنْجَازُ الْمِهْمَةِ لِأَنَّ الشَّيْخَ لَمْ يَكُنْ يَزْعُجُنِي الْهَذَا
بَلْ أَنَّ عَيْنَهُ اللَّعِينَةَ هِيَ الَّتِي أَثَارَتْ نَفْسِي .

وَكُنْتُ ، فِي كُلِّ صَبَاحٍ ، أَدْخُلُ غُرْفَتَهُ بِجَرَأَةٍ وَأَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ بِشَجَاعَةٍ مُتَحَدِّثًا بِلَهْجَةٍ
وَدِيَّةٍ وَمُتَسَائِلًا عَنْ رَاحَتِهِ أَثْنَاءَ اللَّيْلِ . لَوْ أَرْتَابُ فِي أَنِّي كُنْتُ أَحْدَقُ بِهِ وَهُوَ نَائِمٌ ، فِي
كُلِّ لَيْلَةٍ ، عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ تَمَامًا ، لَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ تَسْمَقًا بِبِوَاطِنِ الْأُمُورِ .

وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّامِنَةِ كُنْتُ أَكْثَرَ حَذَرًا مِنَ الْمَادَّةِ وَأَنَا أَفْتَحُ الْبَابَ . أَنَّ عَقْرَبَ
السَّاعَاتِ يَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ أَكْثَرَ مَا كُنْتُ أَفْعَلُ . لَمْ أَشْعُرْ ، قَبْلَ ذَلِكَ ، بِعَدَى قُوَّتِي ،
بِعَدَى حِكْمَتِي وَتَعْقُلِي . وَكُنْتُ إِلَّا أَضْبِطُ شَعْرِي بِالْأَنْتِصَارِ . أَنَّ مَجْرَدَ التَّفَكُّيرِ بَانِي
كُنْتُ هُنَاكَ ، أَفْتَحُ الْبَابَ بِيْطَاءً شَدِيدًا ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِوُجُودِي حَتَّى فِي الْأَحْلَامِ الَّتِي
يَرَاهَا ، وَلَا يَدْرِي شَيْئًا عَنْ أَفْكَارِي وَنَوَائِي ، جَعَلْتَنِي أَضْحَكُ . . . وَلَعَلَّهُ سَمِعَ ضَحْكَي .
فَقَدْ تَعَلَّمُ بِفَرَّاشِهِ كَمَنْ أَجْفَلُ .

قد تظنون اني تراجعت اذ ذاك . كلا !
كانت الغرفة خالكة السواد (نوافذها الخشبية مغلقة ، غوقا من اللصوص)
فعمرفت انه لن يتمكن من رؤية الباب المفتوح ولذلك ثابت على فتحة بروجية .

اصبح رأسي داخل الغرفة . . . و هممت بفتح فجوة في الصباح عندما انزلت
اصبغى فوق مزلاج الممدني فهاذا بالشيخ يستوى بفراشه صائحا :

— من هنا ؟
تهدأت في مكاني ولم اقل شيئا . بقيت جامدا لا احرك مفصلا مدة ساعة لم اسمعه
خلالها يعود الى الاستلقاء فقد بقي جالسا بفراشه وهو يصغي بسمعه - تماما
كما كنت افضل ليلة بعد ليلة .

وسمعت زفرة خفيفة عرفت انها زفرة الرعب القاتل . لم تكن زفرة حزن او ألم .
آه كلا ! . . . كانت ذلك الصوت المخنوق المتصاعد من اعماق الانسان وقد تملكه
الذعر . كنت اعرف هذا الصوت جيدا فكثيرا هي الليالي ، عند انتصافها ، عندما
كان العالم بأسره يرقد مطمئنا كان هذا الصوت ينبعث من اعماقي فيزيد صداه الرعب
المحيط بي . . . قلت اني اعرف هذا الصوت جيدا . عرفت ما كان يشمر الشيخ
به تمام المعرفة واشفقت عليه رغم اني كنت اضحك سرورا في داخلي .

عرفت انه استيقظ مذ سمع اول حركة خفيفة حين استدار في فراشه . ومنذ
تلك اللحظة والخوف يزداد في نفسه وهو يحاول عبثا تبديد اوهامه . كان يحدث
نفسه " ليس هذا غير صوت الريح يتلاعب في المدخنة " او " انها فأرة تعبر ارض
الغرفة الخشبية . . . " او " انه صرصار احدث زقزقة واحدة . . . "

اجل ، انه كان يحاول ان يطمئن نفسه بافتراضات كهذه . ولكنه كان يحاول
ههنا ! عبثا حاول ذلك فالموت الذي يقترب منه قد لغ الضمعية بظلاله السوداء ،
هذه الظلال غير المنظورة والتي كان تأثيرها يجعله يشمر - دون حاجة لسماع او
رؤية - يشمر فقط بوجود رأسي داخل الغرفة .

وسعد ان انتظرت فترة طويلة بصبر شديد فلم اسمعه يستلقي ثانية ، قررت ان افتح فجوة صغيرة ، صغيرة جدا في الصباح . لن يمكنكم ابدا تصور الهدوء ، ذلك الهدوء الشديد الذي فتحتها به حتى بدا اخيرا شعاع واحد رفيع كخيوط المنكبوت منبعثا من الفجوة ومنصبا على عين الشوحة . وكانت العين مفتوحة - ، مفتوحة تماما - والتهب غيظي وانا احرق بها . كنت اراها بوضوح تام ، ذلك الازرقاق الباهت وتلك الغشاوة العقيمة التي جمّدت الدم في عروقي . . لم اوجه الرجل او جسده فقد صوت الشعاع - بحدس داخلي - الى البقعة اللمينة فقط !

الم اقل لكم ان الذي تنسبون الي الجنون من اجله ليس الا حواس مرهفة ؟ وسمعت صوتا منخفضا رتيا سريعا ، صوتا يشبه ذلك الذي تحدثه الساعة وهي داخل لفافة قطنية . كنت اعرف ذلك الصوت جيدا ! كان قلب الشيخ وهو يدق رعبا ، فاثارت دقاته غيظي كما يثير قرع الطبول شجاعة الجندي .

ومع ذلك فقد احجمت عن الحركة وبقيت هادئا ! كدت اتوقف عن التنفس ! جمّد الصباح في يدي وانا احاول معرفة المدة التي اتكن بها من تسليط الشعاع بثبات على اليمين .

وتسارع الصوت اكثر فاكثر كما انه كان يعمل باستمرار . . كان نعر الشيخ شديدا ! . . اقول لكم ان الصوت كان يعمل ويعمل ، ويعمل باستمرار في كل لحظة فهل تعلمون ما اقول ؟

لقد اخبرتكم اني منغمس ! اني عصبي جدا . . وفي حلقة ساعات الليل والسكون القاتل يشعل البيت القديم كان هذا الصوت الغريب يثيرني داخلي نغرا شاملا . ومع ذلك فقد تماكنت نفسي فترة اخرى من الوقت .

ولكن صوت الدقات كان يعمل ويعمل حتى ظننت ان قلب الشيخ سينفجر من عنفها . وفجأة اجتاحتني شعور بالقلق من نوع جديد فقد يسمع احد الجيران هذا الصوت !

لقد دنت ساعة الشيوخ !

ونزعت غطاء المصباح وأنا اقفر الى داخل الغرفة مزجرا بوحشية . وصرخ الشيخ ، صرخ مرة واحدة فقط ! وفي لحظة خاطفة كنت قد جررت الى الارض ورميت الفراش الثقيل فوقه . وابتسمت جذلا فقد انتهت هذه المرحلة بنجاح ! ولم انزعج رغم ان القلب بقي يدق فالصوت مخنوق لن يسمعه احد خارج حدران الغرفة ! واخيرا توقفت صوت القلب ! لقد مات الشيخ ! وازحت الفراش فتفحصت الجثة ! اجل لقد اصابها جمود الموت فوضعت يدي عدة دقائق فوق قلبه الذي كف عن الحركة .

لقد مات . . . لن تزعجني عينه بعد الآن !

اذا كنتم لا تزالون تظنونني مجنونا فانكم حتما ستفكرون رأيكم عند ما تعرفون الحذر الذي به أخفيت الجثة .

كان الليل يتقدم سريما وأنا اعمل بخفة وبصمت . لقد بترت اعضاء الجثة ، قطعت الرأس والذراعين والرجلين ثم نزعته ثلاث قطع من خشب الارض فوضعت الاشلاء تحتها ثم اعدت الخشب لكانه حتى لم يعد بإمكان العين البشرية - ومن بينها عينه - اللعينة - ان تشك بالا مر !

لم اترك اثرا ! لم احتج لفصل بقعة دم فقد قمت باعمالي فوق المجرور الذي سحب كل شيء . . . هاهاها .

كانت الساعة الرابعة والظلمة ما تزال حالكة عند ما انتهيت من عملي . ومع انتهاء ساعات الساعة سمعت قرعا على الباب الخارجي وتوجهت مرحا لفتحه ، فسمعت اخاف الآن ؟

ودخل البيت ثلاثة رجال قالوا بلمهجة لطيفة انهم من مفوضي الشرطة . لقد سمع احد الجيران صرخة اثناء الليل فشك في امرها وخطر الشرطة التي اوفدت

هؤلاء الرجال لبحث الامر وتفتيش المكان وابتمست - فم الخوف . . . ؟ - ودعوتهم الى الدخول قائلا ان الصرخة صدرت عني وانا في حلم رهيب . وذكرت لهم ان الشيخ متغيب في الريف . لقد طفت مع الضيوف غرف المنزل ورجوتهم تفتيشها بدقة ثم قدتهم الى غرفته واريتهم كلوزة سالمة امينة !

وفي غمرة ثقتي هذه حملت الكراسي الى الغرفة ورجوتهم الاستراحة هناك - داخلها - . وفي ذروة شعوري بنجاحي وتفوقي وضعت كرسي انا فوق البقعة التي وضعت جثة ضحيتي ضمنها .

لقد اقتنع رجال الامن . . . اقنعهم تصرفي . كنت مرتاحا جدا . . . جلسوا مملي واجبت على اسئلتهم بمرح وشرروا في امور اليفة .

ولم تنقص برهة حتى شعرت بالشحوب يكسو وجهي وودت لو ينصرفون . اصابني صراع اليم وامتلات اذناي بطنين مزعج وهم حولي جالسون يشرشرون .

واصبح الطنين واضحا . . . استمر الطنين واستمر وضوحه فبدأت أكرر الكلام حتى اتخلص من هذا الشعور . ولكنه استمر واشتد وضوحا وشعرت فجأة ان الطنين لم يكن في اذني بل كان خارجهما .

واشتد شحوبي ولكنني تابعت الحديث الطلي بصوت مرتفع ومع ذلك ارتفع الطنين على صوتي . ماذا افعل ؟ لقد أصبح الطنين صوتا منخفضا رتيبا سريعا - يشبه ذلك الصوت الذي تحدثه الساعة وهي داخل لفافة قطنية .

وتعذرت على التنفس وكدت اخبتني . وبدأ على الرجال انهم لم يسمعوا شيئا ! كنت اتحدث بسرعة ، بحماس . ولكن الصوت كان يقوى باستمرار .

لم لا يذهبون ؟

وذرت الغرفة طولا وعرضا بخطوات ثقيلة قوية . وبقي الصوت يزداد
قوة ! يا الهي ما العمل ؟

واربدا .. وهذرت .. وشتمت ! .. ورميت الكرسي الذي كنت
اجلس عليه وحففت به خشب الارض .. ومع ذلك بقي الصوت
مرتفعاً فوق الضجيج وهو يقوى باستمرار .

كان يعلو ويعلو ويعلو .

ومع ذلك بقي الرجاـل يثرون بمنح ! اتراهم
حقاً لم يسموا الصوت ؟ رباـه ! لا .. لا .. لا .. انهم سمعوه ..
انهم يشكون .. انهم يصرفون الا مـر ! .. انهم يسخرون
مـن نـعـى . وشـمـت مـن أنـهـم يـفـعلـون
ذلك .

كل شيء ، اى شيء ، اخفف من هذا المذاب ! ..
لم يمد باحكني احتمال هذه البسـمات المـرائية ! .. شمـرت
بانه على ان اصـرخ او اموت !

والآن .. ها هو مرة اخرى .. استمعوا .. اعلـى فاعلى .. الصوت
يعلو .. ويعلو ..
وصرخت :

— ايها الأندال .. كفاكم سخرية .. اني اعترف .. اقتلوا هـذه
الاخشاب .. هذه .. وهذه .. انها دقائق قلبه الميت !

المزاب . . .

تجاوز فهم عبد الجواد الخامسة والأربعين ولا يزال عزبا . فكم من مرة نصحته أمه في شبابه أن يدخر عندها كل يوم خمسة دراهم فلا تنسى أربع سنين أو خمس إلا وتكون قد جمعت له مهر العروس . . . لكنه كان يقابل رأيها هتسدا بابتسامة ساخرة ويقول لها : حسن . هالك نصف جنيه عن عشرة أيام . فيتناسها ، وتنسى أمه مسألة الادخار إلى أن تثار الحكاية من جديد ، فتنصحه ويدفع ، فينسى ، فتنسى ، وهكذا ظل فهم دون زواج .

فكان مكبوت العاطفة ، رقيق الشموخ نزقا في بعض الأحيان . وفي عصر أحد الأيام ، بينما كان يحاول إغلاق مكتبه الذي يتماطى فيه أعمال تأجير البيوت ، جاءت فتاة أجنبية ، وسألته عن غرفة مفروشة أو غير مفروشة ، لكنها رجته وألحت في السؤال فوعدها خيرا . . . ولما علم منها في سياق الحديث أنها جاءت المدينة في ذلك اليوم ، وأنها وحيدة ، لا أهل لها ولا معيل ، أحب أن يمثل معها دور العاطف عليها ، فحدثها عن مصاعب الحياة ، والحرب وذيلها ، وغلاء المعيشة ، وأزمة المساكن ، وكانت الفتاة توافقه تارة وتختلفه تارة أخرى ، وفي نهاية الأمر دأبها لتناول العشاء معه ، فترددت ، فأغراها بأكمل المدينة القديمة الشرقية وبالتفج على بيوتها وفرشها ، فترددت ثانية ، لكنها استعرضت في مخيلتها عوارض خيالية براقعة فرأت في هذه الدعوة ما يكشف لها أسرارها طالما طالعتها في الروايات والقصص ، فأومأت إليه برأسها موافقة ، ونهبا سوية إلى مسكنه في دير الأرز الواقع في وسط المدينة القديمة .

كانت الساعة وقتئذ تقارب الثامنة مساء ، وقد انتشر الظلام في حارات المدينة وأزقتها ، ولم ينرها سوى قناديل زيتية تكاد لا تعكس ضوءها إلا على نفسها فقط . وكانت الفتاة تسير إلى جانب فهم أفندي وتتمشى ، فيعينها بوضعه راحته تحسبت

وسنمها برفق ، وإذا ما تراءى له أنها ستقع ، تأبط ذراعها ، فتشكره بكلمات غير واضحة متقطعة . ولما اقتربا من الدير قال لها : عذار من أحداث ضجة أشنأ دخولنا الدير . سيرى على أطراف قدميك قالت : وهل من شيء تخشاه ؟ انني غديفتك ومن يجرؤ ويمنع في زيارتي لك ؟ . . .

قال : للمسألة صلة بالتقاليد وليس بقواعد الاتيكيت . فمن طاداتنا الا تزور امرأة رجلا أعزب في بيته .

قالت : حقا انها لمادة غريبة ! . . .

ودخلا الدير كما أفهمها فهيم أفندي ، وسعدا الى الطابق الثاني بهدوء مطلق ، وولجا الغرفة بهدوء أيضا .

وديرا الأرض هذا كان فيما مضى من الأيام ملجأ للمتعمدات اليونانيات ، الا أنه تحول الى مسكن لرقيقى الحال من الناس ، فضمت جدرانها مهاجرا بولونيا ، ولاجئا يونانيا ، ومجلد كتب ، وممرضا ، وبائع الخضار ، وغيره بائع الألبان ، وصاحب مكتسب تأجير البيوت فهيم عبد الجواد ، وكان جميع ساكني هذا الدير من العزاب ، ولذا كانوا يفرضون على بعضهم بعضا رقابة أخلاقية شديدة الوطأة .

وما ان أجلس فهيم الفتاة الى الطاولة حتى سمع لفظا خلف الباب ، ثم رأى وجهها يطل عليه من النافذة التي تملؤه ، فعرف فيه وجه جاره مجلد الكتب ، وقد اتقدت عيناه ففقدت أشبه بالجمر وأخذ ينقر الزجاج بسبابته مشيرا الى فهيم أن يفتح باب الغرفة .

فما كان من فهيم الا أن زجره ، لكن المجلد تطادى في النقر وعلى حين غرة حطم الزجاج بجمع يده فأحدث فيه فجوة ومد أصابعه منها اليد المزلاج الداخلى وفتحه . . . وكان الهرج خلف الباب يتزايد ، ثم بادرا المجلد فهيم بقوله :

— ألا تخاف ربك يا جاري ؟ !

فقال فهيم : خستت أيها اللئيم ، انها ضيفي ، وحاشا أن أدنس بيتي . . .

فقال المجلد : فوالله ان لم أقض السهرة برفقتكما أشرت سكان الحق عليكما !

وكانت الفتاة ترتجف من شدة الخوف والافزع ، وكان زملاء المجلد يدفمسون باب الغرفة بمناكبهم وكادوا يحطمونه لولم يسارع فهم الى فتحه ، فاناب به يشاهد المريض وقد رفع مجلد الكتب على كتفيه ، وهو في قميص النوم ، وبائع الخضار وقد التف بعباءة وهو حاسر الرأس حافي القدمين ، وبائع الألبان واقفا بسروله الواسع ويبيده هراوة ثقيلة . . .

ما هذه الاظرة ؟ وما الذي يزيد بهؤلاء القوم ؟ . . .

انهم العزاب . . . شمو راحة الأنوثة المسكرة تعبر بأبواب غرفهم ، فهبوا من فراشهم وتتبعوا الأثر الى أن قادتهم أقدامهم الى غرفة فهم ، وكان منهم ط كان . . . قال المريض لجاره الذي أدخل بشروط المزوية :

— نحن جيران يا أخى منذ خمس سنوات ، وهل قصرت معك في شيء ؟ هل طالبت يوط روحي ولم أضعها تحت تصرفك ؟

وقال بائع الخضار : يا فهم . . . انني أعهدك عيرها فلو أطلعتني منذ الأس على قصدك لكنت مددت لك يد المعونة ، ولسترت عليك الأمر ، ولما درت هذه الكفا ما تفعله الكفا الأخرى .

وتقدم بائع الألبان مزجرا والهراوة في يده وقال : وحق من بسط الأرض ، ورفع السماء ، ان لم تقبلنا في سهرتك هذه ، لأنشر دماغك في جنبات هذه الفرقة . أما المسكينة فكانت تسمع ولا تفقه ، لكنها أدركت أنها بيت القصيد ، وأنها قد وقفت في الفخ .

ولما رأى فهم أن المسألة قد تأزمت ، وأن غرفته ستصبح مسرحا لرواية مخزية ، ولغاكمة مؤلمة ، قال للفتاة بلغة لا يفقهها جيرانه : —

— لا تجزعي ، سأطلق عليك الباب ، وسأذهب في طلب بوليس الأخلاق . . .

وأقبل الباب على الفتاة واجتاز العزاب وقد تربعوا في الممر يهدرون كلابل .

وبعد دقائق معدودات ، عاد فهم وبرفته نهران فتبعثر العزاب هنا وهناك ، وخرجت الفتاة بحراستها ، وقد سترت رأسها ووجهها بمنشفة حتى لا يراها أحد ، ثم تركوا الدبر أربعتهم وساروا في الطريق معا ، دون أن ينبسوا بكلمة واحدة وان بلغوا مسكن النفرين ، وقف فهم يستودعهم ويشكرهما على حسن صنيعهما . فأجابه أحدهما : لا شكر على واجب . ولكن هلا تفضلت مع الفتاة لنقضي السهرة عندنا ؟ !

العابث . . . !

من يجتز ميدان المفربى بتل أبيب ، وهو يشبه في الظاهر ميدان سنت
ميشيل بباريس ، يرفى طرفه الأيسر مفهى صغيرا ، جميل الهندسة ، حسن الترتيب
فاخر الأثاث ، يؤمه عادة أهل الفن والأدب من يهود تد أبيب ، كما يتردد اليه
عدد لا يستهان من المهاجرين والمهاجرات ، يتعارف بعضهم الى بعض ويتبادلون
الآراء ويحتسون الجعة على أنغام الموسيقى المهددة .

ولا يجوز فظ اعتبار هذا المنهى مكانا لترفيه اليهود فقط ، فمن رواده
الدائمين أيضا بطل قصتنا هذه " عزيز " ، وهو شاب تجاوز الثلاثين ، فلم يدع
بابا في الحياة الا طرفة ، ولم يترك حرفة في المجتمع الا مارسها ، وهو في طبعه
محب للمغامرات له شذوذه ، كما أنه يتذوق الأدب ، ويبدى آراء جريئة فسى
السيكولوجى ، ويجيد الانكليزية ، ويتقن العبرية قليلا . . .

وفى احدى الأمسيات جاء " عزيز " المقهى وبصحبه صديق مزارع من شمال
فلسطين ، أنعم الله عليه بالشراء وسعة العيش ، وحرمة العلم وسعة المدارك ،
وجلسا الى مائدة ، وكانت مدمحهما تدلان على أنهما من مهاجري بلقاريا او
رومانيا ، فلم يكثرتهما أحد ، فى حين أنهما كانا يبديان اهتماما زائدا بجلال
المقهى ، ويخصان الفنانين الفاتنات من بنات يهودا بنظرات كلها عطف وشوق . .

وان كانا يتناولان الكأس الرابعة من الوسكى في جو اختلطت فيه ضجعة
الحاضرين بلحن (الفولغا) لمحا من خلال الدخان الكثيف امرأة مشوقة القد ،
نقراء السمر ، زرقاء العينين ، ترتدى معطفا قوزافيا ، تلج المقهى وهى تتهاوى
في مشيتها . فما ان وقفت عند بنك الساقى حتى انتصب " عزيز " واقفا ، وتقدم
نحوها بأدب مخمور وقال :

— أتأذن لى مولاتى بكلمة ؟

— تفضل

— مولاتي ، لا ريب في أنك من أهل ... اني لأرى تموجات نهر الفولفسا
مع تموجات سمك الذهبى ، أنت لحن الفولفسا الحى ... أنت أنسودة نظمها
الحياة ...

ارتبكت المرأة لهذا الأظراء المفاجئ وأجابته مبتسمة — أنت شاعر ؟
قال — كلا ، لست شاعرا ، ولكنى أعبد الفن ... أنا عربى أو من بأن ليس
للفن والجماں حدود عنصرية أو اقليمية .. فبتنهوفن معبود العالم بأسره ،
وروائيل سيد الرسامين ، وآينشتين يعترف بفضله كل مخلوق ... و ...

وانا برجل مد يد القامة عريض المنكبين يقطع على "عزيز" خياله ، ويتطالع
فى وجهه مبتسما ...
قالت المرأة للشاب — هذا زوجى ...
وقالت لنزوجها — انه فنان عربى ... ظن أننى قوزاقية ولم يد ربحلده
أنى من كوينسبرج ...

قال الزوج — يسرنا جدا أن نتعرف الى شاب عربى . لقد قضينا عشر
سنوات فى تل أبيب لم نزر خلالها مدينة يافا قط . نحن نسمع عنكم ولا نراكم
... والواقع أننا نوهم أنفسنا فى هذه المدينة بأننا لم نخرج من أوروبا قط ،
فترانا ننشئ بيوتا غريبة الطراز ، ونعيش فى المقاهى ... أى أننا لا نكون فى
بيوتنا الا وقت تناول الطعام والنوم ... مللنا المقاهى تجولنا فى الشوارع
أودعنا الى دور السينما والموسيقى ... ونحن على الجملة نشعر فى حياتنا
خارج منازلنا كما لو أننا فى منازلنا ... فنتساوينا يسرنا فى الشوارع وهن يوتدينن
عباءة البيت أو السراويل الفضفاضة ، أو لباس البحر ... أجل هكذا نحيش ، أما يافا
فأقسم لك بلن كثيرا منا لا يحرف بالخبيط أتعجب هي فى جنوب تل أبيب أم فى شمالها
... أرجو المخذرة على هذه الشباوة التي هي أشبه بحلم لذيذ ...

وبعد لحظات كان الأربعة يجلسون حول مائدة واحدة ، وقدم "عزيز" زميله الى الزون وزوجه بوصفه كاتباً مفكراً يعنى بتصوير الحياة أكثر من عنايته بهندامه . . .

رتولت الانخاب ، وظهر الثرى القروى كرمه الحامى ، فذهلت السيدة البروسية ، وارتاح زوجها لهذا التعارف السعيد . . . ودارت بينهم أحاديث متنوعة تخللتها النكات الموفقة والتافهة ، واغترقوا على أن يكون اللقاء فى اليوم التالى ، فى بيت "عزيز" بيافاً لتناول الغداء . . .

* * *

— أهلاً وسهلاً أدون أيسبرجر . أهلاً بالسيدة "الفوزاقية" هـ . . هـ . . .
أعرفكما بقرينتى . وهذا زميلى بالأس . وحذوا ! أصدقائى . وقد صلت السيدة أيسبرجر باقة زهور لغريئة صاحب الدعوة وتناولوا أكلاً عربياً صرفاً ، فسر الضيفان لهذا الحادث الخطير فى حياتهما الفلسطينية ، وانصرفا وهما يلدهجان بالشنا العاطر على "عزيز" وكرمه ولطفه . .

عد

وفى اليوم التالى ردت الزيارة الى تد أبيب ، وكانت زهور وغداً وملاطقات وعدم فهم متبادل لما يقصد من هذه الصداقة . . . ثم كان وداع على أن يكون اللقاء فى المستقبل فى المقهى الذى حدث فيه التعارف . . .

وبما حل مساء اليوم التالى لهذه الزيارة أحس "عزيز" أن شيئاً يقلقه ، ويشغل فكره ، ويشير أعصابه ، فأسرع الى حانقطة الحبس المرقق أولاً وثانياً وثالثاً فخليل له أنه يسمع لحن الفولفا ، وتراءت له السيدة "الفوزاقية" كما أرادها أن تكون ، فلم يقول على الاصطبار حتى يحين اللقاء (فى المستقبل) . . . فعمد النية على المجازفة مهما كانت المواقف . . . وان كانت ميزانيته لا تسمح له بالأسراف توجه الى زميله المزارع الثرى وسأله — أأنت مستعد للبذل فى سبيل ربة الجمال ؟

قال — ومن هي ؟

قال — السيدة ايسبرجر . . .

قال — كل ما أملك فداها . . واننى للجمان لعابد . . .

وفى الساعة الحادية عشرة من الليل كان عزيز وزميله يترنحان شطين فى
سوارع تد أبيب ، فقادتهما أقدامهما الى دار ايسبرجر ثم صعد الى الطابق الثاني
ووقف أمام الباب الشقة . . تردد "عزيز" فى الضغط على الزر الكهربائى ، فالمطقة
تحدثه على الضغط ، والفكر المكبوت بالخمير يوحى اليه خيبة الأمل . . وأخيرا مد
أصبعه نحو الزر وضغطه ، فمرت ثوان دون جواب ، فأعاد الضغط وإذا بنور يشع
فى الداخل ويخطوات تقترب من الباب بسرعة ثم فتح الباب وياله من منظر السيدة
ايسبرجر بلباس النوم ، وسعرها سدول على كتفها ، رقت أمام الزائرين الليليين
مدهة ، وقد عانقت نفسها بذراعيها من الخس والبرد معا . .
فبادرها "عزيز" قائلاً — (نالوم . . . مدام ! . . .) .

لقد توفعت السيدة ايسبرجر أن يكون الطارى فى تلك الساعة المتأخرة أو
مخلون من أهلها ومعارفها لكنها لم تتوقع قط أن يكون هذا الطارن "عزيز" وزميله
مأنا والواقع انها دعرت لمرآهما ، وانعقد لسانها فى فمها فراحت تحدث فيهما
البنظر محاولة استجلاء ما فى نفسيهما ، فأجابها بنظرات حائرة ناردة . . . وقد
تدلت شفاهها السفليان قليلا . . ولما استعادت المرأة رباطة جأشها ، دفعت
الباب فى وجه الزائرين غير المنتظرين ، وصرخت . . .

هرول "عزيز" وزميله الى الشارع ووقف عند مصباح كهربائى يلهتان ثم خاطب
المزارع عزيزا بقوله — أتصللنى أيضا ؟ أين ربة الجمان ؟ أعد لى خمسة جنيهات
أنفقتهما عليك هذه الليلة .

فأجابه "عزيز" ما الذى تمنيه بقولك هذا ؟ اننى دعوتك الى زيارة أدبية
فنية فقط . . . وجل فصدنى من هذه الزيارة افهامك ماهية الجمان من حيث هو ومن
ايحائى . . .

قال المزارع — ماذا ؟ ماذا . . . ؟

قال - الجمال يا عزيزى على نوعين : مجرد ، وفنى . . . فالجرد هو الجمال
الملائكى البلورى ، وأما الفنى فهو جمال تقاطيع الوجه الدالة على ماهية النفس . . .

قال - دعنا من الهذر ، واننى لم أنفى ما انفقته هذه الليلة لأسمع منك هذه
الشهيرة . لن أهرج هذا المكان حتى تأتيني بربة الجمال قال - صه . . . لا ترفع
صوتك ولا فضحنا ، وأساء القوم الظن فينا . . . وحاول المزارع المألمة بحقوقه
. . . لكن " عزيز " استوقف سيارته ، ودفعته الى داخلها ، وقال للسائق : الى
يافا . . . أسرع . . .

قص على " عزيز " قصته هذه وقال :
بوى أن أذهب مرة أخرى الى السيدة ايسبرجر لأبين حسن نيتي من
تلك الزيارة الليلية فما رأيك . . . ؟

كاتب العرائض*...

تذكر جميل المكرماود بعد مضي خمس وثلاثين سنة من عمره ، ان والدته كانت تقول له في حديثه : والله يا بني لأزوجنك متى كبرت من فتاة شامية ، جسمها أبيض مثل الثلج ، وشعرها أشقر مثل الذهب ، وخداها أحمران مثل التفاح ، وكان هو يسمع كلام أمه هذا وعلى شفره ابتسامة الحداثة البريئة .

وماتت أم جميل ، وتماقبت السنين ، فكبر جميل ، وتخطى العقد الثالث ، وأناخ الدهر عليه بأثقاله وهمومه ، فكان من البائسين المدممين ، يضطر الى ممارسة كتابة العرائض كوسيلة للمعاش .

ورأس ماله في هذه المهنة : صندوق خشبي صغير ، وكربي أصفر ، ومحفظة كرتونية ، وقلم حبر ، ودواة ، والقليل من الاوراق ونسخة من قانون المقوبات الجديد الذي نسخ قانون الجزاء العثماني القديم .

وبعد أن عمل في هذا الحقل عشر سنوات ، تمكن من ادخار بعض المال بفضل صفات خاصة عقدها مع السذج من الفلاحين ، وكان يخفي هذا المال في حزام لا ينفك يطوق خصره ليلا ونهارا وذات يوم راح يخاطب نفسه : أنت وحيدا يا جميل ، عليك ان تجد سبيلا قويا لتدبر فيه أمر ما ادخرته من مال هيا افتح لنفسك مكتبا يرفع من مكانتك بين الناس كلا . كلا هيا افتح لنفسك حانوتا يسدر عليك الربح الوفير كلا . كلا لا هذا ولا ذاك عليك ان تتزوج من امرأة غنية تستفيد من ثروتها وانكر ما كانت تقوله له المرحومة أمك : "والله لأزوجنك من فتاة شامية" وسرعان ما سافر الى دمشق في طلب العروس .

* هذه القصة هي غير القصة المنشورة بهذا العنوان في مجموعة "الشيوعي المليونير"

حل جميل افندى في فندق " أمية " في دمشق ، وهو من أشهر فنادق العاصمة السورية ، وسجل في دفتره اسمه : " جميل بك المكرماوى محام من القدس ... وكان يضع على عينيه نظارة بسلسلة ذهبية ، ويلبس لباساً أنيقاً ، ويثبت فسق ياقته دبوساً ثميناً ، ويحلى أصابعه بخواتم ذهبية ، وأشاع في الفندق بأنه أتسى دمشق يطلب زوجة .

وان علم **سلسلة** الزواج في دمشق أن في فندق " أمية " وجيها فلسطينيا يود الزواج من فتاة مشرية ، هرعوا اليه ، وطرحوا خداماتهم عند قدميه .

وكان بطل قصتنا بحكم عمله ككاتب عرائض خبيراً بضروب الدجل والمخاتلة . فكان يستقبل سماسرة المرائس ، ويكرم وفادتهم ويسأولهم ، ويستفهم عن الاسرار القديمة الفنية ، ويجمع عنها المعلومات المفصلة الى أن قرأ رأيه على خطيبة بنت (...) باشا ، وهى تنحدر من أسرة تركية عريقة استوطنت دمشق منذ أيام عبد الحميد ، ثم أثرت ، واستغربت .

وبعد مداولات مع أهل العروس ، وهدايا متواصلة حملها جميل بك لآيئة الباشا ، وحديث مطول القاء على مسامعهم عن أملاكه في فلسطين في عين كارم والخليل ... وبياراته في يافا والد ... وعن مكتبته الرئيسي في القدس ، وفروعه المنتشرة في جميع أنحاء البلاد المقدسة ... اقتنعت أسرة الباشا بمكانة جميل بك السامية ، وكان له شريك في القدس يرسل اليه برقيات عن سير " القضايا " في دور المحاكم ! ...

وهكذا تم عقد قران ابنة الباشا على جميل بك المكرماوى في حفلة اقتصر فيها الدعوة على الأقارب والأصدقاء ، ثم رحل المروسلان الى لبنان ليقضيا شهر المسلى في فندق (القاصوف) في جنهور الشوير ، وطالما كان يحدث الصريس عروسه وهما في مصيفهما الجميل هذا ، عن أشهر رافعاته في المحاكم محركا يديه ،

ومطّوحاً بأكمام (الزنوب ... دى شامبر) ، ومتنقلاً في الغرفة ذهاباً وإياباً ،
وكاتت عروسه تستمع اليه طربة ، وهي مستلقية على مقعد وثير طويل وقد عقدت يديها
تحت رأسها .

وقالت له مرة : حدثتني كثيراً عن قضايك ... لكنك لم تحدثني قط عن
حياتنا الزوجية في بلدك وكيف ستكون ؟

قال : دعى الحديث عن حياتنا المقبلة ، فقد صرنا الآن روحين في جسم
واحد ، أو جسمين تختلج فيهما روح واحدة ! ... وثقي بأنني سأوفر لك جميع
أسباب الرفاهية والسعادة في منزلي الجديد الذي أبنيه في حي القطمون في القدس
والآن أرجوك ترك هذا الموضوع الجاف ، وهيا بنا الى البستان لنأكل ما طاب لنا
من الفاكهة .

وبعد انقضاء شهر العسل سافر العروسان الى القدس ، ونزلا في بيت حفير
شبهه قدريقع في محلة (وادى الجوز) ... ولما وطئت قدما ابنة الباشا هذا
البيت ارتدت الى الخلف مذعورة وقالت : ما هذا الذي أراه يا ابن عمي ؟ !

قال : لا تضطربي ... انني متخاصم مع أهلي ، وقد انفصلت عنهم
مؤخراً ، واضطرت الى استئجار هذا البيت المفروش مؤقتاً الى ان يتم بنا بيتي
الجديد في حي القطمون ... وبيتي الجديد ... عفواً ... بيتنا الجديد ،
هو عبارة عن طابقين مبنين من الحجر الأحمر المصرق ، وله حديقة غناء مزروعة
بأطيب الزهور والرياحين ، وله أربع شرفات في جوانبه الأربعة ، تطل احداها على
على المدينة المقدسة ، وتطل الثانية على مضارب بيت لحم ، وتطل الثالثة على قرية
المالحة ، أما الرابعة فتطل على أحياء القدس المصرية ، وسأفرشه بأفخر الأثاث
المصنوع من خشب الزيتون .

ومر الأسبوع الأول ، ثم تلاه الثاني والثالث ، ثم اكتمل الشهر . . . وكل شيء باق على ما هو عليه ضمن الوعود المتواصلة وكانت سيارة تأتي الى البيت في كل صباح لتقل جميل بك الى عمله ، ثم تعيده مساء . . .

ويبدو أن ابنة الباشا قد خامرها بعض الشك في سلوك زوجها ، فقد كتبت النية على ان تزوره في مكتبه وأن تلح عليه بالذهاب معا لرؤية البيت الذي لم يكتمل بناؤه بعد . وراحت في احد الأيام تبحث عنه وعن مكتبه بجوار دور المحاكم . . .

وهناك سألت أحد سماعة البريد عن مكتب المحامي جميل بك المكرماوى ، فقال لها انه لم يسمع بهذا الاسم قط . . . ثم سألت غيره فتلقت منه الجواب ذاته . . . ثم سألت عنه أحد كتاب المرائض . . . فقهره هذا وظنها عميلة جديدة وقعت في فخ زميله جميل . . . فقال لها : لا أعرف جميل بك المكرماوى ، لكنني أعرف جميل المكرماوى كاتب المرائض ، وها هو ذا يجلس في تلك الزاوية من العمارة . . . وأنصحك بالأكتنبي عنده شيئاً فهو شخص يفرر بالسذج من الناس وانني لعلني استعداد بأن أتناقص منك الأجر نصف ما يتقاضاه هو . . . يضاف الى ذلك أنني آخذ على عاتقي ملاحقة قضيتك في جميع الدوائر ، جلاً اطلعني أيتها السيدة على ماهية قضيتك هل هي جزائية . . . أو حقوقية . . . ؟

وتركنه المرثاة بسرعة الى حيث أشار ، فرأت زوجها يضع ورقة على ركبته ، والعرق يتصبب من جبينه ، وهو يكتب رسالة لرجل فقير كسيح . . .

فصرخت : « يا خرت على الأرض مغمى عليها . »

نجساتي صدقي

رسول الأمير

كانت الشمس تلقي شعاعاتها الأولى على دير القمر ، وهي إحدى بلدان منطقة الشوف في لبنان ، والناس يفادرون بيوتهم وحدانا وجماعات ، يلبون الرزق في مفاصل الزيتون ، وفي مصانع الحرير ، أو يتوجهون إلى (الحروث) لتفقد صفار الكرمة ، وزراعة البقول ، ورعي الماشية .

كل شيء يسير بدقة متناهية ، والناس تصمم الفجأة ، وتشملهم المأثنية ، فالأمير بشير الشهابي رجل قوى عادل ، جعل المواطنين جميعهم شواسية أمام القانون .

ففي خريف سنة ١٨٣٠ وقعت في دير القمر جريمة قتل كان ضحيتها مزارع رقيق الحال ، في الخمسين من عمره ، اسمه ضاهر ، لقد عثر عليه في (الجرد) الصالي مضروبا بفأس على رأسه . والدماة السوداء متجمدة على وجهه ، وحول رقبته ، وهو يمسك بخصلات من الشعر الأسود ، مما يدل على انه قاوم القاتل مقاومة عنيفة .

وكان من عادة الأمير أن يستيقنا من نومه دائما قبل بزوغ الفجر ، فيتناول القهوة ويحلس في شرفة ديوانه المائلة على الوادي الأخضر ، إلى أن يتوافد عليه أمناؤه ، فينظر في شؤون الإدارة ، ويقضي في شكاوى السياس على اختلات طبقاتهم ، ويصدر أحكاما قاطعة لا محاباة فيها ولا تمييز .

وروى أحد الأمناؤه للأمير مقتل المزارع ، فارتسمت على محياه امارات الاهتمام الشديد ، وطالب المزيد من المعلومات عن هذه الجريمة ، وآثرها على غيرها من المواضيع المطروحة على بساط البحث . ثم تسائل بفضب : ومن هو القاتل ؟ ولماذا قتل ؟ وأين هو ؟

فأجابه الأمين : اوع القاتل ياسيدي هو شخصي في الثلاثين من عمره ، اسمه حنا ، وقد اختلف مع المزارع ضاهر على قطعة أرض مجاورة لنبع من الماء . وحاول الحصول عليها منه بثمن بخس ، الا أن ضاهرا رفض التنازل له عن هذه القطعة من الأرض أو بيعها ، فهدده حنا بالاعتداء عليه ، وأتلف له الزرع مرة ، وحول المياه عن زرعه غير مرة ، الى أن التقى به منذ أيام في (الحرد) ، وأسمعه قاصص الكلام ليستفزه ، فلم يحاق ضاهر بحرا ، ووجه على حنا لبؤديه ، فأسرع حنا وعاحله بضربة من الفأس على رأسه فشججه وقتله .

وتابع الأمين كلامه قائلا : لقد وقع هذا الحادث قبل ثلاثة أيام ، وأرجأنا عرضه عليكم ريثما نستكمل التحقيق ونلقي القبض على القاتل . . فصرخ الأمير قائلا : وحل تمكتم من اعتقاله ؟ . . فأجاب الأمين : لقد سمى أمر شرطة دير القمر ، لالقاء القبض على القاتل ، فعلم انه ترك البلدة فور ارتكابه الجريمة ، فأرسل أمر الشرطة ثلاثة من الفرسان يتمقبونه ، واحد في اتجاه " بشتفين " ، والثاني في اتجاه " كفر حليم " والثالث في اتجاه " بعلين " . فلم يمشروا له على أثر ، ثم جاء من يبلغه أن القاتل قد سافر الى بيروت ، واستقل مركبا متجها الى ميناء " فاماغوستا " أو ميناء " لارنكا " ، في قبرص ، مدعيا انه يتاجر بالحبين الحلوي القبرصي .

وقد أصدر الأمير أوامره بالبحث عن القاتل في ميناء " فاماغوستا " أولا ، وإن لم يسفر البحث عن نتيجة تتجه الجهود الى ميناء " لارنكا " .
ورسم أمير البلاد خطة محكمة للايقاع بالقاتل ومداقبته ، بالرغم انه كان منهمكا وقتئذ بقضايا عامة أخطر من ملاحقة قاتل فرد .

ففي ذات يوم وصل مركب لبناني ميناء " فاماغوستا " ، وفي قبرص وأنزل منه شخص اسمه سمعان ، ولم تنقض أيام معدودات على وصوله حتى افتتح محالا لبيع الحمص والفول ، وصار هذا المحل يجتذب جميع البحارة العرب والشرقيين الذين يفدون الى ذلك الميناء في مراكبهم باستمرار ، كما اجتذب اليه العدد القليل من المواطنين

اللبنانيين المقيمين في ذلك الميناء ، وفي عدادهم القاتل حنا

لقد عرف سمعان القاتل منذ أن وقع عليه ، لكنه تما لك نفسه ورحب به كزائر
عادي يأتي الى محله ، وقد راعى جانب الحذر في التحدث اليه ، ولم يطرح عليه الا
بعض الأسئلة الساذجة العابرة .

وتوطدت أواصر الصداقة بين سمعان وحنا مع مرور الأيام ، ثم أقنع سمعان
القاتل بأن تجارة الجبن الحلومي لا تخلو من مخاطر تكون الحملة فاسدة ، أو
ربما تهب الرياح على المركب فيفترق في البحر وتفرق معه الحملة الجبن . . وشجعه
على أن يكون شريكا له في المحل . فقبل حنا العرض ، وبات كل منهما لا يفترق عن
الآخر لحانة واحدة .

وبعد انقضاء ستة أشهر من العمل المثابر المتواصل ، اقترح سمعان على
حنا الانتقال الى الاسكندرية ، وإن يفتتحا هناك محلا يقدمان فيه المأكّل اليونانية
والتركية ، فتضاعف أرباحهما ، ويمكن كل منهما من تأسيس بيت يعقبه زواج وهدوء
بال .

فلاقى هذا الاقتراح هوى في نفس القاتل وعمل الاثنان على تصفية محلّهما
في "فاماغوسا" واستقلا مركبا شرعيا الى الاسكندرية . ويتوقف المركب في عرض البحر
أمام ميناء بيروت ، لينزل بعض المسافرين ، وليفرغ حمولة من البضائع فيفتح سمعان
الفرصة ويقترح على حنا النزول في الميناء للنزهة قليلا .

ويتردد حنا في بادى الأمر متذعرا بضيق الوقت . ثم يراجع نفسه قائلا :
ستة أشهر مضت على الحرية ، والقتيل أصبح نزا ، والناس أسدلوا ستار النسيان
على الحادث ، والأمير يمالج كل يوم عشرات المشاكل وهي كافية لتتسيب القضية .

اذن فلا مانع من النزول الى ميناء بيروت .

واستقل الشريكان قارباً الى الميناء ، وتوجها معا الى مقهى أبي أحمد عند الباب الشمالي للقلمة التي كانت قائمة هناك ، وتنقضي عشر دقائق وحنا وسمعان يرشغان القهوة بمتعة وفجأة يقبل عليهما رجلان برتدي كل منهما سروالاً مقصباً فضفاضا ينتهي بأزرار على حائبي الساقين . وصدارة سوداء عديدة الأزرار أيضاً ، يملؤها مدياف له أردان أولية ، ويعتمر كل منهما عمامة من الزرد ، أحدهما يحمل سيفاً ، والثاني يحمل بندقية ، وصرخ حامل السيف : " حنا . . " وتدخل حنا الى حيث كان يجلس شريكه سميان فلم يحده ، وأما هو فقد اقتيد بين الفارسيين وساروا به الليل كله من طريق مختصرة ، عبر الحبال والوديان . . وما ان بزغت الشمس حتى كانوا قد اشرفوا على بيت الدين ، حيث كان الأمير يجلس على شرفته المطالة على الوادي الأخضر ، وهو يمد العدة لاستقبال الأمان ورؤساء الكتبة كعادته .

وأحيط الأمير علماً بأن خداته في القبر على القاتل قد نفذت بجدافيرها ، وأنه مقيد في غرفة الحرس في الساحة الخارجية للقصر . وأسر الأمير الى عقد محاكمة فوق المعادة في القاعة الخاصة ، فمثل القاتل بين يديه فقال له الأمير : هل تعترف يا حنا بأنك قتلت ضاحراً ؟

قال : أجل يا مولاي الأمير .

— لماذا قتلته ؟

— قتلته بسبب ظلمه أرض ونبوع ماء

— لطفاً لم تعرض أمرك علينا ؟

— لم يكن لي حق قانوني أطلب به أو أراجع مولانا الأمير بشأنه .

— اذن أنت ممتد وقاتل .

— انني أسألكم المغفرة والرحمة يا مولاي .

— ان قوانين الأرمن وشرائع السماء تحكم على القاتل بالموت ، وستشنق بعد ساعة على

شجرة الخرنوب خارج القصر ، ليعلم الجميع أن المجرم لا بد من أن ينال جزاؤه

ولن يفر من وجه العدالة مهما طال الزمن .

وينقضي أكثر من قرن وربع القرن على هذه الحادثة ، وأقوم بزيارة
لقصر بيت الدين ، الذي عاصر أروع حقبة في تاريخ لبنان للشطر الأول من القرن
التاسع عشر ، ويطوف بي الدليل في جميع أنحاء القصر والمتحف ، إلى أن يتوقف
بي في الخارج عند شجرة خرنوب نخر جذعها السوس ويقول مودعا : وهذه
الشجرة يا أستاذ تعرف باسم " شجرة حنا القبرمي "

المقاسمة القمرية :

" قصة اسطورية "

علم الفتى كمال ان علماء من جميع الامم الراقية يحاولون الوصول الى القمر بواسطة اقمار اصطناعية مجهزة باحدث الآلات العصرية ، وهم يتباهون بانهم اول من يرتاد الفضاء ، ويسعى لاكتشاف مجاهل السماء .

تذكر بساط الرياح الذي كان يطوف به علاء الدين في هذا الكون الفسيح ، محلقا به فوق الصحارى والجبال والمحيطات ، مارا ببلاد الهند والسند وجزر البهارات فقال : ترى لماذا لا نلجأ الى بساط الرياح لنصل به الى القمر قبل ان يبلغه رجال الصواريخ ؟

فغاب في لحظة عن الوجود ، وراح يجوب الارض باحثا عن البساط المعهود ، فعلم من الرواة القدامى ان بساط الرياح القديم ظل في حوزة فتى يتحدر من صلب السندباد ، هو ابن الاسكافي الشاطر حسن من سكان بغداد ، فرحل الى عاصمة الرافدين ، وحل في نزل يقع بين الكرخ والكاظمين ، وبعد بحث وتدقيق دام مدة شهرين على وجه التحقيق ، بلغه ان البساط موجود في بيت صاحب مركب يمر دجلة اسمه عبد الحواد الاسكافي الملقب بابي عجلة ، يقيم في الناحية الشرقية من بغداد ، وينتمي في الاصل الى قبيلة من اهل السواد .

دخل الفتى كمال في خدمة عبد الحواد الاسكافي ، واغتنم كل فرصة للبحث عن بساط الرياح القديم ، فمثر عليه مطويا في صندوق خاص بالبسة الحرير ، فوضعه في كيس وخرج به خلسة من الدار واسرع الى مغادرة الديار . . وما ان بلغ منطقة الرمادى حتى فرد البساط ، ونفض عنه الغبار واعاد اليه ما عرف به من نشاط ، فاهتز البساط وارتعن ، ثم ارتفع عن الارض قليلا مشيرا الى الفتى ان يمتطيه ، والا يخشى ملامة من امه وابيه . . ف جذب كمال البساط اليه وتمدد عليه ، وامره بالانطلاق نحو

السموات السبع الطبايق . . . وما هي الا ساعات معدونات حتى اخذت الكرة الارضية
تضغمر في حجمها لكنها لم تفقد شيئاً من شكلها ، وهبط البساط على القمر ، وحط
على فوهة بركان قد يميد وانه كان في يوم من الايام باباً من ابواب الجحيم .

واندفع القادم الجند يد يتجول في المناطق القريبة من بحر الفزال ، وهو
قلق مضطرب البال ، فعثر على بقايا اعمار اصطناعية هي من صنع سكان الكرة الارضية
ثم لاحظ منه التفاتة الى فجوة في الصخر اشبه بالمفارة ، لها باب حديدي وعقد سميك
مبني من الحجارة ، فتشجع وطرق الباب ، فسمع صوتاً جهورياً من الداخل يقول بالعربية :
من الطارق في هذا الجو الحارق ؟

قال الفتى : رسول من اهل الحضرمية منذ لحظات على ارض القمر . . . وراح
ساكن المفارة يدب على الارض وهي تهتز تحت قدميه وتميد ، وفتح الباب الحديدي
بأريز وطنين ، وتطلع الى الفتى بنظرات كلها رفق وحنين ، وقال من انت ومن جاء بك
الى القمر يا ابن آدميين ؟ . . . قال الفتى : انا فتى من ابناء القرن العشرين ، جئت
الى القمر مستمعيناً ببساط الريح القديم . . . اغثني اغاثك الله . . . قال الشيخ : انت
يا بتي في الحمى ، ولن تجرؤ شياطين القمر ان تمسك يادى ، فادخل الى بيتي على
الرحب والسعة ، وثق بانك في مفارة الهدوء والدعة . . . قال الفتى : ومن يكون مضيفي
اهو من اهل القمر اصحاب القرون المجاسم هو من سكان الكرة الارضية من الناس . . .
قال الشيخ : انا يا بني ابو القاسم عباس بن فرناس . . . قال الفتى : من اين انت ايها
الشيخ وما هي منزلتك بين العباد ؟ . . . قال الشيخ : انا من قرطبة بالاندلس ، وعالم
فلكي من علماء القرن التاسع للميلاد . . .

قال الفتى : وكيف اتيت لك ايها الشيخ ان تبقى على قيد الحياة مدة احد
عشر قرناً دون ان تقيم لنا موس الخلق وزناً ؟ . . . قال الشيخ : اعلم يا بني ان الحياة
على سطح القمر دائمة البقاء ، فشدة الحرارة تقضي على الجراثيم والطفيليات ، وشدة
البرودة تحفظ الاجسام من الانحلال والفناء . . . قال الفتى : وما الذي حملك على
الانتقال الى القمر ايها الشيخ الاغر ؟ . . .

قال الشيخ : كنت يا بني منذ احد عشر قرنا في قرطبة ابحث في خفايا السماء
وما تحتويه من عجائب ، وقد صنعت في بيتي صورة مصفرة للفضاء تسبح فيه الكواكب ،
. . كنت لا انك اراقب النجوم والا جرام السيارة ، ولا استطيع تحويل بصرى عنها
وهي تشن على بعضها غارة اثر غارة ، فاسهر معها الليالي وابلفها في الربيع ، وكان
النسيم يهب عليلا على قرطبة ، صعدت الى سطح بيتي ، وزودت نفسي بالفداء والماء ،
واثبت الى جسمي جهاز الطيران المتين وصرخت يا على صوتي : يا ارحم الراحمين . .
وما هي الا لحظات حتى كنت اخلق في الجو عموديا ، وانا احرك جناحي
بدقة وانتظام سويا ، فابتعد عن الاندلس شيئا فشيئا ، الى ان اختفت عن ناظري . .
ثم وقعت في تيار جوى ابطل مفعول جناحي ، ورحلت انساب في السديم انسابا ،
فابتعدت عن الارض ، وبعد ثلاث شمس وثلاث ظلمات هبطت على سطح القمر في مكان
اطلقت عليه اسم غدير البنات . وعشت يا بني في هذا المحيط حيث لا زمن ، ولا
اعوام ، ولا شيخوخة ، ولا موت قط . ويخال الي اني قمت بهذه المفامرة بالامس بقط .

ولم اتمكن من اتمام رحلتي الى المريخ لان مخلوقات من اهل القمر ، ليس لها
اي شبه ببني البشر ، وهي وادعة غير مؤذية ، قد عبث بجهازى الطيار ولا كت قطعه
الجلدية ، وقضى علي ان اقيم على هذا الكوكب ، ولا يذكرني بالكرة الارضية الا ما رآه
احيانا من اقمار معدنية تدور حول القمر وتسقط على سطحه قريبة مني ، فاعلم ان سكان
الكرة الارضية لا ينفكون يبحثون عني .

واتفق الفتى مع الشيخ على العودة معا الى الارض على بساط الريح ، فاخذ
ابو القاسم عباس بن فرناس نماذج من الكائنات القمرية للدراسة والتشريح ، واستلقى
على البساط ، فانطلق براكبيه وهو يهز طرفيه ، وكان الشيخ كلما ابتعد عن القمر يتغير
شكله ويخف وزنه ، والفتى كمال يرى في ذلك عجبا ، ولا يدري له سببا ، وما ان اقترب
البساط من الارض وتمزق الحجاب ، حتى استحال عباس بن فرناس الى ضباب ، يرتفع في
الجو رويدا رويدا ، وكأنه مارد يخزن من قمم الف ليلة وليلة . .

المصادر والمراجع

أولا - المصادر

- نجاتي صدقي :

- ١ - مذكرات نجاتي صدقي (مخطوط غير منشور)
- ٢ - الأخوات الحزنيات : (بيروت ، مركز الأبحاث ، م ت ف ، ط ٢ ، ١٩٨١)
- ٣ - الشيوخي الطيوني : (بيروت ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٣)
- ٤ - التقاليد الإسلامية والمبادئ النازية هل تتفقان ؟ بحث علمي اجتماعي
سياسي ديني (بيروت : دار الكشاف ، ١٩٤١)
- ٥ - بوشكين أمير شعراء روسيا : (القاهرة : دار المعارف بمصر ، سلسلة
اقرأ ، رقم ٤٨ ، ١٩٤٥)
- ٦ - تشيخوف : (القاهرة : دار المعارف بمصر ، سلسلة اقرأ رقم ٥٠ ،
١٩٤٧)
- ٧ - مكسيم غوركي : (القاهرة : دار المعارف بمصر ، سلسلة اقرأ رقم ٦٢ ،
١٩٥٦)
- ٨ - فون باهن يتكلم : تأليف فرانس فون باهن ، ترجمة نجاتي صدقي
(بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٢)
- ٩ - قصص مختارة من الأدب الروسي : ترجمة نجاتي صدقي (بيروت : دار
بيروت ، ١٩٥٢)
- ١٠ - قصص مختارة من الأدب الصيني : ترجمة نجاتي صدقي (بيروت : دار
بيروت ١٩٥٢)

- ١١ — قصص مختارة من الادب الاسباني : ترجمة نجاتي صدقي (بيروت :
دار بيروت ، ١٩٥٣) .
- ١٢ — الارملة الطول وقصص من العالم : بيروت : دار بيروت ، ١٩٥٤) .
- ١٣ — الخنفسة الذهبية : تأليف ادغار آلن بو ، ترجمة نجاتي صدقي
(بيروت : دار بيروت ، ١٩٥٤) .
- ١٤ — وراء الاسلاك : تأليف موريت بوهر ، ترجمة نجاتي صدقي (بيروت :
دار الكاتب ، ١٩٥٤) .
- ١٥ — بريد موسكو : تأليف ليديا كيرك ، ترجمة نجاتي صدقي (بيروت : دار
الكاتب " — ١٩٥٥ ؟) .
- ١٦ — رحلة ايرما : تأليف فولديمار فيدام ، وكارل وال ، ترجمة نجاتي صدقي
(بيروت : دار الكاتب ، — ١٩٥٥) .
- ١٧ — بنيت زجر مؤسس حرية الطباعة في العالم الجديد : تأليف جالت توم ،
ترجمة نجاتي صدقي (بيروت : دار الكاتب ، ١٩٥٥) .
- ١٨ — الحصادون . . صورة من البطولة في الحب والجهاد : تأليف كانون
لوغراند الابن ، ترجمة نجاتي صدقي (بيروت : دار بيروت ١٩٥٧) .
- ١٩ — كارمن : تأليف بروسبيرو ميرمية ، ترجمة نجاتي صدقي (بيروت : منشورات
عبيدات ، ١٩٥٧) .
- ٢٠ — معركة شيلوه : تأليف شلي فوت ، ترجمة نجاتي صدقي (بيروت :
بدون تاريخ) .

— ثانيا : المجلات والصحف . (*)

- ١ — آفاق عربية .

(*) فيما يتعلق بالاعداد والتواريخ ينظر في البيبليوغرافيا ، وفي هوامش صفحات

البحث .

- ٢ - الأديب •
- ٣ - الأمالي •
- ٤ - الجمهور •
- ٥ - الرائد العربي
- ٦ - جريدة (الرأي) الأردنية •
- ٧ - الرسالة •
- ٨ - شئون فلسطينية •
- ٩ - الطليعة •
- ١٠ - قافلة الزيت •
- ١١ - القلم الجديد •
- ١٢ - الكاتب •
- ١٣ - الكاتب الفلسطيني •
- ١٤ - الكتاب •
- ١٥ - المكشوف •

ثالثا - المراجع :

- بتروت ، س ، م :
- ١ - الكساندر سركيفيتش بوشكين - ترجمة د • جميل نصيف التكريتي
(بغداد ، وزارة الاعلام ، دار الرشيد للنشر (١٩٨١) •
- بليخانوف :
- ٢ - الفن والحياة الاجتماعية • ترجمة الياس شاهين (موسكو : دار
التقدم ، ١٩٨٣) •
- بيلكين ، أ • وزملاء :
- ٣ - تشخوف بين القصة والمسرح ، ترجمة د • حياة شرارة (بيروت :
- دار القلم ١٩٧٥) •

- بيان نويهض الحوت :
- ٤ — المؤسسات والقيادات السياسية في فلسطين ١٩١٧ — ١٩٤٨
(بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٨١) •
- تشيخوف ، أنطون :
- ٥ — أعمال مختارة في ٤ مجلدات ، ترجمة د • أبوبكر يوسف
(موسكو : دار التقدم ، ١٩٨١) المجلد الاول •
- د • حياة شرارة (مترجمة) :
- ٦ — ديوان الشعر الروسي الحديث ، (بيروت : المؤسسة العربية
للدراسات والنشر ١٩٨٣) •
- ديمستروف :
- ٧ — الفاشية والطبقة الحاكمة : ترجمة محمد عيتاني (بيروت : دار ابن
خلدون ، سلسلة دليل المناضل " تجارب اشتراكية ") •
- د • رشاد رشدي :
- ٨ — فن القصة القصيرة (بيروت : دار الحودة ط ٢ ، ١٩٧٥) •
- سعيد قضائي وسعيد جوخدار (مترجمان) :
- ٩ — مسرحيات مختارة (دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٧٤) •
- سميح سمارة :
- ١٠ — انحمل الشيوعي في فلسطين •• الطبقة والشعب في مواجهة
الكولونيالية (بيروت : دار القارابي ، ١٩٧٩) •
- سميرة حسان وسمير رفيق حسن (مترجمان) :
- ١١ — القلب الواشي وقصص أخرى (بيروت : المؤسسة الأهلية للطباعة
والنشر ، — ١٩٦٦ ؟) •
- سليمان بشير :
- ١٢ — المشرق العربي في النظرية والممارسة الشيوعية ١٩١٧ — ١٩٢٨
(القدس : منشورات القراطة ١٩٧٩) •

- صبرى حافظ :
- ١٣ - مسرح تشيخوف (بغداد : وزارة الاعلام ، ١٩٧٣) •
- د • عبدالرحمن ياغي :
- ١٤ - حياة الادب الفلسطيني الحديث من النهضة حتى النكبة (بيروت : المكتب التجارى ، ١٩٦٨) •
- عبد الغنى أحمد بيوض وزميله :
- ١٥ - ٣٢٠٠ مجلة وجريدة عربية (باريس : المكتبة الوطنية ، ١٩٦٥) •
- غسان كنفاني :
- ١٦ - ثورة ٣٦ - ٣٦ في فلسطين خلفيات وتفاصيل وتحليل (القدس : منشورات صلاح الدين ، ١٩٧٦) •
- فيشر ، أرنست :
- ١٧ - الاشتراكية والفن ، ترجمة أسعد حليم (بيروت : دار القلم ١٩٧٥) •
- لافريتسكي • أ • :
- ١٨ - في سبيل الواقعية ، ترجمة د • جميل نصيف ، مراجعة د • حياة شارة (بيروت : عالم المعرفة ، بدون تاريخ)
- لاکور • والتر :
- ١٩ - الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط ، ترجمة لجنة من الاساتذة الجامعيين (بيروت : المكتب التجارى ، ١٩٥٩) •
- لونا شارسكي :
- ٢٠ - لوحات ثورية ، تحرير أحمد خليفة (بيروت : مؤسسة الابحاث الصربية ، ١٩٨٠) •
- لينين • ف • أ • :
- ٢١ - الاعمال الكاملة (موسكو : دار التقدم) المجلد الاول من طبعة ١٩٧٦ ، المجلد السادس من طبعة ١٩٦٨ •

- محمد مفيد الشوباشي :
٢٢ - الفن ومذاهبه من الكلاسيكية الاغريقية الى الواقعية الاشتراكية
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١) .
- محمد مندور :
٢٣ - الادب ومذاهبه (القاهرة : مكتبة نهضة مصر ، ط ٢ ، ١٩٥٧) .
- محمود الاخرس :
٢٤ - الببليوغرافيا الفلسطينية الاردنية ١٩٠٠ - ١٩٧٠ (عمان :
جمعية المكتبات الاردنية ، ١٩٧٢) .
- ٢٥ - الجدول المفهرس للكتب التي ترجمها الفلسطينيون والاردنيون
١٩٥٠ - ١٩٧٠ (عمان : اللجنة الاردنية للتصريب
والترجمة والنشر ، ١٩٧٣)
- موسى البديوي :
٢٦ - تطور الحركة العمالية في فلسطين (القدس : دار الكاتب ، ١٩٧٩)
- د . ناصر الدين الاسد :
٢٧ - الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والاردن (القاهرة :
معهد الدراسات العربية ، ١٩٥٧) .
- د . هاشم ياغي :
٢٨ - النقد الادبي الحديث في فلسطين (القاهرة : معهد البحوث
والدراسات العربية ، ١٩٦٣) .
- ٢٩ - القصة القصيرة في فلسطين والاردن (بيروت : المؤسسة العربية
للدراسات والنشر ، ط ٢ ، ١٩٨١) .
- د . وليد مصطفي (مترجم) :
٣٠ - موت فتاة صغيرة وقصص أخرى (عمان : رابطة الكتاب الاردنيين ،
١٩٨٠) .

- وزارة الثقافة والشباب الاردنية — دائرة الثقافة والفنون (عمّان) :
- ٣١ — ثقافتنا في خمسين عاما (عمان : دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٧٤) .
- يعقوب الحودات :
- ٣٢ — من أعلام الفكر والادب في فلسطين (عمان : جمعية عمال المطابع
التعاونية ، ١٩٧٦) .

مراجع بالانجليزية :

1. K. A. Karaki: From Islamism to Arabism, A Study of Political Ideas of Syrian Writings, Ph.D. thesis, Cambridge University, 1980.
2. Encyclopedia International, Grolier, 1972.

THE UNIVERSITY OF JORDAN

FACULTY OF ARTS

DEPARTMENT OF ARABIC

N A J A T I S I D Q I

(1905 - 1979)

L I F E A N D W O R K S

BY:

Ibrahim Mohammad Ahmed Abu-Hashhash

SUPERVISOR:

Professor: A/Rahman Yaghi

"This thesis has been submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts in Arabic at Faculty of Arts, University of Jordan".

1984

٢٧٢٢٨٢

Najati Sidqi was characterized by his encyclopedic knowledge enriched by his mastering some world living languages such as Russian, English and French. Sidqi's importance appears clearly in his deepening the roots of the realistic attitude in the literary thinking in Palestine and some other Arab Countries since the first third of this century. Sidqi may also, be one of the outstanding figures who adopted the materialistic approach in literature and thought in Palestine before 1948. This is clear in his critical preaches and fictional output. He is especially known for his literary translations. He participated in providing the Arab readers with marvellous patterns of the world Literature mainly Russian literature as he translated into Arabic a number of world short stories, from Russian, Chinese, Spanish and American literature, in addition to some novels and political books.

Though Najati Sidqi received some estimation by the researchers concerned in dating the modern Palestinian Literature, this interest was partial, focusing on aspects of his literary works or merely patterns of these aspects.

This thesis tries to point out the literary character of Najati Sidqi through a survey of the different aspects of his literary activities, aiming at stressing what researchers

in dating the Palestinian literary life in the twentieth century.

This thesis is composed of three chapters and an appendix:

Chapter one talks about Sidqi's living career (1905 - 1979), based, in this field, on an important source, i.e. his diaries which are still unpublished. As far as we know, no other researcher has relied on this source. The importance of this source lies in throwing the light on an important stage of Sidqi's life, i.e. political stage (1924 - 1939), as this source deals with an important stage in forming political institutions in the twenties and thirties of this century in Palestine, in the tongue of a person who witnessed the events and participated in forming and leading these institutions.

Chapter two studies Najati Sidqi as a thinker, interpreter and critic. First, it makes an objective survey of his works and then moves to evaluating and judging them; in the end.

Chapter three is mainly devoted to Sidqi's literary output in short story writing. It deals with Sidqi's published two fictional collections, in addition to another

eleven short stories published in the literary periodicals, but not included in his two collections.

In the appendix, the researcher classifies, according to subject, what he could collect of his published works in periodicals. The researcher, also, attaches an index of Sidqi's writings he wrote or prepared for broadcasting purposes. The appendix also includes two stories he translated and two other stories translated by other writers. Finally, it includes patterns of his short stories not included in his fictional collections.